حِوَارٌ حَوْلَ حُكْمِ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدٍ فِيهِ قَبْرٌ
(النُّسخةُ 1.86 - **الجُزءُ السابِعُ**)

جَمعُ وتَرتِيبُ
أَبِي ذَرٍّ التَّوحِيدِيِّ
AbuDharrAlTawhidi@protonmail.com

حُقوقُ النَّشرِ والبَيعِ مَكفولةٌ لِكُلِّ أحَدٍ

تَتِمَّةُ المسألة الثامنة والعشرين

زيد: وَهَلْ حالُ التعليمِ في المدارس الغير أَزْهَرِيَّةِ (في المجتمَعاتِ المُنْتَسِبةِ للإسلامِ) أَحْسَنُ مِن حالِ التعليم في المدارس الأَزْهَرِيَّةِ، أَمْ هو أَسْوأُ؟.

عمرو: بَيَانُ ذلك يُمْكِنُك التَّعَرُّفُ عليه مِمَّا يَلِي:

(1)قالَ الشيخُ عَبْدُالرّحمن المُعَلِّمِيّ اليَمَانِي (الذي لُقِّبَ بـ "شيخ الإسلام"، وبـ "ذَهَبِيِّ العَصْر" نِسبةً إلى الإمام الحافظِ مُحَدِّثِ عَصْره مُؤَرِّخ الإسلام شَمْس الدِّين الذَّهَبِيِّ الْمُتَوَفَّى عامَ 748هـ، وَتَوَلَّى رئاسةَ الْقَضَاءِ في "عسير"، وتُوُفِّيَ عامَ 1386هـ) في تَعلِيقِه على قولِ ابْن حَجَر الْهَيْتَمِيِّ (ت974هـ) في (تُحْفَةِ الْمُحْتَاجِ) {إِنَّمَا هُوَ عِنْدَ صَلَاحِ الْأَزْمِنَةِ بِحَيْثُ يَنْفُذُ فِيهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَدْ تَعَطَّلَ ذَلِكَ مُنْذُ أَزْمِنَةٍ}: أَقُولُ، وهذا صحيحٌ، وقد مَضَتْ عِدَّةُ قُرونٍ لا تَكادُ تَسمَعُ فيها بعالِمٍ قائمٍ بالمعروفِ لا يَخافُ في اللهِ لَوْمةَ لائمٍ، بَلْ لا

تَجِدُ رَجُلًا مِن أهلِ العلمِ إلَّا وهو حافِظٌ لِحَدِيثِ {حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ هَوًى مُتَّبَعًا وَشُحًّا مُطَاعًا [قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وإيَّاكُمْ والشُّحَّ، فإنَّه دَعَا مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ فَسَفَكُوا دِماءَهُمْ، ودَعَا مَنْ كان قَبْلَكُمْ فَقَطَّعُوا أرْحامَهُمْ، ودَعَا مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ فاسْتَحَلُّوا حُرُماتِهِمْ} صَحَّحَه الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب). وقالَ المناوي في (فيض القدير): (شُحٌّ مُطَاعٌ) أيْ بُخْلٌ يُطِيعُهُ النَّاسُ، فَلَا يُؤَدُّونَ الْحُقُوقَ؛ وَقَالَ الرَّاغِبُ {خَصَّ الْمُطَاعَ لِيُنَبِّهَ أَنَّ الشُّحَّ فِي النَّفْس لَيْسَ مِمَّا يُسْتَحَقُّ بِهِ ذَمٌّ، إذْ لَيْسَ هُوَ مِنْ فِعْلِهِ، وَإِنَّمَا يُذَمُّ بِالانْقِيَادِ لَهُ}. انتهى] وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ} يَعتَذِرُ بِه عن نَفْسِه، ويَعْذِلُ [أيْ ويَلُومُ] به مَن رَآه يَتَعَرَّضُ لإنكارِ شيءٍ مِنَ المُنكَرِ؛ وقد وُجِدَ ذلك في آخِرِ عَصْرِ الصَّحابةِ، بعدَ الثَّلَاثِينَ سَنَةٍ، فكان أبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واحِدَ عَصْرِه في التَّجَاسُرِ على إنكارِ المُنكَرِ (بقَدْرِ الإمكانِ)، حتى شَدَّدَ في ذلك عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ [هو خامِسُ حُكَّامِ الدولةِ الأُمَويَّةِ، وهو الذي وَلَّى الْحَجَّاجَ الْعِرَاقَ]، خَطَبَ على مِنْبَرٍ وقالَ {واللهِ لا يَقُولُ لِي أحَدٌ (اِتَّقِ اللهَ) إلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ}، ثم تَوَارَثَها المُلوكُ والأُمَراءُ إلَّا مَن شاءَ اللهُ، ولهذا عَظُمَ عند الناس ابْنُ طَاوُوس وعَمْرُو بْنُ عبيدٍ وغيرُهما مِمَّن كان يَتَجاسَرُ على النَّهيِ عن المُنكَرِ، وعلى كُلِّ حالٍ فالمعروفون مِنَ العلماءِ بذلك أفرادٌ يُعَدُّون بالأصابِعِ والجُمهورُ ساكِتون؛ وأمَّا في القُرونِ المُتأخِّرةِ فشاعَتِ المُنْكَراتُ بين المُلوكِ والأُمَراءِ والعُلَماءِ والعامَّةِ، ولم يَبْقَ إلَّا أفرادٌ قَلِيلُون لا يَجْسُرون على شيءٍ، فإذا تَحَمَّسَ أحدُهم وقالَ كَلِمةً قالَتِ العامَّةُ {هذا مُخالِفٌ للعلماءِ ولِمَا عَرَفْنا عليه الآباءُ}، وقالَ العلماءُ {هذا خارقٌ للإجماعِ مُجاهِرٌ بالابتداعِ}، وقالَ المُلوكُ والأُمَراءُ {هذا رَجُلٌ يُرِيدُ

إحـــداثَ الفِتَن والاضْـــطِراباتِ، ومِنَ المُحـــال أنْ يكـــونَ الحَقُّ معـه، وهـؤلاء العلمـاءُ ومَن تَقَـدَّمَهم على باطِـلِ، وعلى كُلِ فالمصـلحةُ تَقتَضِـي زَجْـرَه وتَأْدِيبَـه}!، وقـالَ بَقِيَّةُ الأفرادِ مِنَ المُتَمَسِّكِين بالحَقِّ {لقد خـاطَرَ بنَفْسِـه وعَرَّضَها للهَلاكِ، وكان يَسَعُه مـا وَسِـعَ غـيرَه}!، وهكـذا تَمَّتْ غُرْبةُ الدِّين، فإنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ... ثم قـالَ -أي الشيخُ المُعَلِّمِيّ-: وقد جَرَّبْتُ نَفْسِي أنني رُبَّما أنظُـرُ في القَضِـيَّةِ زاعِمًـا أنـه لا هَـوَى لِي، فيَلُـوحُ لي فيهـا مَعْنًى، فأُقَرِّرُه تَقريـرًا يُعْجِبُنِي، ثم يَلُـوحُ لي مـا يَخْـدِشُ في ذاك المَعْنَى، فأجِـــدُنِي أتَبَـــرَّمُ بـــذلك الخـــادِشِ، وتُنازِعُنِي نَفْسِـي إلى تَكَلُّفِ الجَـوابِ عنـه وغَضِّ النَّظَـر عن مُناقَشةِ ذاك الجَوابِ، وإنَّما هذا لأنِّي لَمَّا قَرَّرتُ ذاك المَعْنَى أوَّلًا تَقريرًا أعْجَبَنِي صِرْتُ أهْوَى صِحَّتَه، هذا مـع أنـه لم يَعْلَمْ بـذلك أحَـدٌ مِنَ النـاس، فكيـف إذا كنتُ قـد أذَعْتُه في الناسِ ثم لاحَ لي الخَدْشُ؟، فكيـف لـو لم يَلُحْ لي الخَدْشُ ولكنَّ رَجُلًا آخَرَ اعتَرَضَ عَلَيَّ بِهِ؟، فكيـف لـو كان المُعتَرِضُ مِمَّن أكرَهُه؟!؛ هذا، ولم يُكَلِّفِ العالِمُ بأنْ لا يكـونَ لـه هَـوًى، فـإنَّ هـذا خـارِجٌ عن الوُسْـع، وإنَّمـا الـواجِبُ على العـالِمِ أنْ يُفَتِّشَ نَفْسَـه عن هَوَاهـا حـتى يَعرِفَه، ثم يَحتَرِزَ منه، ويُمْعِنَ النَّظَرَ في الحَـقِّ مِن حيث هو حَقٌّ، فإنْ بـانَ لـه أنَّه مُخـالِفٌ لِهَـوَاه آثَـرَ الحَـقَّ على هَوَاه... ثم قالَ -أي الشيخُ المُعَلِّمِيّ-: والعالِمُ قد يُقَصِّرُ في الاحْتِـراس مِن هَـوَاه، ويُسـامِحُ نَفْسَـه، فتَمِيـلَ إلى الباطلِ، فيَنْصُرَه وهو يَتَوَهَّمُ أنه لم يَخْرُجْ مِنَ الحَـقِّ ولم يُعَادِه، وهذا لا يَكادُ يَنْجُو منه إلَّا المعصومُ، وإنَّما يَتَفاوتُ العلمـاءُ، فمنهم مَن يَكْثُـرُ منـه الاسْتِرْسـالُ مـع هَـوَاه ويَفْحُشُ حتى يَقْطَعَ مَن لا يَعرفُ طِبَـاعَ النـاسِ ومِقـدارَ تـأثيرِ الهَـوَى بأنَّه مُتَعَمِّدٌ، ومنهم مَن يَقِـلُّ ذلـك منـه ويَخِـفُّ... ثم قـالَ -أي الشـيخُ المُعَلِّمِيّ-: وقـد كـان مِنَ السَّلَفِ مَن يُبالِغُ في الاحْتِراسِ مِن هَوَاه حتى يَقَـعَ في

الخَطَأِ مِنَ الجانِبِ الآخَـر، كالقاضِـي يَختَصِـمُ إليـه أَخُـوه وعَدُوُّه، فيُبـالِغُ في الاحْتِـراس حـتى يَظلِمَ أَخَـاه، وهـذا كالــذي يَمْشِــي في الطَّريــق ويكــونُ عن يَمِينِــه مَزلَّةٌ، فيَتَّقِيهــا ويَتَباعَــدُ عنهــا فيَقَـعَ في مَزلَّةٍ عن يَسَــارِه!. انتهى مِن (آثارُ الشيخ المُعَلِّمِيّ). وقَالَ ابْنُ دَقِيق الْعِيــدِ فِي (شَرْحُ الإلمَام بِأَحَـادِيْثِ الأَحَكَـام): وَاعْلَمْ أَنَّ تَقْـدِيمَ أَرْجَح الظَّنَّيْن عِنْدَ التَّقَابُلِ هُوَ الصَّوَابُ، غَيْرَ أَنَّا نَرَاهُمْ إِذَا اِنْصَرَفُوا إلَى الجُزئيَّاتِ يَخرُجُ بَعْضُهُمْ عن هَـذَا الْقَـانُون، وَمِنْ أَسْبَابِ ذلـك اِشْـتِبَاهُ الْمَيْـلِ الْحَاصِـلِ بِسَـبَبِ الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ بِالْمَيْل الْحَاصِل عن الإلـفِ وَالْعَـادَةِ وَالْعَصَـبِيَّةِ، فَإِنَّ هَـذِهِ الأُمُـورَ [أي الإلـفَ وَالْعَـادَةَ وَالْعَصَـبِيَّةَ] تُحْـدِثُ لِلنَّفْس هَيْئَةً وَمَلَكَـــةً تَقْتَضِـــي الرُّجْحَـــانَ فِي النَّفْس بِجَانِبِهَا [أيْ بِجـانِبِ الإلـفِ وَالْعَـادَةِ وَالْعَصَـبِيَّةِ] بِحَيْثُ لَا يَشْـعُرُ النَّاظِرُ بِـذَلِكَ وَيَتَـوَهَّمُ أَنَّهُ رُجْحَـانُ الـدَّلِيل، وَهَـذَا مَحَلُّ خَوْفٍ شَـدِيدٍ وَخَطَـر عَظِيم يَجِبُ عَلَى الْمُتَّقِي اللَّهَ تَعالَى أَنْ يَصْرفَ نَظَرَهُ إلَيْـهِ وَيَقِـفَ فِكْـرُهُ عَلَيْـهِ. انتهى باختصــــار. وقــــالَ اِبْنُ الْقَيِّم فِي (الطُّرُقُ الْحُكْمِيَّةُ): وَالْمُتَـأَخِّرُونَ كُلَّمَـا اِسْـتَبْعَدُوا شَـيْئًا، قَـالُوا {مَنْسُـوخٌ، وَمَتْرُوكٌ الْعَمَلُ بِهِ}!. انتهى. وقـالَ اِبْنُ الْقَيِّم أيضًـا في (إعلام الموقعين): وَمَنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، رَأَيٌ أَنَّ أَكْثَـرَ مَنْ يُشَـارُ إلَيْهِمْ بِالـدِّين هُمْ أَقَـلُّ النَّاس دِينًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَأَيُّ دِينٍ وَأَيُّ خَيْـر فِيمَنْ يَـرَى مَحَـارِمَ اللَّهِ تُنْتَهَكُ، وَحُدُودَهُ تُضَاعُ، وَدِينَـهُ يُتْـرَكُ، وَسُـنَّةَ رَسُـولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْغَبُ عَنْهَا، وَهُوَ بَارِدُ الْقَلْبِ، سَــاكِتُ اللِّسَــانِ، شَــيْطَانٌ أَخْــرَسُ (كَمَــا أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِالْبَاطِــلِ شَــيْطَانٌ نَــاطِقٌ)؟!، وَهَـلْ بَلِيَّةُ الـدِّين إلَّا مِنْ هَــؤُلَاءِ الَّذِينَ إذَا سَــلِمَتْ لَهُمْ مَــآكِلُهُمْ وَرِيَاسَــاتُهُمْ فَلَا مُبَالَاةَ بِمَا جَرَى عَلَى الدِّين؟!... ثم قالَ -أي ابنُ القيم-: وَهَؤُلَاءِ -مَعَ سُقُوطِهِمْ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ وَمَقْتِ اللَّهِ لَهُمْ- قَدْ

بُلُوا فِي الدُّنْيَا بِأَعْظَمَ بَلِيَّةٍ تَكُونُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَهُوَ مَوْتُ الْقُلُوبِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ كُلَّمَا كَانَتْ حَيَاتُهُ أَتَمَّ كَانَ غَضَبُهُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَقْوَى وَانْتِصَارُهُ لِلدِّين أَكْمَلُ. انتهى.

وقالَ الشيخُ مُقْبِل الوادِعِي في (تحفة المجيب): ونحن في زَمَن تُقْلَبُ فيه الحَقائقُ كما أَخْبَرَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأهلُ العِلْم الذِين كانَ يُظَنُّ أنَّهم سَيُدافِعون عن الإسلامِ وسيَحْمون حِمَاه، إذَا الإسلامُ يُؤْتَى مِن قِبَلِهم، وما كُنَّا نَظُنُّ أنْ يَبْلُغوا إلى هذا الحدِّ، وأَنْ يدافِعوا عن الكُفْرِ حتى يَجْعَلوه واجِبًا، دَعْ عنك أنَّهم يَجعَلون البِدعةَ سُنَّةً، والضَّلالَ هُدًى، والغَيَّ رُشْدًا، وصَدَقَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ذِكْرِ الفِتَن، إذْ يقولُ {سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ}، ونحن في زَمَن الفِتَن لا يُنكِرُ هذا إلَّا مَن أعمَى اللهُ بَصِيرَتَه، فنقولُ، إنَّ لهم أسْلَافًا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}، {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، أولئك [الأسْلَافُ] نَزَلَ بَعْدَهم قرآنٌ ففَضَحَهم، ونحن الآنَ لا يَنْزلُ قرآنٌ، وإلَّا لَرَأَيْتَ أنَّ بعضَ أصحابِ العَمَائم واللِّحَى المُحَنَّاةِ والثَّوبِ الذي إلى وَسَطِ الساق، يُمْكِنُ أنْ يَفْضَحَه اللهُ كما فَضَحَ عَبْدَاللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ [هو عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْن سَلُولَ الذي أَنْزَلَ اللهُ تَعالَى فيه {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}]، وثَبَتَ عن النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله

وسـلم أنَّه قـالَ {إنَّ أَخْـوَفَ مَـا أَخَـافُ عَلَى أُمَّتِي كُـلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ}، ويقول أيضًا {إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ} [قـالَ الشـيخُ صـالح آل الشـيخ في (التمهيد لشرح كتاب التوحيد): الأَئِمَّةُ الْمُضِـلُّونَ هُمُ الذِين اتَّخَذَهم الناسُ أئمَّةً، إمَّا مِن جِهَةِ الـدِّين، وإمَّا مِن جِهَةِ ولَايَةِ الحُكْمِ. انتهى. وقالَ ابنُ تيميـةَ في (مجمـوع الفَتَاوَى): الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ هُمُ الأُمَرَاءُ. انتهى.]، فهـؤلاء حَـذَّرَنا منهم رسـولُ اللـه صـلى اللـه عليـه وعلى آلـه وسلم، فتَارةً يُمَثِّلُه اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ بـالكَلْبِ [قـالَ تَعـالَى {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَـا فَأَتْبَعَـهُ الشَّـيْطَانُ فَكَـانَ مِنَ الْغَـاوِينَ، وَلَـوْ شِـئْنَا لَرَفَعْنَـاهُ بِهَـا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَـوَاهُ، فَمَثَلُـهُ كَمَثَـلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَث}] تَنفِـيرًا مُنَفِّرًا، وأُخرَى يُمَثِّلُه بالحِمَار {مَثَـلُ الَّذِينَ حُمِّلُـوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}، ولا تَظُنُّوا أنَّ هذا في أَهْلِ الكِتابِ فَقَطْ، بَلْ إنَّه في مَن زاغَ وانحـرفَ مِنَ الأئمَّة المُضِلِّين. انتهى باختصار. وقـالَ الشـيخُ عليُّ بنُ محمد الصـلابي (عضـو الأمانـة العامـة للاتحـاد العـالمي لعلماء المسلمين) في كتابه (الدولـة العثمانيـة، عوامـل النهوض وأسباب السقوط): فأَيْنَ كان العلمـاءُ في تلـك الفَتْرَةِ [يعني أواخر الدولةِ العثمانيةِ] التي نحن بِصَدَدِها مِنَ التاريخ؟، هل كانوا في مكانِ القيادةِ الذِي عَهِـدَتْهم الأُمَّةُ فيه؟، هل كانوا حُمَاةَ الأُمَّةِ مِنَ العُدْوانِ؟، وحُمَاتَها مِنَ الظُّلْمِ الواقع عليهم مِن ذَوِي السلطانِ؟، هل كـانوا هُمُ الذِين يُطالِبون للأُمَّةِ بحُقوقِها السياسـيَّةِ وحُقوقِهـا الاجتماعيَّةِ وحُقوقِها الاقتصاديَّةِ؟، هلْ كـانوا هُمُ الـذِين يَأمُرون بالمعروفِ ويَنْهَـون عن المُنْكَـر، ويَقومـون إلى الإمام الجائر فيَأمُرونه ويَنْهَونـه، قَتَلَهم أمْ لم يَقْتُلْهم؟، أمْ كـان كثـيرٌ منهم قـد اسْـتَعْبَدوا أَنْفُسَـهم للسـلطانِ، ومَشَوْا في رِكَابِه، يَتَمَلَّقُونه ويُبارِكون مَظَالِمَه فيَمُدُّونَهُ

فِي الْغَيِّ؟!، بينمـا البَقِيَّةُ الصـالحةُ منهم قـد قَبَعَتْ في بُيُوتِها، أو اِنْزَوَتْ في الدَّرْس والكِتابِ تَحْسَبُ أَنَّ مُهِمَّتَها قَدِ اِنتَهَتْ إذا لَقَّنَتِ الناسَ العِلْمَ، ومـا نُريـدُ أنْ نَظْلِمَهم فقد كان منهم -ولا شَكَّ- مَن صَدَعَ بِكَلِمةِ الحَـقِّ، ومنهم مَن أَلْقَى بالمَنْصِبِ تحتَ قَدَمَيه حين أَحَسَّ أنَّه يَسْـتَعْبِدُه لأُولِي السلطانِ أو يَلْجُمُـه عن كلمـةِ الحـقِّ، ولكنَّهم قِلَّةٌ قليلةٌ بين الكَثْرةِ الغالبـةِ الـتي راحَتْ تَلْهَثُ وَرَاءَ المَتَـاع الأَرْضِـــيِّ، أو تَقْبَـــعُ داخـــلَ الـــدَّرْسِ والكِتـــابِ. انتهى باختصار.

(2)وفي فتـوى صَـوتِيَّةٍ للشـيخ مُقْبِـل الـوادِعِي مُفَرَّغـةٍ على موقعِه في هذا الرابط، سُئِلَ الشيخُ: لِمَاذا اِختَـرْتُمْ مَنهَجَ الجَرْحِ والتعديلِ طَرِيقًا؟، مع أنَّه في نَظَرِ كثير مِنَ الدُّعاةِ والمُصلِحِين يَعُدُّونه سَبَبًا في تَفَكُّكِ الأُمَّةِ وسَـبِيلًا إلى بُغْضِ مَن يَنْحُــو هــذا المَنْحَى؟، مُحتَجِّين بــأَنَّ زَمَن الجَـرْحِ والتَّعـدِيلِ قـد اِنتَهَى مـع زَمَنِ الرِّوايَـةِ؟. فأجـابَ الشيخُ: إذا تَرَكْنـا الجَـرْحَ والتَّعـدِيلَ صـارتْ كَلِمـةُ الشـيخ الإمامِ القُدوةِ الشيخ ابنِ بـاز [مُفْتِـي الـدِّيَار السُّـعُودِيَّةِ] وكَلِمـةُ عَلِيٍّ الطنطـاويِّ [وهـو القاضِـي في المَحكَمـةِ الشَّــرعِيَّةِ بِدِمَشْــقَ، وهــو مِن أعلام (جَماعــةِ الإخــوانِ المُسلِمِين) في سُورِيَا، وقد تُوُفِّيَ عـامَ 1999هــ. وقـد قالَ الشيخُ الألباني في مَقْطَعٍ صَـوتيٍّ مُفَـرَّغ على هـذا الرابط: الطنطـاويُّ يُفْتِي ببعض الفَتـاوَى يُخـالِفُ فيهـا السُّنَّةَ الصحيحةَ، فالمُقَدَّمُ عنـده -كمـا هـو مُصِـيبةُ كثـير مِنَ الناس اليومَ- هو تَرجِيحُ التَّيسِـير على النـاس أو أنَّ المَصلَحةَ هكذا تَقتَضِي، ويُلحَقُ بهذا محمد الغزالي... ثم قـالَ -أي الشـيخُ الألبـاني-: هـذا [يَعْنِي الغـزالي] رَجُـلٌ كَيْفِيٌّ [أي اِعتِبـاطِيٌّ مُتَحَكِّمٌ]، لا أُصـولَ لـه ولا مَراجِـعَ، فَلَا هُوَ سَلَفِيٌّ، لأنَّ السَّلَفِيَّ يَرجِـعُ إلى الكِتـابِ والسُّـنَّةِ وعلى مَنهَجِ السَّلَفِ الصالحِ، وَلَا هُـوَ خَلَفِيٌّ، لأنَّ الخَلَفِيَّ

يكونُ مُتَمَذهِبًا بمَـذهَبِ، فليس هـو مُتَمَسِّـكًا، فهـو تـارَةً تَرَاه مع الحَنَفِيِّ، تارَةً مـع الشـافِعِيِّ، فهـو حَيْثُمَـا وَجَـدَ الهَوَى اِتَّبَعَه، كما قالَ الشاعرُ {وَمَا أَنَـا إِلَّا مِنْ غَزيَّةَ، إنْ غَـــوَتْ *** غَـــوَيْتُ، وَإنْ تَرْشُـــدْ غَزيَّةُ أَرْشَـــدُ}. انتهى باختصار] سَوَاءً، وَهُمَا لا سَوَاءٌ؛ فنحن مُحتـاجُون إلى أنْ يُبَيَّنَ حـــالُ حســـن الـــترابي ويوســـفَ القرضـــاوي وعبدِالمجيـد الزنـداني [أَحَـدِ كِبَـار مُؤَسِّـسِـي جَماعـةِ الإخـوانِ المُسـلِمِين في (اليَمَن)]، وهكـذا أيضًـا رُؤُوسُ الإخـوانِ المُسـلِمِين لا بُـدَّ أنْ تُبَيَّنَ أَحْـوالُهم، وعلمـاءُ الحُكوماتِ أيضًا لا بُدَّ أنْ تُبَيَّنَ أحْـوالُهم (الـذِين يُجـادِلون عن الحُكومـاتِ بالباطـلِ، ورَبُ العِـزَّةِ يقـولُ في كتابِـه الكريمِ {وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَـهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا})؛ والرسولُ صلى الله عليه وعلى آلـه وسـلم يقـولُ {إِنَّمَـا أَخَـافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ}، فإذا كان النـبيُّ صـلى اللـه عليـه وعلى آلـه وسلم يقولُ ذلك، وربُّ العِـزَّةِ يقـولُ في كتابِـه الكـريم {يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا إِنَّ كَثِـيرًا مِّنَ الأَحْبَـار وَالرُّهْبَـانِ لَيَـأْكُلُونَ أَمْـوَالَ النَّاس بِالْبَاطِـلِ وَيَصُـدُّونَ عَن سَـبِيلِ اللَّهِ}، والرسولُ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقـولُ {بِئْسَ أَخُـو الْعَشِـيرَةِ}، ويقـولُ كمـا في البُخَـاريِّ {مَـا أَظُنُّ فُلانًا وَفُلانًا يَعْرفَانِ مِنْ دِينِنَـا شَـيْئًا}، ويقـولُ {يَـا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَـا مُعَـاذُ}، ويقـولُ لأَبِي ذَرٍّ {إِنَّكَ امْـرُؤٌ فِيـكَ جَاهِلِيَّةٌ}، ويَقـولُ لِنِسـائه {إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَـوَاحِبَاتُ يُوسُفَ}؛ وإنَّنِي أَحْمَدُ اللهَ، فقد طَحَنَ الجَـرْحُ والتعـديلُ عبـدَالرحيم الطحـان [جـاءَ في كتـابِ (فتـاوى اللجنـة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء) أنَّ اللجنـةَ (عبـدالعزيز بن عبدالله بن باز وعبدالله بن غـديان وصـالح الفـوزان وعبـدالعزيز آل الشـيخ وبكـر أبـو زيـد) سُـئلَتْ: جاءَتْنـا أَشْـرطَةٌ مُسَـجَّلةٌ لعـالِمَين جَلِيلَين، همـا الشـيخ العلَّامـة محمـد ناصـر الـدين الألبـاني مُحَـدِّث الشَّـامِ، والشـيخ

العلَّامة مُقْبِل بن هادي الوادِعِي مُحَدِّث اليَمَن، يَتَحَـدَّثان فيهـا عن الداعيَـةِ المعـروفِ عبـدِالرحيم الطحـان، حيث إنَّهما جاءَتْهم استِفساراتٌ حولَ صِحَّةِ ما يقولُه الطحـان مِن أقاويلَ، منها (أنَّه يَذهَبُ إلى وُجوبِ تَقلِيدِ المَـذاهِبِ الأَرْبَعةِ، وأنَّ نَبْذَ تَقْلِيدِ هذه المَذاهِبِ ما هو إلَّا ضَـلَالٌ)؟. فأجابتِ اللجنةُ: إنَّه لا يَجِبُ تَقلِيدُ أَحَدٍ مِنَ العُلماءِ، وإنَّمـا يُؤْخَـذُ بقَـولِ العـالِم إذا وافَـقَ الـدَّلِيلَ؛ والـواجِبُ على الجَمِيـعِ اتِّبـاع الرسـولِ صـلى اللـهُ عليـه وسـلم، فهـو القُدْوةُ لِجَمِيعِ المؤمنِين، قالَ اللهُ تَعالَى {لَّقَدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، وقـالَ اللـهُ تَعـالَى {وَمَـا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـاكُمْ عَنْـهُ فَـانتَهُوا}. انتهى باختصار]، وقَرَّضَ لِسَانَ يوسفَ بن عبدِالله القرضـاوي؛ وإنِّني أَحْمَدُ اللهَ، المُبتَدِعةُ تَرْجُفُ أَفْئِدَتُهم مِن شَرِيطٍ... فَسُئِلَ -أي الشيخُ الوادِعِيُّ-: والذي يقولُ {إنَّه [أَيْ زَمَنَ الجَـرْحِ والتَّعـدِيلِ] اِنتَهَى مـع زَمَن الرِّوايَـةِ}؟. فأجـابَ الشـيخُ: الـذي يقـولُ إنَّه اِنتَهَى يـا إخـوانُ، هُمْ يَعْلَمـون أنَّهم مَجْرُوحون، مِن أجْلِ هذا ما يُريـدون أنْ يَتَكَلَّمَ أَحَـدٌ في الجَرْح والتَّعدِيلِ، فَهُمْ يَخَافون مِنَ الجَـرْح والتَّعـدِيلِ لأنَّهم يَعرفـون أنَّهم مَجْرُوحـون. انتهى باختصـار. وفي فتـوى للشـيخ ربيـع المـدخلي (رئيسُ قسـم السُّـنَّةِ بالدراسـات العليـا في الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة) على موقعـه [في هـذا الرابط]، سُـئلَ الشـيخُ {اِتَّخَذَ البعضُ السُّكوتَ عن أخطاء الجماعـات الإسـلامية مَنهَجًـا لـه، وَ[زَعَمَ] أنَّ هـذه هي الحِكمـةُ، وأصـبَحَ هـذا [السُّكُوتُ] مَنهَجًا له أتْباعٌ يَسِـيرون عليـه، مـا حُكْمُ هـذا المَنهَج الجَدِيدِ اليَومَ؟}؛ فأجابَ الشيخُ: أخشى أن يكـون هناك مُبالَغةٌ في هذا السؤال، أنـا لا أعتقـد عالِمًـا يَـرَى هذا المنهجَ؛ فَعَلَى فَرْض وُقوعِه ووُجودِه فإن هذا خطأ، ويجب على مَن يَقـولُ هـذا الكَلامَ ويُنَظِّرُ هـذا التَّنظِـيرَ ويُؤَصِّـلُ هـذا التأصـيلِ، يجب أن يتـوب إلى اللـه تبـارك

وتعـالى، فـإنَّ اللـهَ مَيَّزَ هـذه الأُمَّةَ وفَضَّـلَها على سـائر الأُمم بعدم السُّكوتِ، بل بالتصريح، والتوضـيح، والجهـادِ وعلى رَأْسِه الأمرُ بـالمَعروفِ والنَّهْيُ عن المُنكَـر {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَـرِ وَتُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ}، وقـد لَعَنَ اللـهُ بـني إسـرائيل لِاتِّخـاذِهم مِثْـلَ هـذا المَنهَج السُّـكوتِيِّ المُقِـرِّ للباطِـلِ المُغَلَّفِ بــ (الحِكمـةِ)، قـال {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِـكَ بِمَـا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُـوهُ، لَبِئْسَ مَـا كَـانُوا يَفْعَلُـونَ}، والرسـولُ يقـولُ {مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَـرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَـدِهِ، فَـإِنْ لَمْ يَسْـتَطِعْ فَبِلِسَـانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إيمَانٍ}؛ الأمرُ بالمَعروفِ والنَّهْيُ عن المُنكَر أصلٌ عظيمٌ مِن أصـولِ الإسـلام، لا يَقُـومُ الإسـلامُ إلَّا بـه، وَلَا تُحـرِزُ الأُمَّةُ التَّقَدُّمَ على سائر الأُمَمِ إلَّا إذا قاموا بِـه، فـإنْ هُمْ قَصَّـروا اِسـتَحقُّوا سَـخَطَ اللـهِ بَـلْ لَعْنَتَـه كَمـا لَعَنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فإذا قَصَّرْنا في هـذا الـدِّين وتَرَكْنـاه يَعبَثُ بـه أهلُ الأهواءِ والضَّلالِ وجارَيناهُمْ وسَـكَتْنا عنهم وَسَـمَّيْنا ذلك (حِكمةً)، فإنَّنا نَستَوجِبُ سَخَطَ اللهِ تبـارك وتعـالى، ونعـوذ باللـه مِن سَـخَطِه، ونسـأل اللـهَ -إنْ كـانَ لهـذا الصِّنفِ وُجودٌ- أنْ يَهدِيَهم، وأنْ يُبَصِّـرَهم بطَريـق الحَـقِّ، وأنْ يُبَصِّرَهم بِعَيبِهم العظيم الذي وَقَعوا فيـه فَيَخرُجـوا منه إلى دائرةِ الدُّعاةِ إلى اللهِ بِحَقٍّ، الآمِرين بـالمعروف والناهِين عن المُنكَر، الصادِعِين بـه {فَاصْـدَعْ بِمَـا تُـؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} كذلك اِصْدَعْ بِمَا تُـؤْمَرُ وَأَعْـرِضْ عَن المُبتَدِعِين الضَّـالِّين. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ عبدُالعزيز الراجحي (الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود في كلية أصول الدين، قسم العقيدة) في (شـرح "شـرح السـنة للبربهـاري"): فـالكفرُ يَهْـدِمُ الإسـلامَ، والبدعُ تُضْـعِفُ الإسـلامَ، ومَن عَظَّمَ صـاحبَ بدعـةٍ فقـد

أعانَ على هَدْمِ الإسلام، لأنـه أَعانَـه على الباطـل، ومَن تَبَسَّمَ في وَجْهِ مُبتدِع فقـد اسـتَخَفَّ بمـا أَنْـزَلَ اللـهُ عـز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم، وذلـك أنَّه يَنبَغِي للإنســانِ أنْ يَعْبِسَ في وَجْــهِ المُبتــدِع ولا يَتَبَسَّــمُ في وَجْهه. انتهى. وقالَ الشيخُ محمـد بنُ الأمين الدمشـقي في مقالــةٍ لــه بعنــوان (الحــوار الهــادي مــع الشــيخ القرضــاوي) على موقعــه في هــذا الرابط: والسَّــلَفُ الصالحُ رَضِيَ اللهُ عنهم لم يَقِفوا في مُحارَبَةِ أَهْلِ البِدَع والضَّلالِ، بالرَّدِّ عليهم وبَيَانِ باطِلِهم، بَلْ أَخَذوا يُحَذِّرون الناسَ مِن مُجالَسَتِهم أو مُحـادَثَتِهم أو التَّبَسُّـم إليهم أو السَّـلام عليهم أو رَدِّه عليهم، بَـلْ ويُحَـذِّرون أيضًـا مِن مُجاوَرَتِهم في الدُّور... ثم قالَ -أَي الشيخُ الدمشـقي-: رَحِمَ اللـهُ أئمَّةَ السَّـلَفِ، مـا أَصْـلَبَهم على الحَـقِّ، ومـا أَشَدَّهم على الباطِـلِ وأَهْلِـه، ولـذلك حَفِـظَ اللـهُ الـدِّينَ بهم، أَمَّا زَمانُنا فقد اِخْتَلَطَ فيه الأمْرُ، وضـاعَ الحَـقُّ في الباطِلِ، فلا تَمييزَ بين سُنِّيٍّ وبدْعِيٍّ، ولـو قلتَ لِأَحَـدِهم {اِتَّقِ اللهَ، ولا تَجلِسْ مع فُلَانِ، لأنَّه صاحِبُ بِدعةٍ}، قـالَ لك {اِتَّقِ اللـهَ أنتَ، ولا تَقَـعْ في أعـراض المُسـلِمِين}!. انتهى باختصار. وفي فيديو للشيخ صالح الفوزان (عضوُ هيئــةِ كِبــار العلمــاءِ بالــدِّيَار السـعوديةِ، وعضـوُ اللجنـةِ الدائمةِ للبحـوثِ العلميـةِ والإفتـاءِ) بعُنْـوانِ (حكم زيـارة أهل البدع والأهـواء وعيـادتهم)، قـال الشـيخُ: زيـارتُهم لــدعوتِهم إلى اللــه وطَلَبِ التَّوبــةِ منهم طَيِّبٌ، زيــارةُ مرضاهم لِأجْلِ دعوتِهم لا بَأسَ، أما زيارتُهم لغـير دَعْـوةٍ لا يَجُـوزُ. انتهى باختصــار. وفي فيــديو للشــيخ صــالح الفوزان أيضا بعُنْوانِ (ما حُكْمُ مُجالَسةِ أَهْلِ البِـدَع بِحُجَّةِ التَّقَرُّبِ إليهم وتَعلِيمِهم الدِّينَ الصّحِيحَ؟)، قـالَ الشـيخُ: لا تَقْـرَبْ مِن أَهْـل البِـدَع أَبَـدًا، يُـؤَثِّرون عليـك، وتَـأْثَمُ بجُلوسِــك معهم، اِبتَعِــدْ عنهم إلَّا إذا دَعَتِ الحاجَــةُ إلى مُناظَرَتِهم وبَيَـانِ مـا هُمْ عليـه مِنَ الباطِـلِ وأنتَ عنـدك

أَهْلِيَّةٌ لذلك، فلا مـانِعَ، في حُـدُودٍ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ زكريا الأنصاري (ت926هـ) في (أسنى المطالب): تَجِبُ الْهِجْـرَةُ مِنْ دَارِ الْكُفْـرِ إلَى دَارِ الإسْـلَامِ عَلَى مُسْـتَطِيعٍ لَهَا إنْ عَجَزَ عَنْ إظْهَارِ دِينِهِ [قالَ الشيخُ حَمَـدُ بن عَتِيـق (ت1301هـ) في (سـبيل النجـاة والفكـاك من مـوالاة المرتدين والأتراك): الرَّجُلُ لا يكونُ مُظْهِرًا لدِينِـه حـتى يَتَبَرَّأَ مِن أهلِ الكُفْرِ الذي هو بَيْنَ أظْهُرِهم، ويُصَرِّحَ لهم بأنَّهم كفارٌ، وأنَّه عَدُوٌّ لهم، فإنْ لم يَحْصُـلْ ذلـك لم يَكُنْ إظهارُ الدِّين حاصِلًا. انتهى. وقالَ الشيخُ حَمَـدُ بن عَتِيـق أيضًا في (الدُّرَرُ السَّـنِيَّةُ في الأجْوبـةِ النَّجْدِيَّةِ): وإظهـارُ الدِّين تكفيرُهم، وعَيْبُ دِينِهم، والطَّعْنُ عليهم، والبراءةُ منهم، والتَّحَفُّظُ مِن مُـــــوَادَّتِهِمْ والرُّكـــــونِ إليهم، واعتزالُهم، وليس فِعْلُ الصلواتِ فقـط إظهـارًا للـدِّين؛ وقـــولَ القائـــلِ {إنَّا نعـــتزِلُهم في الصـــلاةِ، ولا نأكـــلُ ذَبِيحَتَهم} حَسَنٌ، لكنْ لا يَكْفِي في إظهار الدِّين وحـــده، بل لا بُدَّ مِمَّا ذُكِرَ. انتهى. وقالَ الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ (رئيس القضاة ومفتى الـديار السـعودية ت1389هـ): وإظهـارُه دِينَـه ليس هـو مُجَـرَّدَ فِعْلِ الصلاة وسائر فروع الـدين واجتنـاب محرماتـه مِنَ الربا والـزِّنَى وغـير ذلـك، إنمـا إظهـارُ الـدين مُجاهَرتُـه بالتوحيد والبراءةُ مما عليه المشركون مِنَ الشركِ باللـه في العبادة وغير ذلك مِن أنواع الكفـر والضـلال. انتهى من (فتاوى ورسائل الشـيخ محمـد بن إبـراهيم). وقـالَ الشـيخُ إسـحاقُ بنُ عبـدالرحمن بن حسـن بن محمـد بن عبدالوهاب (ت1319هـ): قال في الإقناع [لِلْحَجَّاوِيِّ (ت 968هـــ)] وشـــرحه [للبُهُـــوتِيِّ (ت1051هـــ)] {وَتَجِبُ الْهِجْـرَةُ عَلَى مَنْ يَعْجِـزُ عَنْ إظْهَـارِ دِينِـهِ بِـدَارِ الْحَـرْبِ، وَهِيَ مَـا يَغْلِبُ فِيهَـا حُكْمُ الْكُفْـرِ، زَادَ جَمَاعَـةٌ [أَيْ مِنَ العلماءِ] وَقَطَعَ بِهِ فِي الْمُنْتَهَى [يعني (منتهى الإرادات) لابن النجـــار] (أَوْ بَلَـــدِ بُغَـــاةٍ، أَوْ بِـــدَعٍ مُضِـــلَّةٍ كـــرفض

واعتزال)، فَيَخْـرُجُ مِنْهَـا إلَى دَارِ أَهْـلِ السُّـنَّةِ وُجُوبًـا إنْ عَجَزَ عَنْ إظْهَارِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيهَا}... ثم قـال -أي الشـيخُ إسـحاقُ-: وقـال الشـيخ العلامـة حَمَـدُ بن عَتِيـق رحمـه اللـه [في (سـبيل النجـاة والفكـاك من مـوالاة المرتدين والأتراك)] {وأما مسألة إظهار الـدين، فكثـير من الناس قد ظَنَّ أنـه إذا قَـدِرَ أن يتلفـظ بالشـهادتين، وأن يصلي الصلوات الخمس ولا يُرَدُّ عن المساجد، فقـد أظْهَرَ دينَه وإن كان ببلد المشركِين، وقد غَلَطَ في ذلـك أقْبَحَ الغَلَطِ}، قال [أي الشيخُ حَمَدُ] {ولا يكون المسـلمُ مُظِهرًا للدين، حتى يُخالِف كلَّ طائفة بما اُشْـتُهِرَ عنهـا، ويُصَرِّحَ لها بعداوته، فمَن كـان كُفْـرُه بالشـركِ فإظهـارُ الـدين عنـده أن يُصَـرِّحَ بالتوحيـد، والنَّهْي عن الشـرك والتحذير منه، ومَن كـان كُفْـرُه بجحـد الرسـالة فإظهـارُ الدِّين عنده التصريح بأنَّ محمدا رسـولُ اللـهِ، ومَن كـان كُفْرُه بترك الصلاة فإظهار الـدين عنـده بفعـل الصـلاة، ومَن كـان كُفْــرُه بمــوالاة المشــركِين والــدخول في طاعتهم فإظهارُ الدين عنده التصريح بعداوتـه والـبراءة منـه ومِن المشـركِين}... إلى آخـر كلامـه رحمـه اللـه تعالى؛ فالحاصل هـو مـا قَـدَّمناه، مِن أنَّ إظهـارَ الـدين الذي تبرأ به الذمةُ، هو الامتيازُ عن عُبَّادِ الأَوْثانِ بإظهـار المعتقد، والتصريحُ بما هو عليه [أي وتصريحُ المُوَحِّدِ بما هو عليه مِمَّا يُخالِفُ فيه المشركين]، والبُعْدُ عن الشرك ووسائله، فمَن كان بهذه المثابةِ إنْ عَرَفَ الـدينَ بدليلِـه وأَمِنَ الفتنةَ، جـاز لـه الإقامـةُ؛ بَقِيَ مسـألةُ العـاجز عن الهجرة، ما يَصْنَعُ؟، قـال الوالـدُ [الشـيخ عبـدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ت1285هـ)] رحمه الله لَمَّا سُـئِلَ عنـه {وأما إذا كان المُوَحِّدُ بين ظهراني أنـاس مِنَ المبتدعـةِ والمشـركِين، ويعجـزُ عن الهجـرةِ، فعليـه بتقـوى اللـه ويعتزلُهم ما استطاعَ، ويَعْمَلُ بما وَجَبَ عليه في نَفْسِه، ومع مَن يُوافِقُه على دِينِه، وعليهم أنْ يَصْبِروا على أَذَى

مَن يُـؤذِيهم في الـدين، ومَن قَـدِرَ على الهجـرة وَجَبَتْ عليه}. انتهى باختصـار من (الأجوبـة السَّـمعيَّات لحـلِّ الأسـئلة الروَّافيَّات، بعنايـة الشـيخ عـادل المرشـدي). وقـالَ الشَّـوْكَانِيُّ في (الفتح الربـاني): والقاعِـدُ عن الهجـرةِ داخِـلٌ تَحْتَ قَولِـه تَعـالَى {إِنَّكُمْ إذًا مِّثْلُهُمْ}. انتهى]، سَـوَاءٌ الرَّجُـلُ وَالْمَـرْأَةُ (وَإِنْ لَمْ تَجِـدْ مَحْرَمًـا)، وَكَذَا كُلُّ مَنْ أَظْهَرَ حَقًّا بِبَلْدَةٍ مِنْ بِلَادِ الإِسْلَامِ وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إظْهَارِهِ تَلْزَمُهُ الْهِجْرَةُ مِنْهَا؛ فَـإِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْهِجْرَةَ فَهُوَ مَعْـذُورٌ إلَى أَنْ يَسْـتَطِيعَ؛ وَإِنْ قَـدَرَ عَلَى إظْهَـار دِينِـهِ لِكَوْنِـهِ مُطَاعًـا فِي قَوْمِـهِ أَوْ لِأَنَّ لَـهُ عَشِـيرَةً تَحْمِيـه (وَلَمْ يَخَـفْ فِتْنَـةً فِيـهِ [أَيْ فِي دِينِـهِ]) اُسْتُحِبَّ لَهُ أَنْ يُهَاجِرَ لِئَلَّا يَكْثُرَ سَوَادُهُمْ أَوْ يَمِيلَ إلَيْهِمْ أَوْ يَكِيـدُوا لَـهُ. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ إسـحاقُ بنُ عبـدالرحمن بن حسـن بن محمـد بن عبـدالوهاب (ت 1319هـ): وَكَلَامُ أبي عبدالله الحليمي في هـذا المَقـامِ واضِحٌ، فإنَّه قالَ [في المنهاج في شعب الإيمان] {وكُلُّ بَلَدٍ ظَهَرَ فيهـا الفسـادُ، وكـانت أيـدي المفسـدِين أعلى مِن أيدي أهل الصـلاح، وغَلَبَ الجهـلُ، وسُـمِعَتِ الأهـواءُ فيهم، وضَعُفَ أهلُ الحق عن مقاوَمَتِهم، واضْـطُرُّوا إلى كتمانِ الحَقِّ خوفًا على أنْفُسِهم مِنَ الإعلانِ، فهو كَمَكَّةَ قَبْلَ الفتح في وجوب الهجرة منها، لعدم القدرة عليها، ومَن لم يُهـاجِرْ فهـو مِنَ السُـمَحَاءُ بِدِينِـه [أَيْ مِنَ المتسـاهلِين في دِينِـه]}؛ وقـال [أيْ عبدالله الحليمي] {ومِنَ الشُّـحِّ بالـدِّين [أيْ ومِنَ الحِـرْص على الـدِّين] أنْ يُهاجِرَ المسلمُ مِن موضع لا يُمْكِنُه أنْ يُوَفِّيَ الـدِّينَ فيـه حُقوقَـه، إلى موضـع يُمْكِنُـه فيـه ذلـك}. انتهى من (الأجوبـة السَّـمعيَّات لحـلِّ الأسـئلة الروَّافيَّات، بعنايـة الشيخ عـادل المرشـدي). وَقـالَ اِبْنُ كثـير في (البدايـة والنهايـة): وَقَـدِ اعْتَـزَلَ جَمَاعَـةٌ مِنَ السَّـلَفِ النَّاسَ، وَالْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَهُمْ أَئِمَّةٌ كِبَارٌ، كَأَبِي ذَرٍّ، وَسَـعْدِ بْنِ

أَبِي وَقَّاص، وَسَعِيدِ بْن زَيْدٍ، وَسَلَمَةَ بْن الأَكْوَع، فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، حَتَّى اعْتَزَلُوا مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي الصَّلَاةُ فِيهِ بِأَلْفِ صَلَاةٍ؛ وَاعْتَزَلَ مَالِكٌ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ الْحَدِيثَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَكَانَ لَا يَشْهَدُ جُمُعَةً وَلَا جَمَاعَةً، وَكَانَ إِذَا لِيمَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ (مَا كَلُّ مَا يُعْلَمُ يُقَالُ)، وَقِصَّتُهُ مَعْرُوفَةٌ؛ وَكَذَلِكَ اِعْتَزَلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَخَلْقٌ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، لِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الظُّلْم وَالشُّرُورِ وَالْفِتَنِ خَوْفًا عَلَى إِيمَانِهِمْ أَنْ يُسْلَبَ مِنْهُمْ؛ وَقَدْ ذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ [ت388هـ] فِي كِتَابِ (الْعُزْلَةِ) وَكَذَلِكَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا [في كتابِه (الْعُزْلَةُ وَالانْفِرَادُ)، وقد تُوُفِّيَ عامَ 281هـ] قَبْلَهُ مِنْ هَذَا جَانِبًا كَبِيرًا. انتهى. وجاءَ في كِتابِ (إجابة فضيلة الشيخ علي الخضير على أسئلة اللقاء الذي أُجْرِيَ مع فضيلته في مُنْتَدَى "السلفيون") أنَّ الشيخَ سُئِلَ {ما واجبُ الآباءِ والأُمَّهَاتِ في بلادِ الغَرْبِ تِجَاهَ أبنائِهم وبَنَاتِهم؟، وما هو السبيلُ لحِفْظِهم مِنَ الانْزلاق في مَهَاوي الرَّدَى والانْحِطاطِ، والاتِّباع للكفار وأعمالِهم وأَخْلاقِيَّاتِهم؟}، فكان مِمَّا أجابَ به الشيخُ: واعْلَمْ يا أخِي أنَّ بَقَاءَهم في بلادِ الكفر، ودار الكفرِ والحربِ، أمْرٌ خَطِيرٌ، قالَ صلى الله عليه وسلم {أَنَا بَرِيءٌ مِمَّن أقامَ بَيْنَ ظَهْرَانَي الْمُشْرِكِينَ} رواه أبو داود، وقالَ إبراهيمُ {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِين}، والسبيلُ الوحيدُ [هو] الهجرةُ مِن بلادِ الكُفر -بالإجماع، مع القُدرةِ عليها- إلى بَلَدِ الإسلام الذي تَتَمَكَّنون فيه مِن إقامةِ دِينِكم، إنْ تَيَسَّرَ ذلك، فإنْ لم يَتَيَسَّرْ ذلك [فَعَلَيْكُمْ حِينَئِذٍ] أنْ تَعْتزلوا الكفارَ (وهي مِلَّةُ إبراهيمَ "وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُون اللَّهِ") مع جِهادِهم ودَعْوَتِهم. انتهى. وقالَ الشيخُ سلطانُ العيد (إمام وخطيب جامع خالد بن الوليد بحي البديعة بالرياض) في مُحاضَرةٍ

بعنــوان (كَشْــفُ الغُمَّةِ عن أهــل الغُربــة) مُفَرَّغَــةٍ على موقعـه في هـذا الرابط: وأمَّا فتنـةُ الشُّـبهاتِ والأهـواءِ المُضِـلَّةِ، فَبِسَـبَبِها تَفَـرَّقَ أهـلُ القِبلـةِ وصـاروا شِـيَعًا، وصـاروا أعـداءً وفِرَقًـا وأحزابًـا بعـدَ أن كـانوا إخوانًـا، قُلُوبُهم على قَلْبِ رَجُلِ واحِدٍ، فَلَمْ يَنْجُ مِن هـذه الفِـرَق إلَّا الفرقةُ الواحِدةُ الناجِيَـةُ، وَهُمُ المـذكورون في قولِـه صـلَّى اللــه عليــه وســلَّم {لَا تَــزَالُ طَائِفَــةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَـذَلَهُمْ أَوْ خَـالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْـرُ اللـهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِـكَ} [قـالَ الشـيخُ أبـو سلمان الصومالي في (تأييد ومناصـرة للبيـان الختـامي لعلمـاء الولايـات الإسـلامية في الصـومال): والظُّهـورُ وَالْغَلَبَةُ بِالحُجَّةِ والبَيَانِ دائمًا، وبالسَّيفِ والسِّـنَانِ أحيانًـا أو غالِبًـا لِأنَّ الحَـرْبَ سِـجالٌ والأيَّامَ دُوَلٌ] [قـالَ الشَّـيخُ عبدُاللـه الخليفي في (تَقـويمُ المُعاصِـرين): قـالَ اللـهُ تَعالَى {وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنكُمْ وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْـتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُـدُونَنِي لَا يُشْـرِكُونَ بِي شَـيْئًا وَمَن كَفَـرَ بَعْــدَ ذَلِــكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِــقُونَ}، فَجَعَــلَ شَــرْطَ الاســتِخلافِ الإيمــانَ الصَّــحِيحَ والعَمَـلَ الصَّـالِحَ وتَـرْكَ الشِّــركِ، فَـدَلَّ على [أنَّ] الاعتِقـاداتِ الباطِلـةَ والبِـدَعَ العَمَلِيَّةَ والشِّـركَ هي أكبَـرُ عـائق لِلتَّمكِين؛ وقـالَ اللـهُ تَعالَى {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ، إنَّ اللَّهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيــزٌ، الَّذِينَ إن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَـاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}، فَجَعَلَ التَّمكِينَ والنُّصرةَ لِأهلِ الأمْـر بِـالمَعروفِ والنَّهي عن المُنكَر، وأعظَمُ المَعـروفِ التَّوحِيـدُ والسُّـنَّةُ وأعظَمُ المُنكَر الشِّركُ والبِدعةُ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ محمـد بن يوسف الصالحي الشامي (ت942هـ) في (سـبل الهـدى والرشاد في سيرة خـير العبـاد، تحقيـق وتعليـق الشـيخ

عادل أحمد عبدالموجود): (سِجَالٌ) جَمْعُ سَجْل، أَيْ مَرَّةً لَنَا وَمَرَّةً عَلَيْنَا. انتهى باختصار. وقالَ ابنُ المُلَقِّن (ت 804هـ) في (التوضيح لشرح الجامع الصحيح): (دُوَلٌ) جَمْعُ دَولَةٍ، وَمَعْنَاهُ رُجُوعُ الشَّيْءِ إلَيْكَ مَرَّةً وَإلَى صَاحِبِكَ أُخْرَى تَتَدَاوَلانِهِ. انتهى باختصار. وقالَ الأُلُوسِيُّ فِي (رُوحُ الْمَعَانِي): إنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْصُرُ الْكَافِرَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا يُغَلِّبُهُ أَحْيَانًا اسْتِدْرَاجًا وَابْتِلَاءً لِلْمُؤْمِن، وَأَيْضًا لَوْ كَانَتِ النُّصْرَةُ دَائِمًا لِلْمُؤْمِنِينَ **لَكَانَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي الإيمَانِ عَلَى سَبِيلِ الْيُمْنِ وَالْفَأْلِ، وَالْمَقْصُودُ غَيْرُ ذَلِكَ**... ثم قالَ -أي الأُلُوسِيُّ-: فَإِنَّ الْكُفَّارَ إذَا غَلَبُوا أَحْيَانًا اِغْتَرُّوا وَأَوْقَعَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي أَوْحَالِ الأمَلِ وَوَسْوَسَ لَهُمْ فَبَقَوْا مُصِرِّينَ عَلَى الْكُفْر فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِذُنُوبِهِمْ وَخَلَّدَهُمْ فِي النَّار. انتهى باختصار. وقالَ الْبَغَوِيُّ في (معالم التنزيل) عند تَفسِير قَولِه تَعالَى (وَتِلْكَ الأَيَّامُ **نُدَاوِلُهَا** بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ): قَالَ الزَّجَّاجُ {الدَّوْلَةُ تَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكُفَّار، لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)، وَكَانَتْ يَوْمَ أُحُدٍ لِلْكُفَّار عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}... ثم قالَ -أي الْبَغَوِيُّ-: إِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْمُدَاوَلَةُ لِيَرَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا فَيُمَيِّزُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِق وَيُكْرِمُ أَقْوَامًا بِالشَّهَادَةِ. انتهى باختصار. وقالَ الشَّيخُ محمد أبو زهرة (عُضْوُ مجمع البُحوثِ الإسلامِيَّةِ، والْمُتَوَفَّى عامَ 1394هـ) في (زهرة التفاسير): وَقَدْ نَبَّهَ سُبْحَانَهُ إِلَى طَرِيق الاسْتِفَادَةِ مِنَ الْهَزيمَةِ [أيْ هَزيمةِ المُؤمِنِين يَومَ أُحُدٍ]، بِأَنْ نُخَلِّصَ أَنْفُسَنَا مِنْ شَوَائِبِهَا، وَنُمَحِّصَ جَمَاعَتَنَا، فَهَلْ لَنَا أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ ذَلِكَ؟!، إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدَاولُ بَيْنَ النَّاسِ، وَقَدْ دَالَتْ عَلَيْنَا الأزْمَانُ بِمَا فَعَلْنَا وَبِمَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَباسْتِخْذَائِنَا وَضَعْفِنَا... ثم قالَ -أيْ أبو زهرة-: لَا عَجَبَ فِي أَنْ يُهْزَمُوا لِأَنَّهُمْ خَالَفُوا قَائِدَهُمْ،

وَاللَّهُ سُــبْحَانَهُ وَتَعَــالَى قَــدَّرَ لَهُمْ تِلْــكَ الْهَزِيمَــةَ لِكَيْ يَعْتَبِرُوا، وَيُحْسِنُوا التَّدْبِيرَ، وَيُحْسِـنُوا الطَّاعَـةَ، وَيَحْتَرِمُـوا حَقَّ الْقِيَادَةِ الْحَكِيمَةِ الرَّشِيدَةِ، وَلِكَيْ يَتَّخِذُوا مِنَ الْهَزِيمَةِ عِلَاجًا لِلْأَخْطَاءِ الَّتِي سَبَّبَتْهَا وَتَوَقِّيًا فِي الْمُسْـتَقْبَلِ لَهَـا، وَلِكَيْ يَبُثَّ فِي نُفُوسِ أَهْـلِ الإيمَـانِ أَنَّ الْحَـرْبَ لَيْسَـتْ نَصْـرًا مُسْـتَمِرًّا، وَلَكِنَّ الْعَاقِبَـةَ فِي النِّهَايَـةِ لِأَهْـلِ الْحَـقِّ وَالْعَــدْلِ وَالرَّشَــادِ، وَهُنَــاكَ فَائِدَةٌ لِلْهَزِيمَــةِ أَنَّهَــا تُبَيِّنُ الصَّادِقَ الإيمَانِ مِنَ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِشَيْءٍ، فَفِي الْمِحْنَــةِ يَتَمَيَّزُ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ، وَإِذَا كَـانَ النَّصْـرُ فِي بَــدْرٍ قَــدْ فَتَحَ بَــابَ النِّفَـاقِ فَـدَخَلَ فِي الإِسْـلَام مَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِـهِ وَأَعْلَنُـوا الاعْتِقَـادَ [أيِ الإِسـلامَ] مَنْ يُبْطِنُـونَ خِلَافَهُ وَيُخْفُونَ مَا لَا يُبْدُونَ، فَـإِنَّ الْهَزِيمَـةَ فِي أُحُـدٍ قَـدْ كَشَفَتِ النِّفَاقَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَحَسْبُهَا ذَلِـكَ فَائِدَةً. انتهى باختصار. وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت538هــ) فِي (الكَشَّـافُ): إنْ كَانَتِ الدَّوْلَـةُ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ فَلِلتَّمْيِـيز والاسْتِشْـهَادِ وَالتَّمْحِيص وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا هُوَ أَصْلَحُ لَهُمْ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى الْكَافِرِينَ فَلِمَحْقِهمْ وَمَحْو آثَارهِمْ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ عليُّ بنُ نايف الشحود في (المهذب في عوامـل النصـر والهزيمـة): وقـد تَكَلَّمَ الإمـامُ الـرَّازيُّ عن الحِكمـةِ في مُداوَلةِ الأيَّام بَيْنَ الناس فَقـالَ {وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُـرَادُ مِنْ هَذِهِ الْمُدَاوَلَـةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَـالَى تَـارَةً يَنْصُـرُ الْمُـؤْمِنِينَ وَأُخْـرَى يَنْصُـرُ الْكَـافِرِينَ، وَذَلِـكَ لِأَنَّ نُصْـرَةَ اللَّهِ مَنْصِـبٌ شَرِيفٌ وَإِعْزَازٌ عَظِيمٌ، فَلَا يَلِيقُ بِالْكَـافِرِ، بَـلِ الْمُـرَادُ مِنْ هَذِهِ الْمُدَاوَلَةِ أَنَّهُ تَارَةً يُشَدِّدُ الْمِحْنَةَ عَلَى الْكُفَّارِ وَأُخْــرَى عَلَى الْمُــؤْمِنِينَ، وَالْفَائِدَةُ فِيــهِ مِنْ وُجُــوهٍ؛ الأَوَّلُ، أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ شَـدَّدَ الْمِحْنَـةَ عَلَى الْكُفَّارِ فِي جَمِيـع الأَوْقَـاتِ وَأَزَالَهَا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيـع الأَوْقَـاتِ لَحَصَـلَ الْعِلْمُ الاضْطِرَارِيُّ بِأَنَّ الإيمَانَ حَقٌّ وَمَا سِوَاهُ بَاطِلٌ، وَلَـوْ كَـانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ التَّكْلِيـفُ وَالثَّوَابُ وَالْعِقَـابُ، فَلِهَـذَا الْمَعْنَى تَارَةً يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمِحْنَةَ عَلَى أَهْلِ الإيمَـانِ، وَأُخْـرَى عَلَى

أَهْـلِ الْكُفْـرِ لِتَكُـونَ الشُّـبَهَاتُ بَاقِيَـةً وَالْمُكَلَّفُ يَـدْفَعُهَا بِوَاسِطَةِ النَّظَـرِ فِي الـدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى صِـحَّةِ الإِسْـلَامِ فَيَعْظُمُ ثَوَابُـهُ عِنْـدَ اللَّهِ؛ وَالثَّانِي، أَنَّ الْمُـؤْمِنَ قَـدْ يُقْـدِمُ عَلَى بَعْضِ الْمَعَاصِـي، فَيَكُـونُ عِنْـدَ اللَّهِ تَشْـدِيدُ الْمِحْنَـةِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا أَدَبًا لَهُ، وَأَمَّا تَشْدِيدُ الْمِحْنَـةِ عَلَى الْكَـافِرِ فَإِنَّهُ يَكُونُ غَضَبًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْـهِ؛ وَالثَّالِثُ، وَهُـوَ أَنَّ لَـذَّاتِ الدُّنْيَا وَآلَامَهَا غَيْرُ بَاقِيَةٍ، وَأَحْوَالُهَا غَيْـرُ مُسْـتَمِرَّةٍ، وَإِنَّمَـا تَحْصُلُ السَّعَادَاتُ الْمُسْتَمِرَّةُ فِي دَارِ الْآخِرَةِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى يُمِيتُ بَعْدَ الإِحْيَاءِ، وَيُسْقِمُ بَعْدَ الصِّحَّةِ، فَإِذَا حَسُـنَ ذَلِـكَ فَلِمَ لَا يَحْسُـنُ أَنْ يُبَـدِّلَ السَّـرَّاءَ بِالضَّـرَّاءِ وَالْقُـدْرَةَ بِالْعَجْزِ}. انتهى. وقالَ الشيخُ اِبنُ عـثيمين (عُضـوُ هَيْئـةِ كِبارِ العُلَماءِ) في تَفْسِيرِه، عند تَفسِيرِ قَولِـه تَعـالَى (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُـهُ، وَتِلْـكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا وَيَتَّخِـذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ): يَقـولُ [تَعـالَى] {فَقَـدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَـرْحٌ مِّثْلُـهُ} يَعنِي إنْ يَمْسَسْـكُمْ جِـراحٌ وأَلَمٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ (يَعنِي جِراحٌ وأَلَمٌ)، وفي هذا تَسلِيَةٌ لِلمُؤْمِنِين، لِأَنَّ الإنسـانَ إذا عَلِمَ أنَّ عَـدُوَّه أصـابَه مِثلُ ما أصابَه فَإنَّه تَهونُ عليـه المُصِـيبةُ... ثم قـالَ -أي الشيخُ اِبنُ عـثيمين-: قَولُـه تَعـالَى {إِن يَمْسَسْـكُمْ قَـرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ} المُـرادُ بـه التَّسـلِيَةُ، أيْ أنَّه إذا كُنتم أُصِبْتُم في أُحُـدٍ فَـإنَّ القَـومَ قـد أُصِـيبوا بِقَـرْحٍ مِثْلِـه، في نَفْسِ الغَـزوةِ أيضًـا قُتِـلَ مِنَ المُشـرِكِين مَن قُتِلَ وهُزِموا [أي المُشركون في أَوَّلِ المَعرَكةِ] لَـولا أنَّ اللهَ سُبحانَه [وَ]تَعالَى أرادَ بِحِكمَتِه أنْ يُخالِفَ بَعضُ الجُنْدِ [المُسلِمِين] المَوقِفَ الـذي أَمَـرَهم بـه النَّبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَصَلَ فِيما بَعْدُ أنْ كانَ خِلافُ المُـرادِ... ثم قالَ -أي الشيخُ اِبنُ عثيمين-: قالَ [تَعالَى] {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُـدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}، يَعنِي هـذه الأيَّامُ نَجعَلُهـا دُوَلًا، فتَـارَةً تَكـونُ الأَيَّامُ لِهـؤلاء، وتـارةً تَكـونُ الأَيَّامُ لِهـؤلاء،

فاللَّهُ عَزَّ وجَلَّ هو الذي بِيَدِه الأمرُ، حتى إنَّ الدَّولةَ تَكونُ في بَعض الأحيَانِ لِأعدائه على أوْلِيَائه لِحِكَمٍ يُريدُها، فَفِي بَدْر كانَتِ الدَّولةُ على المُشركِين، وفي أُحُدٍ كانَتِ الدَّولةُ على المُؤمِنِين، فَهذا مَرَّةً وهذا مَرَّةً، لِحِكَمٍ عَظِيمةٍ بَيَّنَها اللهُ سُبحانَه وتَعالَى فِيما بَعْدُ [يُشِيرُ إلى قَوْلِه تَعالَى {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ}]، وقَولُه {نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس} يَشمَلُ مُداوَلَتَها بَيْنَ أُمَّةٍ وأُمَّةٍ، ويَشمَلُ كذلك مُداوَلَتَها في الإنسانِ الواحِدِ، فالإنسانُ يَجِدُ يَومًا سُرورًا ويَجِدُ يَومًا آخَرَ حُزنًا، ولِهذا يُقالُ {دَوامُ الحالِ مِنَ المُحالِ، فالأيَّامُ دُوَلٌ}... ثم قالَ -أي الشيخُ ابنُ عثيمين-: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا}، أيْ يَعلَمَه مَوجودًا، أمَّا العِلمُ السابِقُ فَإنَّه يَعلَمُه أنَّه سَيُوجَدُ، وهناك فَرقٌ بَيْنَ عِلْمِه الشَّيءِ مَوجودًا حالَ وُجودِه وبَيْنَ عِلْمِه الشَّيءِ بِأنَّه سَيُوجَدُ، [فَإنَّ] عِلْمَ اللهِ السابِقِ لا يَتَرَتَّبُ عليه الجَزاءُ، وذلك لِأنَّ المُؤمِنَ لم يَكُنْ مَوجودًا بَعْدُ حتى يُجازَى أو لا يُجازَى، إنَّ اللهَ تَعالَى قد عَلِمَ الذِين آمَنوا مِن قَبْلُ، فَإنَّه سُبحانَه وتَعالَى كَتَبَ في اللَّوحِ المَحفوظِ مَقادِيرَ كُلِّ شَيءٍ إلى يَومِ القِيَامةِ، وقد عَلِمَ المُؤْمِنَ مِن غَيره مِن قَبْلُ... ثم قالَ -أي الشيخُ ابنُ عثيمين-: وقَولُه {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} كَيْفَ ذلك؟ لِأنَّ المُؤْمِنَ يَرضَى بِهذه المُداوَلةِ (بِمُداوَلةِ اللهِ الأيَّامَ بَيْنَ الناس)، يَرضَى بِها رضًا تامًّا، إنْ أصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ وإنْ أصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، ويَعْلَمُ أنَّ ذلك بِتَقدِيرِ اللهِ فَيَرضَى ويُسَلِّمَ، غَيرُ المُؤْمِنِ بِالعَكْس، إنْ أُصِيبَ بِسَرَّاءَ أَشِرَ [أيْ فَرِحَ ونَشِطَ] وبَطِرَ [أيْ تَكَبَّرَ وطَغَى]، وإنْ أُصِيبَ بِضَرَّاءَ ضَجِرَ وتَسَخَّطَ، يَقولُ اللهُ سُبحانَه وتَعالَى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} أيْ على طَرَفٍ، {فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ} والفِتنةُ هنا المُرادُ بِها ضِدُّ الخَير، {وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ} وكَمْ مِن إنسانٍ اِرتَدَّ لِأنَّه

أُصِــيبَ بِمُصِــيبةٍ وَالْعِيَــاذُ بِاللَّهِ، إِذَنْ {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} كَيْفَ كانَ هذا العِلمُ؟ نَقولُ، لِأَنَّ المُـؤْمِنَ يَرضَـى بِمُداوَلةِ اللهِ الأَيَّامَ بَيْنَ العِبادِ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَــبَرَ، أو سَـرَّاءُ شَـكَرَ، [وأمَّا] غَـيرُ المُـؤْمِنِ بِـالعَكْسِ، لا يَرضَـى بِقَضاء اللهِ وقَدَره، يَقولُ {لَوْ أَطَاعُونَـا مَـا قُتِلُـوا}، {لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَـا قُتِلُـوا}، ومـا أَشْـبَهَ ذلـك... ثم قـالَ -أي الشـيخُ اِبنُ عـثيمين-: قـالَ [تَعـالَى] {وَيَتَّخِـذَ مِنكُمْ شُـــهَدَاءَ}، فَهـــؤلاء الشُّـــهَداءُ اِتَّخَـــذَهُمُ اللـــهُ واصطَفاهم، ولَوْلَا مِثلُ هذه الهَزيمةِ لم يَكونـوا شُـهَداءَ، وَكَمْ مِن شَهيدٍ اِتَّخَذَهُمُ [اللهُ] في غَـزوةِ أُحُـدٍ؟، سَـبعونَ رَجُلًا، لَــوْلَا هــذا لم يَكُنْ هنــاك شُــهَداءُ... ثم قــالَ -أي الشـــيخُ اِبنُ عـــثيمين-: قَولُــه [تَعــالَى] {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}، فالظالِمُ، إِنْ كانَ ظُلْمُه ظُلْمَ كُفـر فَلا حَـظَّ لـه في مَحَبَّة اللـهِ، وإِنْ كـانَ ظُلْمُـه دُونَ ذلـك فَلَـه مِن مَحَبَّةِ اللهِ بِقَدْرِ ما معه مِنَ العَدلِ، ومِن كَراهةِ اللهِ بِقَدْر ما معـه مِنَ الظُّلْمِ... ثم قـالَ -أي الشـيخُ اِبنُ عـثيمين-: قَولُه {لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} قـد يَبـدُو غَريبًـا على القـارِئِ مُناسَبةُ هـذه الجُملـةِ بِمـا قَبْلِهـا {وَيَتَّخِـذَ مِنكُمْ شُـهَدَاءَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} كَيْفَ هذا؟، فَيُقالُ، الجَوابُ مِن وَجْهَين؛ الوَجـهُ الأَوَّلُ، أَنَّ المُـرادَ بِقَولِـه {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} بَيَانُ أَنَّ الذِين تَخَلَّفـوا عن غَـزوةِ أُحُـدٍ -وهُمْ مِقــدارُ ثُلُثِ الجَيش- لم يَكُنْ منهم شَــهيدٌ، لِأَنَّهم نَجَــوا بِأنفُسِهم، فَلِكَونِهم ظَلَمـةً لم يَتَّخِـذِ اللـهُ منهم شُـهَداءَ، فَيَكُـونُ ذلـك تَندِيــدًا بِالــذِين تَخَلَّفــوا ورَجَعـوا مِن أثنـاءِ الطَّريق، وَهُمْ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ [بْن سَلُولَ] ومَن تَبِعَه مِنَ المُنافِقِين، فَكَأَنَّه قالَ {اِتَّخَذَ منكم أيُّها الصَّفوةُ شُهَداءَ، ولم يَتَّخِـذْ مِن أولَئـك الـذِين نَكَصـوا على أعقـابِهم، لِأَنَّ هؤلاء ظَلَمةٌ واللـهُ لا يُحِبُّهم}؛ الوَجـهُ الثـانِي، أَنَّ الـذِين قُتِلوا في أُحُدٍ قُتِلوا على أَيدِي المُشركِين، والمُشـركون هُمُ الظـالِمون كَمــا قــالَ تَعــالَى {إِنَّ الشِّــرْكَ لَظُلْمٌ

عَظِيمٌ}، فَهَلِ اِنتِصارُ الظالِمِين في أُحُدٍ واستِشهادُ مَن أُستُشهدَ مِنَ المُسلِمِين في أُحُدٍ لِأنَّ اللهَ يُحِبُّ الظالِمِين ويَكْرَه المُؤْمِنِين؟، لا، إذَنْ {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} لِئَلَّا يَظُنَّ ظانٌّ أَنَّ اِنتِصارَ المُشركِين في تلك الغَزوةِ مِن مَحَبَّةِ اللهِ لَهم، فَبَيَّنَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أنَّه لا يُحِبُّ الظالِمِين... ثم قالَ -أي الشيخُ اِبنُ عثيمين-: مِن فَوائدِ هذه الآيَةِ؛ (أ)بَيَانُ رَأْفةِ اللهِ سُبحانَه وتَعالَى بِرَسولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابِه بِهذه التَّسلِيَةِ العَظِيمةِ {إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ}؛ (ب)أنَّ اللهَ سُبحانَه وتَعالَى **جَعَلَ هذه الدُّنيَا دُوَلًا تَتَقَلَّبُ، لِئَلَّا يَركَنَ الإنسانُ إليها**، لِأنَّ الدُّنيَا لَوْ كانَتْ دائمًا راحةً ونَعمةً رَكَنَ الإنسانُ إليها ونَسِيَ الآخِرةَ، ولَوْ كانَتْ دائمًا مِحنةً ونِقمةً لَكانَتْ عَذابًا مُستَمِرًّا، ولَكِنَّ اللهَ جَعَلَها دُوَلًا يُدالُ فيها الناسُ بَعضُهم على بَعض، **وتَتَداولُ الأحداثُ على الإنسانِ** ما بَيْنَ خَير وشَرٍّ؛ (ت)[بَيَانُ] تَمَام سُلطانِ اللهِ سُبحانَه وتَعالَى في خَلقِه، وأنَّ له التَّدبِيرَ المُطلَقَ؛ (ث)أنَّ اللهَ سُبحانَه وتَعالَى قد يَمْتَحِنُ العَبدَ لِيَعلَمَ إيمانَه مِن عَدَمِه، بِماذا يَمتَحِنُه؟، بِأنواع مِنَ الامتِحاناتِ، **تارةً بِالمَصائبِ وتارةً بِالمَعائبِ**، فَهنا [أيْ في الآيَةِ] اِبتِلاءٌ بِماذا؟ بِالمَصائبِ، وإذا يَسَّرَ اللهُ لِلإنسانِ أسبابَ المَعصِيَةِ فَهذا اِبتِلاءٌ بِتَيسِيرِ المَعائبِ، مِثْلَ قَولِه تَعالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ}، في هذه الآيَةِ حَرَّمَ اللهُ الصَّيدَ على المُؤْمِنِين وَهُمْ حُرُمٌ، فابتلاهم بِصَيدٍ تَنالُه أيدِيهم ورِماحُهم، يَعنِي يُمسِكُ الإنسانُ الصَّيدَ بِيَدِه وبِرُمحِه [وذلك لِقُربِ الصَّيدِ مِنْهُ] ما يَحتاجُ إلى سَهْم {لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ}؛ (ج)أنَّ عِلْمَ اللهِ سُبحانَه وتَعالَى بِالأشياءِ على قِسمَين، عِلْمٌ بِأنَّها سَتُوجَدُ وهذا أزَلِيٌّ، وعِلْمٌ بِأنَّها وُجِدَتْ وهذا يَكونُ عندَ الوُجودِ، ولِهذا قالَ {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا}؛

(ح)أنَّ اللهَ تَعالَى قد يُقَدِّرُ المَكروهَ لِحِكَم بالِغةٍ كَثِيرةٍ، لِقَولِه {لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ}؛ (خ)[بَيَانُ] فَضِيلةِ الشَّهادةِ، [فَ]قَولُه {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ} كَأَنَّه سُبحانَه اِصطَفَى هؤلاء الشُّهَداءَ واتَّخَذَهم لِنَفسِه؛ (د)إثباتُ المَحَبَّةِ لِلَّهِ، أنَّ اللهَ يُحِبُّ، وَجْهُ ذلك أنَّ نَفْيَها عن الظالِمِين يَدُلُّ على ثُبوتِها لِضِدِّهم، لِأنَّها لَو اِنتَفَتْ عن هؤلاء وهؤلاء لم يَكُنْ في نَفيِها عن الظالِمِين فائدةٌ؛ (ذ)التَّحذِيرُ مِنَ الظُّلم، لِقَولِه {لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}، [وَ]الحُكْمُ إذا عُلِّقَ بِوَصفٍ فَإنَّه يَزدادُ بِزيادَتِه ويَقوَى بِقُوَّتِه، ويَنقُصُ بِنَقصِه ويَضْعُفُ بِضَعفِه، فإذا كانَ اِنتِفاءُ المَحَبَّةِ مِن أجْلِ الظُّلْم، فَكُلَّما كانَ الإنسانُ أظلَمَ كانَ أبعَدَ عن مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. انتهى باختصار. قُلْتُ: ويَنبَغِي في هذا المَقام ألَّا نَنْسَى قَولَه تَعالَى {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا، نِّعْمَ الْعَبْدُ، إِنَّهُ أَوَّابٌ}، وقَولَه تَعالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ، بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ، وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}، وقَولَه تَعالَى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، وقَولَه تَعالَى {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}، وقَولَه تَعالَى {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}، وقَولَه تَعالَى {قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي، قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا، إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}، وقَولَه تَعالَى {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ

الصَّابِرينَ}، وقَولَه تَعالَى {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}، وقَولَه تَعالَى {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}، وقَولَه تَعالَى {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا}، وقَولَه تَعالَى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ، الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، وقَولَه تَعالَى {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا، وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}، وقَولَه تَعالَى {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، وقَولَه تَعالَى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ}، وقَولَه تَعالَى {وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وقَولَه تَعالَى {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا، وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا}، وقَولَه تَعالَى {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ [أي الجَنَّةَ] بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا}، وقَولَه تَعالَى {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}، وقَولَه تَعالَى {وَالصَّابِرينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْس، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، وقَولَه تَعالَى {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}، وقَولَه تَعالَى {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرينَ}، وقَولَه تَعالَى {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن

قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْـــرَكُوا أَذًى كَثِـــيرًا، وَإِن تَصْـــبِرُوا وَتَتَّقُـوا فَـإِنَّ ذَلِـكَ مِنْ عَـزْمِ الأُمُـورِ}، وقَولـه تَعـالَى {فَاصْبِرْ، إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}، وقَولـه تَعـالَى {يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُـوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، وقَولَـه تَعـالَى {أُولَئِكَ يُؤْتَـوْنَ أَجْـرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَـا صَـبَرُوا}، وقَولَـه تَعـالَى {إِلَّا الَّذِينَ صَـبَرُوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، وقَولَـه تَعـالَى {وَالْعَصْــرِ، إِنَّ الإِنسَــانَ لَفِي خُسْــرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُــوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ وَتَوَاصَـوْا بِـالْحَقِّ وَتَوَاصَـوْا بِالصَّـبْرِ}، وقَولَـه تَعـالَى {وَلَنَبْلُـوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِـدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ}، وقَولَه تَعالَى {رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ}، وقَولَه تَعالَى {وَاصْـبِرْ عَلَى مَا يَقُولُـونَ}، وقَولَـه تَعـالَى {وَمَـا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَـبْرًا وَتَوَفَّنَـا مُسْلِمِينَ}، وقَولَـه تَعـالَى {أَمْ حَسِـبْتُمْ أَن تَـدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَـدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّـابِرِينَ}، وقَولَه تَعالَى {وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْـلِ، كُـلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ، وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا، إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ}، وقَولَه تَعالَى {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَـا}، وقَولَـه تَعـالَى {وَلِرَبِّكَ فَاصْـبِرْ}، وقَولَـه تَعـالَى {وَاصْـبِرُوا، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، وقَولَه تَعالَى {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَـأْتِكُم مَّثَـلُ الَّذِينَ خَلَـوْا مِن قَبْلِكُم، مَّسَّـتْهُمُ الْبَأْسَـاءُ وَالضَّـرَّاءُ وَزُلْزِلُـوا حَتَّى يَقُـولَ الرَّسُـولُ وَالَّذِينَ آمَنُــوا مَعَــهُ مَتَى نَصْــرُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ نَصْــرَ اللَّهِ قَــرِيبٌ}، وقَولَـه تَعـالَى {يَـا بَنِيَّ اذْهَبُـوا فَتَحَسَّسُـوا مِن يُوسُـفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ، إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}، وقَولَه تَعـالَى {أَحَسِـبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُـوا أَن يَقُولُـوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُـونَ}، وقَولَـه صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْـلِ الـدُّنْيَا مِنْ أَهْـلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً [أَيْ يُغْمَسُ فِي النَّارِ

غَمْسَةً]، ثُمَّ يُقَالُ (يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَـطُّ؟ هَـلْ مَـرَّ بِـكَ نَعِيمٌ قَـطُّ؟)، فَيَقُـولُ (لَا وَاللَّهِ يَـا رَبِّ)، وَيُـؤْتَى بِأَشَـدِّ النَّاسِ بُؤْسًـا فِي الـدُّنْيَا مِنْ أَهْـلِ الْجَنَّةِ فَيُصْـبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ (يَا ابْنَ آدَمَ، هَـلْ رَأَيْتَ بُؤْسًـا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟، فَيَقُولُ (لَا وَاللَّهِ يَـا رَبِّ، مَـا مَرَّ بِي بُـؤْسٌ قَـطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِـدَّةً قَـطُّ)}، وقَولَـه صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {يُبْتَلَى الرَّجُـلُ عَلَى حَسَـبِ دِينِـهِ، فَـإِنْ كَانَ فِي دِينِـهِ صَـلَابَةٌ زِيـدَ فِي بَلَائِه، وَإِنْ كَـانَ فِي دِينِـهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْـهُ، وَلَا يَـزَالُ الْبَلَاءُ بِـالْمُؤْمِن حَتَّى يَمْشِـيَ عَلَى الأرْض وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ}، وقَولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُـلُ فَيُحْفَـرُ لَـهُ فِي الأرْض فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَار فَيُوضَـعُ عَلَى رَأْسِـهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْن وَيُمْشَطُ بِأَمْشَـاطِ الْحَدِيـدِ مَـا دُونَ لَحْمِـهِ وَعَظْمِهِ فَمَـا يَصُـدُّهُ ذَلِـكَ عَنْ دِينِـهِ}، وقَولَـه صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـــهِ وَسَــــلَّمَ {حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكـــارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّــهواتِ}]. انتهى]، وَهُمْ في آخِـر الزَّمَـان الغُرَبَـاءُ المذكورون في هذه الأحاديثِ {الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ} وَ{الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَـدَ النَّاسُ مِنَ السُّـنَّةِ} وَ{الَّذِينَ يَفِـــرُّونَ بِـــدِينِهِمْ مِنَ الفِتَنِ} وَ{النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ} لأَنَّهم قَلُّوا فلا يُوجَـدُ في كُـلِّ قبيلـةٍ منهم إلَّا الواحِـدُ والاثْنـان، وقـد لا يُوجَـدُ [أيْ في بعض القبائـل] منهم أَحَـدٌ، كَمـا كـانَ الـداخِلون إلى الإسـلام في أوَّلِ الأمر كذلك [قالَ الشيخُ عبدُالرحمن العقبي في (طائفةُ الغُرَباءِ المَغبـوطِين): والنُّزَّاعُ جَمـعُ نـازع أو نَزيـع، وهـو الذي نَزَع عن أهلِه وعَشِيرَتِه أيْ بَعُدَ وغابَ؛ وهَـلْ يَكـونُ نازِعًــا مَن لم يَرحَــلْ عن أهلِــه وعَشِــيرَتِه وبَقِيَ فيهم ولَكِنَّه كالغَريبِ الـذي جـاوَرَ عَشِـيرةً غـيرَ عَشِـيرَتِه فهـو كالغَريبِ المُجاور، وذلك لِأَنَّه صالِحٌ بَيْنَ أقاربَ سَـيِّئِين؟، أرجُو أنْ يَكونَ ذلـك... ثم قـالَ -أي الشـيخُ العقـبي: ولا شَـكَّ أنَّ هـذا النَّوعَ [يَعنِي الـذي بَعُـدَ وغـابَ] مِنَ النُّزَّاعِ

خَيرٌ مِنَ النَّوعِ الثانِي الذي بَقِيَ بَيْنَ أَهلِه وعَشِيرَتِه وهو كالغَرِيبِ بَيْنَهم. انتهى باختصار]... ثم قالَ -أي الشيخُ العيدُ-: قالَ الإمامُ الأوزاعيُّ في قولِه صلى اللهِ عليه وسلم (بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ) {أَمَا إنَّه ما يَذهبُ الإسلامُ، ولكِنْ يَذْهَبُ أهلُ السنَّة حتى ما يَبْقَى في البَلَدِ منهم إلّا رجلٌ واحدٌ}، ولِهذا المعنَى يُوجَدُ في كلام السلفِ كثيرًا مَدْحُ السُّنَّةِ ووَصْفُها بالغُرْبةِ ووَصْفُ أَهْلِها بالقِلَّةِ، فَكانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ [وُلِدَ عامَ 21هـ، وتُوُفِّيَ عامَ 110هـ] رَحِمَه اللهُ يقولُ لِأصحابِه {يَا أَهْلَ السُّنَّةِ، تَرَفَّقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّكُمْ أَقَلُّ النَّاس}، وقالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ [وُلِدَ عامَ 64هـ، وَتُوُفِّيَ عامَ 139هـ] رَحِمَه اللهُ {لَيْسَ شَيْءٌ أَغْرَبَ مِنَ السُّنَّةِ، وَأَغْرَبُ مِنْهَا مَنْ يَعْرِفُهَا} وقالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ [وُلِدَ عامَ 97هـ، وتُوُفِّيَ عامَ 161هـ] {اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ السُّنَّةِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ غُرَبَاءُ}، ومُرَادُ هؤلاء الأئمَّةِ بالسُّنَّةِ طريقةُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم التي كان هو وأصحابُه عليها... ثم ذَكَرَ -أي الشيخُ العيدُ- صفاتِ الغُرَباءِ الذِين أَثْنَى عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقالَ: ومِن صِفاتِهم الإنكارُ على مَن يُخالِفُ منهجَ السلفِ ويَمِيلُ إلى الأهواءِ، استجابةً لله وللرسولِ صلى الله عليه وسلم، قال الله سبحانه وتعالى {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ}، وقال الحبيبُ المُصطفَى والنبيُّ المُجْتَبَى صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه {مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ...} الحَدِيثَ، [وَ]قالَ ابنُ القيم [في (إعلام الموقعين)] {وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الطَّيِّبُ يَشْتَدُّ نَكِيرُهُمْ وَغَضَبُهُمْ عَلَى مَنْ عَارَضَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ أَو اِسْتِحْسَانٍ أَوْ قَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كَائِنًا مَنْ كَانَ،

وَيَهْجُـرُونَ فَاعِـلَ ذَلِـكَ، وَلَا يُسَـوِّغُونَ غَيْـرَ الانْقِيَـادِ لَـهُ وَالتَّسْـلِيم وَالتَّلَقِّي بِالسَّـمْعِ وَالطَّاعَـةِ [، وَلَا يَخْطُـرُ بِقُلُـوبِهِمُ التَّوَقُّفُ فِي قَبُولِـهِ حَتَّى يَشْـهَدَ لَـهُ عَمَـلٌ أَوْ قِيَـاسٌ أَوْ يُوَافِـقَ قَـوْلَ فُلَانِ وَفُلَانٍ]}؛ ومِن صِـفاتِهم الحِرْصُ على التَّمَيُّز والحَـذَرُ من التَّمَيُّع، فَهُمْ مـع قِلَّتِهم يُظْهِـرون السُّـنَّةَ ويُنْكِـرون الأهـواءَ المُضِـلَّةَ وإنْ كَثُـرَ المُخـالِفون، وَهُمْ مـع مـا يُلاقُونـه مِن عِظَم الغُرْبـةِ لا يَفْزَعون إلى تَمْيِيع منهج السلفِ أَبَـدًا أو إلغـاءِ الفُـرُوق بين السُّـنِّيِّ السـلفِيِّ وصـاحبِ الهَـوَى الخَلَفِيِّ بِـدَعْوَى {كِلَانـا على خَيْـر}! أو {نَفَـعَ اللـهُ بهم}! أو أنْ يقولـوا {كُلُّنـا مُسْـلِمون} إلى آخِـر عبـاراتِ التَّمْيِيـع وحُلُـولِ الوَسَطِ والتَّضْـيِيع، بَـلِ السُّـنِّيُّ السـلفيُّ وهـو في زَمَن الغُرْبةِ يَصْدَعُ بالحقِّ ويَرُدُّ على المُخالِفِ وإنْ أصبحَ غَرِيبًا وَحِيدًا؛ [وَ]فيمـا جَـرَى للإمـامِ أحمـدَ زَمَنَ المِحْنَـةِ عِظَـةٌ وعِبْـرَةٌ فإنَّه سُـجِنَ وجُـرِّدَ وأُوذِيَ أعْظَمَ الإيـذاءِ وبَقِيَ وَحِيدًا في تلك المِحْنَةِ غريبًا، ولكنَّه واللهِ ما لَانَ ولا مَالَ إلى المُخالِفِين أَبَدًا، بَلْ رَدَّ عليهم وبَـدَّعَهم حـتى نَصَـرَه اللهُ وأَعَزَّه، والإمامُ المُجَدِّدُ محمـد بنُ عبـدالوهاب أُوذِيَ وأُخْرِجَ وعادَاه مَن عادَاه فَلَمْ يَلِنْ أَبَدًا، ولو تَمَيَّعَ وتَنـازَلَ لَضَـاعَتْ دَعْوَتُـه السـلفيَّةُ. انتهى باختصـار. وجـاءَ في (المنتقى مِن فتاوى الشيخ صالح الفـوزان) أنَّ الشـيخَ سُئلَ {لقد تَفَشَّى بين الشَّبابِ وَرَعٌ كاذِبٌ، وهو أنَّهم إذا سَمِعوا الناصِحِين مِن طَلَبةِ العِلم أو العلماءِ يُحَذِّرون مِنَ البدع وأهلِها ويَذكُرون حقيقةَ ما هُمْ عليه، وقد يُوردون أسماءَ بعضِهم -ولو كان مَيِّتًا- لِافتِتانِ النـاس بـه، وذلـك دِفاعًا عن هـذا الـدِّين، وكَشـفًا لِلمُندَسِّـين بين صُـفوفِ الأُمَّةِ لِبَثِّ الفُرقـةِ والنِّزاع فيهـا، فَيَـدَّعون [أَيْ أصـحابُ الـوَرَع الكـاذِبِ] أنَّ ذلـك مِنَ الغِيبـةِ المُحَرَّمـةِ، فَمـا هـو قَولُكم في هذه المَسألةِ؟}، فأجابَ الشيخُ: القاعدةُ في هـذا [هي] التَّنبِيـهُ على الخَطَـأِ والانحِـرافِ وتَشخِيصُـه

لِلنَّاس، وإذا اِقتَضَى الأمـرُ أنْ يُصَـرَّحَ بِاسـم الأشـخاص حـتى لا يُغْتَـرَّ بهم، وخُصوصًـا الأشـخاصَ الـذِين عنـدهم اِنحِرافٌ في الفِكر أو اِنحِـرافٌ في السَّـير والمَنهَج وَهُمْ مَشهورون عنـد النـاس ويُحسِـنون بهم الظَّنَّ، فَلَا بَـأْسَ أنْ يُـذكَروا بِأسـمائهم وأنْ يُحـذَّرَ منهم؛ والعُلَمـاءُ بَحَثـوا في عِلْمِ الجَـرْحِ والتَّعـدِيلِ، فَـذَكَروا الـرُّواةَ ومـا يُقـالُ فيهم مِنَ القَـوادِحِ، لا مِن أَجْـلِ أشخاصِـهم، وإنَّمـا مِن أَجْلِ نَصِيحةِ الأُمَّةِ أنْ تَتَلَقَّى عنهم أشْيَاءً فيهـا تَجَنٍّ على الدِّين أو كَذِبٌ على رسولِ اللهِ صلى اللـه عليـه وسـلم؛ فالقاعِدةُ أنْ يُنَبَّهَ على الخَطَأِ، ولا يُذكَرُ صـاحِبُه إذا كـانَ يَتَـرَتَّبُ على ذِكْـره مَضَـرَّةٌ أو ليس لِـذِكْره فائـدةٌ، أمَّا إذا اِقتَضَى الأمرُ أنْ يُصَرَّحَ بِاسمِه لِتَحذِير النـاس منـه فهـذا مِنَ النَّصِـيحةِ للـهِ وكِتابِـه ورَسـولِه ولِأئمَّةِ المُسـلِمِين وعـامَّتِهم، خُصوصًـا إذا كـانَ لـه نَشـاطٌ بين النــاس ويُحسِنون الظَّنَّ به ويَقتَنون أشْـرطَتَه وكُتُبَـه، لا بُـدَّ مِن بَيَانٍ وتَحـذِير النـاس منـه لِأنَّ في السُّكوتِ ضَـرَرًا على النـاسِ، فلا بُـدَّ مِن كَشـفِه، لا مِن أَجْـلِ التَّجـريح أو التَّشَفِّي، وإنَّما مِن أَجْـلِ النَّصِـيحةِ للـهِ وكِتابِـه ورَسـولِه ولِأئمَّةِ المُسـلِمِين وعـامَّتِهم. انتهى باختصـار. وقـالَ الشيخُ عبدُالرحيم السلمي (عضو هيئة التـدريس بقسـم العقيـدة والأديـان والمـذاهب المعاصـرة بجامعـة أم القرى) في مُحاضَرةٍ بِعُنْوانِ (المذاهب الفكرية والأدبية المعاصـرة): عن أبِي إسـماعِيلَ الهَـرَويِّ [ت481هـ] أنَّه قالَ {عُرِضْتُ عَلَى السَّـيْفِ [أيْ هُـدِّدَ بِالقَتـلِ بِالسَّـيفِ] خَمْسَ مَـرَّاتٍ، لَا يُقَـالُ لِي (ارْجِـعْ عَنْ مَـذْهَبِكَ)، وإنَّمـا يُقَالُ لِي (اسْـكُتْ عَمَّنْ خَالَفَـكَ)، فَـأَقُولُ (لَا أَسْـكُتُ)}، لِماذا؟، لِأنَّ تَوضِيحَ الحَقِّ لِلنَّاسِ وكَشفِ باطِلِ المُبطِلِين ضَـروريٌّ مِنَ الضَّـروراتِ الشَّـرعِيَّةِ الأساسِـيَّةِ. انتهى. وقالَ الشـيخُ عبدُالسـلام بنُ بـرجس (الأسـتاذ المسـاعد في المعهد العالي للقضاء بالريـاض) في (الـرَّدُّ العلميُّ

على مُنْكِـري التصـنيفَ): فمَن كـانَ مِن أهـلِ السُّـنَّةِ فَلْيَحمِـدِ اللـهَ تعـالى على هـذا الفَضـلِ، وَلْيَسـأَلِ اللـهَ سبحانه وتعالى الثَّبَاتَ عليه، وأَمَّا مَن كان مِن غير أهلِها فَيَا لِخَيبَتِه مَا أَعْظَمَ مُصِـيبَتَه ومـا أَشَـدَّ خَسـارَتَه، فَلْيَعُـدْ إلى رَبِّه جَلَّ وعَلَا وَلْيُراجِعْ دِينَه؛ ومِن فَضْلِ اللهِ سبحانه وتعالى علينا أنه جل وعلا لم يُخْلِي زَمَنًا مِنَ الأزمانِ مِن أهـلِ السـنةِ، بِهمْ تَقُـومُ حُجَّتُـه على النـاس أَجْمَعِين، فَيُبَلِّغون شرعَ الله سبحانه وتعالى كمـا جـاء بـه رسـولُ الله صلى الله عليـه وسـلم، ويَـدْعُون إلى لُـزومِ السُّـنَّةِ وتَـرْكِ البِـدَع والأهـواءِ؛ وقـد كُنَّا نَعْهَـدُ أهـلَ السُّـنَّةِ والجماعـةِ فيمـا نُقِـلَ إلينـا مِن سِـيَرهم وأخبـارهم وأحوالِهم أُمَّةً واحـدةً تَجْمَعُهم السُّـنَّةُ وإنْ نَـأَتْ دِيَـارُهم وتَبَاعَـدَتْ أقطـارُهم، يَحْنُـو بعضُـهم على بعض ويُحِبُّ بعضُـهم بعضًـا وإنْ لم يَـرَه، حـتى قـالَ سُـفْيَانُ الثَّوْريُّ [وُلِدَ عامَ 97هـ، وتُوُفِّيَ عامَ 161هـ] رحمَـه اللـهُ تعـالى {إذَا بَلَغَـكَ عَنْ رَجُـلٍ في الْمَشْـرق صَـاحِبِ سُـنَّةٍ وَآخَـرَ بِالْمَغْرِبِ، فَابْعَثْ إلَيْهِمَا بِالسَّلَامِ وَادْعُ لَهُمَا، مَا أَقَلَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ}، ويَقـولُ أَيُّوبُ السَّـخْتِيَانِيُّ [وُلِـدَ عـامَ 66هـ، وتُوُفِّيَ عامَ 131هـ] رحمَه اللهُ تعالى {إنِّي أُخْبَـرُ بِمَـوْتِ الرَّجُـلِ مِنْ أَهْـلِ السُّـنَّةِ وَكَـأَنِّي أَفْقِـدُ بَعْضَ أَعْضَائِي}... ثم قالَ -أي الشيخُ برجس-: أَمَّا اليومَ فقـد كَثُرَ المُنتَسِبون إلى السُّنَّةِ، وكَثُرَ اللابِسون لِلِبـاسِ أَهْـلِ السُّنَّةِ، حـتى لم يَعُـدْ تَمييـزُ أهـلِ السُّـنَّةِ الحَقِيقِيِّين مِن غيرِهم بالأمر السَّهْلِ الهَيِّن، ولِخُطورةِ ذلك الأَمْر -وهـو تَلَبُّسُ كثـيرٍ مِنَ النـاس بالسُّـنَّةِ في هـذه الأزمـانِ وَهُمْ ليسوا مِن أَهْلِها- وشِدَّةِ تَفَشِّي هـذا الأمـر، وخَـوْفِي أنْ يَنْدَرسَ [أيْ يَنْمَحِيَ] مذهبُ أهلِ السُّـنَّةِ والجماعـةِ، على أَيْدِي أُنَـاس يَتَسَـمَّوْنَ بهـذا الاسْـم وليسـوا مِن مُسَـمَّاه على نَصِيبِ، فإنَّنا في هذا المَجْلِس نَذْكُرُ بعضَ المسائلِ وبعضَ القَضَايَا التي كَثُرَ طَرْحُها في هذا الزَّمَنِ وباسْـمِ

أهل السُّنَّةِ والجماعةِ، وهذا الطَّرْحُ، الغالبُ الكثيرُ [مِنْـهُ] لَيْسَ عَلَيْهِ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْم، وليس هو مِن مـذهبِ السـلفِ الصالح رحمَهم اللهُ تعالى، وإنَّمـا هـو افْتِئَاتٌ على منهج السـلفِ الصـالح وتَلْبِيسٌ وخِـدَاعٌ؛ أقـولُ، لَمَّا كـان هـذا الطَّرْحُ لِمِثْلِ هذه المسائلِ باسْم أهـلِ السُّـنَّةِ والجماعـةِ وهو بَعِيـدٌ عن هـذا المُسَـمَّى وَجَبَ التَّنبِيـهُ مـا اسـتطاعَ الإنسانُ إلى ذلـك سـبيلًا، ونحن في هـذه العُجَالَـةِ نَـذْكُرُ بعضَ هذه المسائلِ ونُدْلِي فيها بِدَلْونا عَلَّ اللـهَ سـبحانه وتعـالى أنْ يَرْزُقَنـا وإيَّاكم الإخلاصَ، وتحقيـقَ مُتابَعـةِ رسـولِ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، والتوفيـقَ لمنهج السـلفِ الصـالح رَضِـيَ اللـهُ عنهم؛ فمِن هـذه المسـائل مســألةُ التَّصــنِيفِ... ثم قــالَ -أي الشــيخُ بــرجس-: التصنيفُ، هل هو حـقٌّ أَمْ باطـلٌ؟ وهَـلْ يَصِـحُّ التصـنيفُ بالظَّنِّ أم لا يَصِحُّ؟؛ وجوابُ هـذه المسـألة أنْ يُقـالَ، إنَّ التصنيفَ الذي هو نِسبَةُ الشخص الذي تَلَبَّسَ ببِدْعـةٍ إلى بِدْعَتِه، ونحو ذلك كنِسْبَةِ الكَذَّابِ إلى كَذِبه، وهكذا كُلُّ ما يَتَعَلَّقُ بمسائلِ الجَرْح والتَّعدِيلِ، نَقُولُ، إنَّ هذا التصنيفَ حقٌّ ودِينٌ يُدانُ به، ولهذا أجْمَـعَ أهـلُ السُّـنَّةِ على صِـحَّةِ نِسـبَةِ مَن عُـرِفَ ببِدْعـةٍ إلى بِدْعَتِـه، فمَن عُـرِفَ بالقَـدَر قِيـلَ {هـو قَـدَرِيٌّ}، ومَن عُـرِفَ ببِدعَـةِ الخَـوارِج قِيـلَ {خارجِيٌّ}، ومَن عُرِفَ بالإرجاءِ قِيلَ {هو مُرْجِئٌ}، ومَن عُرِفَ بالرَّفْض قِيـلَ {رافِضِـيٌّ}، ومَن عُـرِفَ بالتَّمَشْـعُر قِيـلَ {أَشْـعَرِيٌّ}، وهكـذا مُعْتَـزِلِيٌّ وصُـوفِيٌّ وَهَلُمَّ جَـرًّا، وأَصْلُ هذا أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَ أنَّ أُمَّتَـه سـتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثَـةٍ وَسَـبْعِينَ فِرْقَـةً، وَاحِـدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَـان وَسَـبْعُونَ فِي النَّار، فَفِيـه دلالـةٌ على وُجـودِ الفِـرَق، ولا يُتَصَـوَّرُ وُجـودُ الفِـرَق إلَّا بوُجـودِ مَن يَقـومُ بمُعتَقَداتِها مِنَ الناس، وإذا كـان الأمـرُ كـذلك فكُـلُّ مَن دانَ بمُعتَقَدِ أَحَدِ هذه الفِرَق نُسِـبَ إليهـا لا مَحَالَـةَ، فـإنَّ التصــنيفَ حَـقٌّ أجمَعَتْ عليــه الأُمَّةُ فلا يُنْكِـرُه عاقــلٌ،

فتصنيفُ الناس بحَق وبَصِيرةٍ حِراسةٌ لِدِين اللهِ سبحانه وتعالى، وهو جُنْدِيٌّ مِن جُنُودِ اللهِ سبحانه وتعالى، يَنْفِي عن دِين اللهِ جل وعلا تحريفَ الغَالِين وانْتِحالَ المُبْطِلِين وتأويلَ الجاهلِين وزَيْغَ المُبتَدِعِين، فالتصنيفُ رَقَابَةٌ تَتَرَصَّدُ ومِنْظَارٌ يَتَطَلَّعُ إلى كلِّ مُحْدِثٍ فيَرْجُمُه بشِهَابِ ثاقِبِ لا تَقُومُ له قائمةٌ بَعْدَه، حيث يَتَّضِحُ أمْرُه ويَظْهَرُ عَوَرُه {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبِ يَنقَلِبُونَ}، فالتصنيفُ مِن مَعَاول أهل السُّنَّةِ والجماعةِ التي بِحَمْدِ اللهِ جل وعلا لم تَفْتُرْ ولن تَفْتُرَ في إخمادِ بِدَع أهل البِدَع والأهواءِ وفي كَشْفِ شُبَهِهِم وبَيَان بِدَعِهِم حتى يُحْذَروا وحتى تَعْرِفَهم الأُمَّةُ فتكونُ يدًا واحدةً على ضَرْبِهم ونَبْذِهِم والقَضَاءِ عليهم؛ الشِّقُّ الثَّانِي مِنَ السُّؤَالِ، وهو هَلْ يُصَنَّفُ بالظَّنِّ؟، فإنَّنا نَقُولُ، ماذا يُرادُ بِالتَّصنِيفِ بِالظَّنِّ؟، [فَ]إنْ كانَ [المُرادُ هُوَ] الظنَّ المُعتَبَرَّ [أي الظَّنَّ الذي مَرتَبَتُه أعْلَى مِن مَرتَبَتَي الوَهْمِ والشَّكِّ، وأدْنَى مِن مَرتَبَةِ اليَقِين، وهو ما سَبَقَ بَيَانُه في مَسْأَلَةِ (هَلْ يَصِحُّ إطلاقُ الكُلِّ على الأكْثَرِ؟ وهَلِ الحُكْمُ لِلغالِبِ، والنَّادِرُ لا حُكْمَ له؟). وقد قالَ القرطبيُّ في (الجامع لأحكام القرآن): إنَّ الأَحْكَامَ تُنَاطُ بِالْمَظَانِّ وَالظَّوَاهِرِ لَا عَلَى الْقَطْعِ وَاطِّلَاعِ السَّرَائِرِ. انتهى] في الشَّرْعِ، فهذا يُصَنَّفُ به -ولا رَيْبَ- عند أهلِ العِلْمِ رحمَهم اللهُ تعالى، ولذلك لو تَأَمَّلتَ طَرِيقةَ السَّلَفِ في بابِ الجَرحِ والتَّعدِيلِ والكلامِ في أهلِ البِدَعِ تَرَاهم يَعتَبِرون الظَّنَّ، فَمَثَلًا بَعضُهم يَقُولُ {مَن أَخْفَى علينا -أو عَنَّا- بِدْعَتَهُ لَمْ تَخْفَ عَلَيْنَا أُلْفَتُهُ}، يَعْنِي أنَّنا نَعْرِفُه مِن خِلال مَن يُجالِسُ وإنْ لم يُظْهِر البِدْعةَ في أقوالِه وأفعالِه، وقد قالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ رَحِمَه اللهُ تَعالَى {لَمَّا قَدِمَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ الْبَصْرَةَ، وكانَ الرَّبِيعُ بْنُ صُبَيْحٍ لَهُ قَدْرٌ عِند الناس وله حُظْوَةٌ وَمَنْزِلَةٌ، فَجَعَلَ الثَّوْرِيُّ يَسألُ عن أَمْرِه ويَستَفْسِرُ

عن حالِه، فقـالَ (مـا مَذهَبُـه؟)، قـالوا (مَذهَبُـه السُّـنَّةُ)، قـالَ (مَن بِطانَتُـه؟)، قـالوا (أهـلُ القَـدَر)، قـالَ (هـو قَـدَرِيٌّ)} [قـالَ الشـيخُ عليُّ بنُ محمـد الصـلابي (عضـو الأمانة العامة للاتحـاد العـالمي لعلمـاء المسـلمين) في كتابـه (الدولـة العثمانيـة، عوامـل النهـوض وأسـباب السقوط): وكَمْ خَدَعَتْ تلـك العَقِيـدةُ الخَطِـيرةُ (التَّقِيَّةُ) المُسـلِمِين حُكَّامًـا ومَحكـومِين، عُلَمـاءَ ومُتَعَلِّمِين، فَـأَيْنَ عُلَمـاءُ السُّـنَّةِ الـذِين لا تَنْطَلِي عليهم دَسـائسُ البـاطِنِيِّين؟!. انتهى]، وقـد عَلَّقَ اِبْنُ بَطَّةَ [في كتابِـه (الإبانة الكبرى)] رَحِمَه اللهُ تَعالَى على هذا الأثَر بقَولِـه {رَحْمَـةُ اللَّهِ عَلَى سُـفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، لَقَـدْ نَطَـقَ بِالْحِكْمَـةِ فَصَدَقَ، وَقَالَ بِعِلْم فَوَافَـقَ الْكِتَـابَ وَالسُّـنَّةَ وَمَـا تُوجِبُـهُ الْحِكْمَةُ وَيُدْرِكُهُ الْعِيَـانُ وَيَعْرِفُـهُ أَهْـلُ الْبَصِـيرَةِ وَالْبَيَـانِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وعَلا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا بِطَانَـةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَـأْلُونَكُمْ خَبَـالًا وَدُّوا مَـا عَنِتُّمْ)}، ولْيَعْلَمْ طالبُ العِلْمِ أنَّ أكثَرَ تَصنِيفِ أهلِ العِلْمِ في قَدِيم الزَّمَن وحَدِيثِه إنَّما هـو بِـالظَّنِّ المُعتَبَـر، أَمَّا التَّصـنِيفُ بِـاليَقِين فَهو نادِرٌ جِدًّا في الأُمَّةِ... ثم قـالَ -أي الشـيخُ بـرجس-: والتَّصنِيفُ بِالقَرائن مَبْنَاه على الظَّنِّ كَمـا هـو في أكـثر أحكـام الشَّـريعةِ الإسـلامِيَّةِ [قـالَ الشـيخُ أبـو سـلمان الصـومالي في (مصـلحة التـأليف وخشـية التنفـير، في الميزان، بِتَقدِيم الشَّيخ أبي محمد المقدسي): قـالَ اِبْنُ دقيـق العيـد [في (شـرح الإلمـام بأحـاديث الأحكـام)] {والاستِدلالُ بِالقَرائن مِنَ الأفعالِ والأحـوالِ والأقـوالِ مِنَ الطُّرُق المُفِيـدةِ لِلْعِلْم اليَقِينِيِّ، لا سِـيَّمَا مـع كَـثرةِ القَرائن وطُـول الأزمِنـةِ}، وبالجُملـةِ فالنِّفـاقُ قـد يُعلَمُ بِـالقَرائن الظـاهِرةِ... ثم قـالَ -أي الشـيخُ الصـومالي-: وعامَّتُهم [أيْ عامَّةُ المُنافِقِين] يُعرَفون في لَحْن القَول ويُعرَفـون بِسِـيماهم، ولا يُمكِنُ عُقـوبَتُهم بِـاللَّحْن والسِّـيما. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ أبـو بصـير

الطرطوسي في (قواعـدُ في التكفـير): القَـرائنُ ولَحْنُ القَولِ تُلزمُنا بِالحَـذَر والحَيْطَـةِ مِن أهـلِ النِّفـاق. انتهى باختصار]. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ محمد بن هـادي المدخلي (عضو هيئة التـدريس بكليـة الحـديث الشـريف بالجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة) في (اللقـاءات السلفية بالمدينـة النبويـة): قَـالَ أَبُـو حَـاتِم رَحِمَـه اللـهُ {قَدِمَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ الصُّورِيُّ بَغْدَادَ، فَـذُكِرَ لِأَحْمَـدَ بْن حَنْبَلٍ رَحِمَه اللهُ، [فَ]قَالَ (انْظُـرُوا عَلَى مَنْ نَـزَلَ وَإِلَى مَنْ يَأْوِي)} [قالَ الشيخُ حسن أبو الأشبال الزهيري في (شرحِ كتاب الإبانة): فـالنَّبِيُّ عليـه الصَّـلاةُ والسَّـلامُ لَمَّا نَــزَلَ المَدِينــةَ نَــزَلَ على بَنِي النَّجَّار، وبَنُــو النَّجَّار هُمْ أفضَلُ الأنصار، أيْ أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَــزَلَ على خِيرَةِ الأنصار ولم يَنزلْ على أيِّ واحِدٍ منهم، وإنَّمـا نَــزَلَ في بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَــارِيِّ رَضِــيَ اللَّهُ عَنْــهُ. انتهى]. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ أحمـد بـازمُول (الأسـتاذ بجامعـة أم القـرى) في مقالـةٍ بعنـوان (نَقْضُ القَبـائح وتَطْـويحُ المَفاسِـدِ بِـذِكْر مـا في الهَجْـر مِن مَصالِحَ) على موقعِه في هذا الرابط: وقد نَقَـلَ الإجمـاعَ على هَجْر أهلِ البِدَع الإمـامُ البغـوي في (شَـرْحُ السُّـنَّةِ) بِقولِه {قد مَضَتِ الصَّحابةُ والتـابِعون وأتْبـاعُهم وعلمـاءُ السُّــنَّةِ على هــذا، مُجْمِعِين مُتَّفِقِين على مُعـاداة أهـلِ البِدعـةِ ومُهـاجَرَتِهم}؛ والسَّـلَفُ لم يُحَـذِّروا فَقَـطْ مِن مُجالَسةِ أهلِ البِدَع أنْفُسِهم، بَلْ مَن كان لا يُعرَفُ ببِدعةٍ وجالَسَهم حَـذَّروا منـه إنْ لم يُقلِـعْ عن مُجالَسَـتِهم بعـدَ تَنبِيهه؛ أخرَجَ اللَّالَكَائِيُّ في (شَرْحُ [أُصول] اعتقـادِ أهـلِ السُّنَّةِ) عن الْفُضَيْل بْن عِيَـاضٍ أنَّه قـالَ {مَنْ جَلَسَ مَـعَ صَـاحِبِ بِدْعَـةٍ فَاحْـذَرْهُ}؛ وأَخْـرَجَ ابْنُ بَطَّةَ في (الإبانـة [الكبرى]) عن اِبْنِ عون أنَّه قالَ {مَن يُجالِسُ أَهْلَ البِدَع أَشَـدُّ علينـا مِن أَهْـلِ البِـدَعِ}؛ وسَـأَلَ أَبُـو دَاوُد [صَـاحِبُ السُّنَنِ] الإمامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ {أَرَى رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ

مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَـةِ، أَتْـرُكُ كَلَامَـهُ؟} فقـالَ {لَا، أَوْ تُعْلِمُهُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي رَأَيْته مَعَهُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، فَإِنْ تَـرَكَ كَلَامَهُ فَكَلِّمْهُ، وَإِلَّا فَأَلْحِقْهُ بِـهِ}؛ وقـال الْبَرْبَهَـارِيُّ [في (شَرْحُ السُّـنَّةِ)] {إذا رَأَيْتَ الرَّجُـلَ جَالِسًـا مَـعَ رَجُـلٍ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ فحَذِّرْه وعَرِّفْه، فإنْ جَلَسَ معه بعـدَ مـا عَلِمَ فاتَّقِه فإنَّه صاحِبُ هَوَى}. انتهى. وجاءَ في (شرح كتاب فضـل الإسـلام) للشـيخ ابن بـاز على موقعِـه في هـذا الرابط، أنَّ الشـيخَ سُـئِلَ {[هَـل] الـذي يُثْنِي على أهـلِ البِدَع ويَمدَحُهم يَلْحَـقُ بهم؟}، فأجـابَ الشـيخُ {نَعَمْ، مـا في شَكٍّ، مَن أَثْنَى عليهم ومَـدَحَهم هـو داعٍ لهم، يَـدعُو لهم، هـذا مِن دُعـاتِهم، نسـألُ اللـهَ العافِيَـةَ}. انتهى. وقالَ الشيخُ حمود التـويجري (الـذي تـولّى القضـاءَ في بلدة رحيمة بالمنطقـة الشـرقية، ثم في بلـدة الـزلفي، وكان الشيخُ ابنُ باز مُحِبًّا له، قارئًا لكُتُبه، وقَدَّمَ لبعضِها، وبَكَى عليه عندما تُـوُفِّيَ -عـامَ 1413هــ- وأَمَّ المُصَـلِّين للصلاة عليه) في (القول البليغ في التحذير مِن جماعـة التبليغ): وهذه الرِّوَايَةُ عن الإمام أَحْمَـدَ يَنبَغِي تَطبِيقُهـا على الـذِين يَمْـدَحون التَّبْلِيغِيِّين [يَعْنِي (جَماعـةَ التَّبلِيـغِ والـدَّعْوةِ)] ويُجـادِلون عنهم بِالباطِـلِ، فمَن كـان منهم عالِمًـــا بـــأنَّ التَّبْلِيغِيِّين مِن أَهْـــلِ البِـــدَعِ والضـــلالاتِ والجَهالاتِ، وهو مـع هـذا يَمْـدَحُهم ويُجـادِلُ عنهم، فإنَّه يُلْحَقُ بِهم ويُعامَـلُ بمـا يُعـامَلون بـه مِنَ البُغْضِ والهَجْـرِ والتَّجَنُّبِ، ومَن كان جاهِلًا بِهم فَإنَّه يَنبَغِي إعلامُه بـأنَّهم مِن أَهْـلِ البِـدَعِ والضـلالاتِ والجَهـالاتِ، فَـإنْ لم يَـترُكْ مَدْحَهم والمُجادَلةَ عنهم بَعْـدَ العِلْمِ بِهم فَإنَّه يُلْحَـقُ بِهم ويُعامَلُ بِما يُعامَلون به [قالَ الشيخُ مُقْبِلٌ الـوادِعِيُّ في (تحفة المجيب): أَلَّفَ الشيخُ حمود بن عبدالله التويجري رسـالةً اِسـمُها (القَـولُ البَلِيـغُ في التَّحـذِير مِن جَماعـةِ التَّبلِيـغِ)، أَنْصَـحُ بِقِراءَتِهـا، والمُؤَلَّفـاتُ كَثِـيرةٌ في بَيَـانِ شِـــرْكِيَّاتِهم وصُـــوفِيَّاتِهم ومـــا هُمْ عليـــه مِنَ الضَّـــلالِ،

ودَعوَتُهم دَعـوةٌ مَيِّتـةٌ... ثم قـالَ -أَي الشـيخُ الـوادِعِيُّ-: فَدَعوَتُهم دَعوةُ جَهلِ وضَلالِ، ولا أَنصَحُ بِـالخُروج معهم، وَيَـا حَبَّذَا لَـوْ مُنِعُـوا... ثم قـالَ -أَي الشـيخُ الـوادِعِيُّ-: جَماعـةُ التَّبلِيـغ جَمَعـوا بَيْنَ التَّصَـوُّفِ والجَهـلِ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ مُقْبِـل الـوادِعِي أيضًـا في فتـوى صَـوتِيَّةٍ بعنـوان (الـرَّدُّ على فتـاوَى بَعض الأزهَـرِيِّين المُخالِفةِ) مُفَرَّغـةٍ على موقعِـه في هـذا الرابط: دَعـوَةُ الإخوانِ المُسلمِين مُمَيِّعةٌ مُضَيِّعةٌ، ودَعوَةُ جَماعةِ التَّبلِيغ أيضًـا مُبتَدَعـةٌ، فَأَنْصَحُهم أنْ يُقْبِلُـوا على العِلْم النـافع. انتهى. وذَكَـرَ الشـيخُ أبـو عبداللـه المصـري في كِتابِـه (وَقْفةٌ هادِئةٌ) فَتوى للشيخ عبدِالعزيز الراجحي (الأَستاذ في جامعـة الإمـام محمـد بن سـعود في كليـة أصـول الـدين، قسـم العقيـدة) يَقـولُ فيهـا: جَماعـةُ التَّبلِيـغ مَعروفٌ أنَّهم صُوفِيَّةٌ، ولا نَنصَحُ بِـالخُروج معهم. انتهى. وقالَ الشيخُ فركوس في فتوى له على موقعه في هذا الرابط: جَماعـةُ التَّبلِيـغ مبايِنَـةٌ لِلحَـقِّ، صُـوفِيَّةُ المَنهَج والمَشـرَبِ، لهـا العَدِيـدُ مِنَ الأخطـاءِ؛ [وَ]لِلمَزيـدِ مِنَ الاطِّلاع يُمْكِنُ مُراجَعةُ كتابِ (القولُ البليـغُ في التحـذير مِن جماعة التبليغ) للشيخ حمود التـويجري رحمـه اللـه. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ صالحٌ اللُّحَيْدَان (عضوُ هيئة كبار العلماء، ورئيسُ مجلس القضاء الأعلى) في (فَضْلُ دَعوةِ الإمام محمـد بن عبـدالوهاب): فجَمِيـعُ المُتَعَلِّمِين في المَملَكـةِ مِن قَبْـل عـام التِّسـعِين (1390هـ)، إنَّمـا تَعَلَّمـوا على مَنهَج كُتُبِ الشـيخ [محمـد بن عبـدالوهاب] وأبنائه وتَلامِذَتِه، ولم يَكُنْ عندنا في المَملَكةِ دَعوةُ تَبلِيغ ولا دَعوةُ إخوانٍ ولا دَعوةُ سُـروريِّين وإنَّمـا الـدَّعوةُ إلى اللهِ وإعلانُ مَنهَج السَّلَفِ. انتهى باختصار. وقالَ الشـيخُ صالحٌ اللُّحَيْدَان أيضا في فتوى صَوتِيَّةٍ مَوجُودةٍ على هـذا الرابط بِعُنْوانِ (جَماعةُ التَّبلِيـغ عنـدهم ضَـلالاتٌ كَبِـيرةٌ): جَماعةُ التَّبلِيغِ عنـدهم ضَـلالاتٌ كَبِـيرةٌ وضـارَّةٌ وإنْ كـانَ

مَظهَـرُهم حَسَـنًا. انتهى. وفي هـذا الرابط على موقـع الشيخ ربيـع المـدخلي (رئيسُ قسـم السُّـنَّةِ بالدراسـات العليا في الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة)، قـالَ الشـيخُ: أهـلُ البِـدَع كـالرَّوافِضِ، والخَـوارِج، والجَهْمِيَّةِ، والقَدَرِيَّةِ، والمُعتَزلـةِ، والصُّـوفِيَّةِ القُبورِيَّةِ، والمُرجِئـةِ، ومَن يَلْحَقُ بهم كالإخوانِ والتَّبلِيغ وأمثـالِهم، فهـؤلاء لم يَشـتَرطِ السَّـلَفُ إقامـةَ الحُجَّةِ مِن أَجْـلِ الحُكْمِ عليهم بالبِدعـةِ، فالرافِضِـيُّ يُقـالُ عنـه {مُبتَـدِعٌ}، والخـارِجِيُّ يُقالُ عنه {مُبتَدِعٌ}، وَهَكَـذَا، سَـواءٌ أُقِيمَتْ عليهم الحُجَّةُ أَمْ لا. انتهى. وقـالَ الشـيخُ سـعدُ بن عبداللـه السـبر (أستاذ الفقه المقارن بجامعة الإمـام محمـد بن سـعود) في مقالـة لـه على هـذا الرابط بعنـوان (التحـذير من جماعـة التبليـغ): وحِـزبُ [أيْ جَماعـةُ] التَّبلِيـغ الـذِين يَزعُمون أنَّهم يَدعون إلى اللهِ، وَهُمْ يَـدعون على جَهـلٍ وَعَـدَمِ بَصِـيرةٍ، ويَـدعون النـاسَ إلى البِـدَع والمُحـدَثاتِ ومُخالَفةِ التَّوحِيدِ وتَرْكِ اِتِّباعِ سَيِّدِ المُرسَلِين... ثم قالَ -أي الشـيخُ السـبر-: قـالَ الألبـانِيُّ رَحِمَـه اللـهُ {جَماعـةُ التَّبلِيغ جَماعةٌ صُوفِيَّةٌ عَصرِيَّةٌ، جـاءَتْ بِتَطـوِير لِلصُّـوفِيَّةِ فلم يَخرُجوا مِنَ الطُّرُق الصُّوفِيَّةِ}، وقالَ [أي الألبـانِيُّ] رَحِمَـه اللـهُ {فهي [أيْ جَماعـةُ التَّبلِيـغ] دَعـوةٌ صُـوفِيَّةٌ عَصـرِيَّةٌ، وَرِثَـوا شَـيئًا مِنَ الطُّرُقِ الصُّـوفِيَّةِ وحـاوَلوا أنْ يَجعَلوها تَختَلِفُ قَلِيلًا عنِ الصُّوفِيَّةِ السابِقةِ}... ثم قـالَ -أي الشـيخُ السـبر-: إنَّهم [أيْ جَماعـةُ التَّبلِيـغ] جُهَّالٌ يَحتـاجون لِمَن يُعلِّمُهم، فَكَيـفَ يَـدعون؟!، وَ[قَـدْ] قـالَ الألبانِيُّ {وَهُمْ [أيْ جَماعةُ التَّبلِيغ] لا يَعرِفون السُّنَّةَ}... ثم قالَ -أي الشيخُ السبر-: قـالَ الشـيخُ الألبـانِيُّ رَحِمَـه اللـهُ عن جَماعـةِ التَّبلِيـغ {وَهُمْ لا يُعنَـوْنَ بِالـدَّعوةِ إلى الكِتابِ والسُّنَّةِ كَمَبدَأٍ عامٍّ بَلْ إنَّهم يَعتَبِرون هذه الـدَّعوةَ مُفَرِّقةً، ولِذلك فَهُمْ أَشبَهُ مـا يَكونـون بِجَماعـةِ الإخـوانِ المُسلِمِين، فَهُمْ يَقولون أنَّ دَعوَتَهم قائمةٌ على الكِتـابِ

والسُّنَّةِ، وَلِكَون هذا **مُجَرَّدَ كَلام** فَهُمْ لا عَقِيـدةَ تَجمَعُهم، فهـذا مَاتُريـدِيٌّ، وهـذا أَشْـعَريٌّ، وهـذا صُـوفِيٌّ، وهـذا لا مَذهَبَ له، ذلك لِأنَّ دَعوَتَهم قائمةٌ على مَبدَأِ (كَتِّلْ جَمِّعْ، ثُمَّ ثَقِّفْ)، والحَقِيقةُ أنَّه **لا ثَقافةَ عندهم** فَقَدْ مَرَّ عليهم أَكثَرُ مِن نِصفِ قَرنِ مِنَ الزَّمانِ ما نَبَغَ فيهم عـالِمٌ، وأمَّا نحن فَنَقولُ (ثَقِّفْ، ثُمَّ جَمِّعْ) حـتى يَكـونَ التَّجمِيـعُ على أساسِ مَبدَأٍ لا خِلافَ فيه، **فَدَعوةُ جَماعةِ التَّبلِيغ صُـوفِيَّةٌ عَصريَّةٌ**، تَـدعو إلى الأخلاقِ، أمَّا إصـلاحُ عَقائـدِ المُجتَمَـع فَهُمْ لا يُحَرِّكون ساكِنًا، لِأنَّ هذا -بِزَعمِهم- يُفَـرِّقُ}... ثم قالَ -أي الشيخُ السبر-: قالَ الشـيخُ عبـدالرزاق عفيفي [نائبِ مفـتي المملكـة العربيـة السـعودية، وعضـو هيئـة كبـار العلمـاء، ونـائبِ رئيس اللجنـة الدائمـة للبحـوث العلمية والإفتاء] رَحِمَه اللهُ عن جَماعةِ التَّبلِيـغ {الواقِـعُ أنَّهم **مُبتَدِعـةٌ مُحَرِّفـون**، وأنـا أعـرفُ التَّبلِيـغَ مِن زَمـانِ قَدِيم، **وَهُمُ المُبتَدِعةُ في أَيِّ مَكانِ كـانوا هُمْ**، في مِصْـرَ وأَمْريكـا والسُّـعودِيَّةِ}. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ صـالح الفـوزان (عضـوُ هيئـةِ كِبـار العلمـاءِ بالـدِّيَار السـعوديةِ، وعضـوُ اللجنـةِ الدائمـةِ للبحـوثِ العلميـةِ والإفتـاءِ) في فتـوى صَـوتِيَّةٍ مَوجُـودةٍ على هـذا الرابط بعُنْـوانِ (لا يَجـوزُ الخُـروجُ مـع جَماعـةِ التَّبلِيـغ): وهـذه جَماعـةٌ صُـوفِيَّةٌ مَعروفـةٌ، **ثَبَتَ أنَّهـا جَماعـةٌ صُـوفِيَّةٌ**، تَسَرَّبوا إلى بِلادِنا وغَيرِهـا لِأجْـلِ أنْ **يَنشُـروا الصُّـوفِيَّةَ**، فَلا يَجـوزُ لِصـاحِبِ السُّـنَّةِ وصـاحِبِ التَّوحِيـدِ أنْ يَخـرُجَ معهم، **فَيَجِبُ أنْ يُلفَـظَ هـؤلاء ولا يُلتَفَتَ إليهم**. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ صالح الفوزان أيضًـا في (إتحـافُ القاري بِالتَّعلِيقـاتِ على شَـرح السُّـنَّةِ): جَماعـةُ التَّبلِيـغ الذِين قَـدِ اِغتَـرَّ بِهِم كَثِـيرٌ مِنَ النـاس اليَـومَ، نَظَـرًا لِمَـا يَظهَـرُ مِنهمْ مِنَ التَّعَبُّدِ وتَتـويبِ العُصـاةِ -كَمـا يَقولـونَ- وشِـدَّةِ تَـأثِيرهِم على مَنْ يَصـحَبُهم، ولَكِنْ **هُمْ يُخرجـونَ العُصـاةَ مِنَ المَعصِـيَةِ إلى البِدعـةِ**، والبِدعـةُ شَـرٌّ مِنَ

المَعصِيَةِ، والعاصِي مِن أهـل السُّـنَّةِ خَـيرٌ مِنَ العابِـدِ مِنْ أهلِ البِدَعِ، فَلْيُتَنَبَّهْ لِذلكَ. انتهى. وقالَ الشيخُ محمـد بن هـادي المـدخلي (عضـو هيئـة التـدريس بكليـة الحـديث الشـريف بالجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة) في فتـوى صَـوتِيَّةٍ بِعُنْـوانِ (مـا حُكمُ الخُـروجِ مـع فِرقـةِ التَّبلِيـغِ؟) مَوجُـودةٍ على هــذا الرابط: لا تَخـرُجْ معهم، هــؤلاء جَماعــةٌ بدعِيَّةٌ في تَوحِيــدِ اللــهِ وفي أسـمائه وصِفاتِه. انتهى باختصار. وقالَ الشـيخُ محمـد بن هـادي المدخلي أيضًا في فتوى صَوتِيَّةٍ بِعُنْوانِ (هَل هناك فَرقٌ بَيْنَ التَّبلِيـغ في السُّـعودِيَّةِ والهنْـدِ؟) مَوجُـودةٍ على هـذا الرابط: مَا فِيه [أيْ ما يُوجَدُ] فَرْقٌ، كُلُّهم سَـوَاءٌ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ عبـدُالعزيز آل الشـيخ في فيـديو بِعُنْـوانِ (تَحـذِيرُ سَـمَاحةُ المُفتِي مِن جَماعـةِ الإخـوانِ وجَماعـةِ التَّبلِيغ): ولو صَحِبَهم [أَيْ صَحِبَ جَماعةَ التَّبلِيـغ] ذو عِلْم وفِقــهٍ وفَضـلٍ، لم يَرتَضــوا بــه ولم يُصــاحِبوه، وإنَّمــا يَبتَعِدون ويُحَذِّرون منه. انتهى. وقالَ الشـيخُ عبـدُالعزيز الـريس في خُطْبَـةٍ لـه بِعُنْـوانِ (لِمـاذا جَماعـةُ التَّبلِيـغ؟) مُفَرَّغَةٍ على هذا الرابط في موقع الإسلام العتيق الـذي يُشرفُ عليه: تَوَارَدَ عُلَماءُ أهلِ السُّنَّةِ على تَبدِيع جَماعـةِ التَّبلِيغ وتَضلِيلِها، وتَحذِير الناس مِن مُصاحَبَتِها والخُروج معها... ثم قالَ -أي الشيخُ الريس-: قالَ سَمَاحَةُ الشـيخ عبدِالعزيز بْن باز -رَحِمَه اللـهُ تَعـالَى- فِي إجابـةِ سُـؤالِ حَـوْلَ جَماعـةِ التَّبلِيـغ {وجَماعـةُ التَّبلِيـغ والإخـوان مِن عُمــوم الثِّنْتَيْن وَالسَّــبْعِينَ فِرْقَــةً الضــالَّةِ}، وبَيَّنَ [أَيِ الشيخُ اِبنُ باز] في إجابةِ سُـؤالِ آخَـرَ وقـالَ أنَّ عنـدهم جَهلًا وعَدَمَ بَصِيرةِ بِالعَقِيدةِ، وحَـذَّرَ مِن اِنضِـمام الجُهَّال إليهم. انتهى. وقالَ الشَّيخُ عبدُالله الخليفي في (تَقويمُ المُعاصِرين): فالتَّبلِيغُ والإخوانُ أبعَدُ النَّاس عن الحَـدِيثِ والعِلْم وهَـدْيِ الأوائـلِ، بَـلْ هي فِـرَقٌ مُحدَثـةٌ. انتهى]. انتهى. وقالَ ابنُ تيميـةَ في (مجمـوع الفَتَـاوَى): وَمِثْـلُ

أَئِمَّةِ الْبِدَعِ مِنْ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوْ [مِنْ أَهْلِ] الْعِبَادَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّ بَيَانَ حَالِهِمْ وَتَحْذِيرَ الأُمَّةِ مِنْهُمْ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى قِيلَ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ {الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَعْتَكِفُ أَحَبُّ إلَيْكَ أَوْ يَتَكَلَّمُ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ؟}، فَقَالَ {إذَا قَامَ وَصَلَّى وَاعْتَكَفَ فَإِنَّمَا هُوَ لِنَفْسِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُسْلِمِينَ هَذَا أَفْضَلُ}، فَبَيَّنَ أَنَّ نَفْعَ هَذَا عَامٌّ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ مِنْ جِنْسِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إذْ تَطْهِيرُ سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينِهِ وَمِنْهَاجِهِ وَشِرْعَتِهِ وَدَفْعِ بَغْيِ هَؤُلَاءِ وَعُدْوَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى الْكِفَايَةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْلَا مَنْ يُقِيمُهُ اللَّهُ لِدَفْعِ ضَرَرِ هَؤُلَاءِ لَفَسَدَ الدِّينُ وَكَانَ فَسَادُهُ أَعْظَمَ مِنْ فَسَادِ اِسْتِيلَاءِ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إذَا اِسْتَوْلَوْا لَمْ يُفْسِدُوا الْقُلُوبَ وَمَا فِيهَا مِنَ الدِّين إلَّا تَبَعًا، وَأَمَّا أُولَئِكَ فَهُمْ يُفْسِدُونَ الْقُلُوبَ اِبْتِدَاءً. انتهى. وقالَ اِبنُ تيميَّةَ أيضًا في (الصارم المسلول): قالَ ابْنُ عَقِيل عن شَيخِه أبي الْفَضْلِ الْهَمْدَانِيِّ {مُبتَدِعةُ الإسلام، والكَذَّابون والواضِعون لِلحَدِيثِ، أشَدُّ مِنَ المُلحِدِين، لِأنَّ المُلحِدِين قَصَدوا إفسادَ الدِّين مِن خارج، وهؤلاء قَصَدوا إفسادَه مِن داخِل، فَهُمْ كَأهلِ بَلَدٍ سَعَوْا في فَسادِ أحوالِه، والمُلحِدون كالمُحاصِرين مِن خارج، فالدُّخَلاءُ يَفتَحون الحِصْنَ فَهُمْ شَرٌّ على الإسلام مِن غَير المُلابِسِين له}. انتهى. وقالَ الشيخُ صالح آل الشيخ (وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) في شَرِيطٍ صَوتيٍّ مُفَرَّغ على هذا الرابط بعنوان (وَقَفاتٌ مع كَلِماتٍ لِابْن مَسعُودٍ): اِبْنُ مَسعُودٍ وَصَّى به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وَصَّى الأُمَّةَ أنْ تَأخُذَ بِعَهدِه وأنْ تَقتَفِيَ أثَرَه، فقد صَحَّ عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فيما رَواه الإمامُ أحْمَدُ والحاكِمُ وغَيرُهما أنَّ النَّبِيَّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ {تَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ [أيِ اِبْنِ

مَسعُودٍ]} يَعنِي إذا عَهِدَ إليكم عَهدًا فَتَمَسَّكوا بـه، وصَـحَّ عنه أيضًا عليه الصَّلاةُ والسَّـلامُ أنَّه قـالَ {رَضِـيتُ لأُمَّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ}... ثم قالَ -أي الشـيخُ صـالح-: ومِن كَلِمــاتِ اِبْن مَسـعُودٍ رَضِــيَ اللــهُ عنــه أنَّه قــالَ {اعْتَبِـرُوا النَّاسَ بِأَخْـدَانِهِمْ فَـإنَّ الْمَـرْءَ لا يُخَـادِنُ إلَّا مَنْ يُعْجِبُهُ}، وهـذا مَـأخُوذٌ مِن قَـولِ النَّبِيِّ صـلى اللـه عليـه وسلم الحَدِيثِ الصَّحِيحِ المَرويِّ في السُّنَن {الْمَـرْءُ عَلَى دِين خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ}، صَحِيحٌ كما قــالَ اِبْنُ مَسعُودٍ {الْمَرْءُ لا يُخَـادِنُ إلَّا مَنْ يُعْجِبُـهُ} يُعْجِبُـهُ في تَصَـرُّفاتِه، يُعْجِبُـهُ في عَقلِه، يُعْجِبُـهُ في تَفكِـيره، فـإذا رَأَيْتَ أَحَدًا يُخادِنُ أَحَدًا (يَعنِي صَدِيقًا له، مُلازِمًا لـه، مُحِبًّا لـه) فـاعتَبِرْ هـذا بـذاك، فـإنَّ الأَرْوَاحَ جُنُـودٌ مُجَنَّدَةٌ، مَـا تَعَارَفَ مِنْهَـا ائْتَلَـفَ وَمَـا تَنَـاكَرَ مِنْهَـا اخْتَلَـفَ، فـاعتَبِروا الناسَ بِأَخْدَانِهِمْ، وهذا يَدُلُّ على ذاك [أَيْ وحالُ هذا يَدُلُّ على حالِ ذاك]؛ فَمِن جِهةِ الأعمالِ، إذا رَأَيْتَ مَن يَغْشَى الْمَعَاصِيَ والكبائرَ، ورَأَيْتَ مَن يُصاحِبُه ويُلازمُه فـاعتَبِرْه بذاك، واخْشَ عليـه أنْ يَكـونَ مِثْـلَ صـاحِبِه، لِأنَّ مَن عَلِمَ بِالمَعصِيَةِ فَرَضِيَها كـانَ شَـريكًا لِصـاحِبِها في الإثم؛ في الأَلْسِنةِ، إذا وَجَـدتَ أنَّ فُلانًـا سَـبَّابًا شَـتَّامًا كَثِـيرَ الغِيبـةِ كَثِيرَ الوَقِيعةِ، وتَجِدُ أنَّ فُلانًا كَثِيرُ الصُّـحبةِ لـه لا يُخالِفُـه ولا يَنهاه ولا يُفارقُه، فاعْلَمْ أنَّه شَبِيهٌ به، رَضِيَ صَـنِيعَه؛ في العُقولِ، الناسُ [يَعنِي الْمُتَصَـاحِبِين] يَتَقـارَبون في العُقولِ وفي التَّفكِيراتِ، فإذا وَجَـدتَ في عَقـلِ أَحَـدِهم مَحَبَّةً لِلعِلْم، ووَجَدتَ مَن يُصاحِبُه، فَتَعْلَمُ أنَّ مَن يُصـاحِبُه مُحِبٌّ لِلعِلْم وإنْ لم يَكُنْ مِن أهــلِ العِلْم، [وَ]إذا وَجَــدتَ مَن يُصاحِبُ صاحِبَ السُّـنَّةِ فَتَعْلَمُ أنَّه صـاحِبُ سُـنَّةٍ، لِأنَّه كَما قالَ اِبْنُ مَسـعُودٍ {اعْتَبِـرُوا النَّاسَ بِأَخْـدَانِهِمْ}، وإذا وَجَدتَ مَن يُصاحِبُ أهـلَ الأثَـر فهـو مُحِبٌّ للأثَـر وَلِأهلِه، وإذا وَجَدتَ مَن يُصاحِبُ أهلَ الـرَّأْيِ ويَلـزَمُهم فَتَعْلَمُ أنَّه مُحِبٌّ لهم وأنَّ له حُكْمَهم، مَن أَحَبَّ السُّنَّةَ صَـحِبَ أَهْلَها،

ومَن أحَبَّ المُحــدَثاتِ صَــحِبَ أَهْلَها، والْمَــرْءُ عَلَى دِين خَلِيلِـهِ كَما قـالَ عليـه الصَّـلاةُ والسَّـلامُ... ثم قـالَ -أي الشيخُ صالح-: فَتَأَمَّلْ نَفْسَكَ ومَن تُصاحِبُ؟، هَلْ تُصاحِبُ أهلَ الطاعـةِ أَمْ أهـلَ المَعصِـيَةِ؟... ثم قـالَ -أي الشـيخُ صالح-: إذا وَجَـدتَ مَن يَـأْنَسُ لأهـلِ العِصـيَانِ، ولـو كـانَ ظـاهِرُه الطاعــةَ، فَفِي الغـالِبِ أنَّ نَفْسَــه مِن داخِلِهــا تُنازِعُه إلى العِصيَانِ، ولـو مِنْ طَـرْفٍ خَفِيٍّ؛ وإذا وَجَـدتَ مَن يُصـاحِبُ أهـلَ العِلْم، وَجَـدتَ أنَّ نَفْسَــه تُنازِعُــه إلى العِلْم، ولـــو لم يَكُنْ مِن طَلَبَتِــه؛ وإذا وَجَــدتَ نَفْسَـــكَ تُصـاحِبُ أَهْـلَ السُّـنَّةِ، فَمَعنَى ذلـك أنَّ قَلبَـكَ مُحِبٌّ لها؛ وإذا وَجَدتَ نَفْسَكَ تُصاحِبُ أَهْلَ المُحدَثاتِ وَأَهْـلَ الغِيبـةِ وَأَهْلَ التَّمِيمةِ وَأَهْلَ الوَقِيعـةِ فَتَعْلَمُ أنَّ الْمَـرْءَ عَلَى دِين خَلِيلِهِ... ثم قالَ -أي الشيخُ صالح-: أهلُ البِدَع هُمُ الذِين يَعمَلون بِالبِدَع أو يَدعُون إليهـا؛ والبِدعـةُ هي المُحـدَثاتُ في الدِّين، قد تَكـونُ مِن جِهـةِ الاعتِقـادِ وقـد تَكـونُ مِن جِهةِ العَمَلِ؛ والمُبتَدِعةُ حَذَّرَ منهم النَّبِيُّ صلى الله عليــه وسـلم فَقـالَ عليــه الصَّـلاةُ والسَّـلامُ {إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُــونَ مَــا تَشَــابَهَ مِنْــهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَـــمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ}، فالذِين أحـدَثوا المُحـدَثاتِ في الاعتِقـاداتِ أو في الأعمالِ ولازَمُوها يُطلَقُ عليهم (أصحابُ البِـدَع)، والواحِدُ منهم (مُبْتَدِعٌ)، وهؤلاء هَدْيُ السَّلَفِ فيهم أنْ لا يُجالَسوا، وأنْ يُحذَّرَ منهم ومِن مَقالاتِهم ومِن أعمالِهم. انتهى باختصــار. وقــالَ الشــيخُ عبــدُالعزيز الــراجحي (الأسـتاذ في جامعـة الإمـام محمـد بن سـعود في كليـة أصــول الــدين، قســم العقيــدة) في (شــرح "الشــرح والإبانـــة"): قـــالَ عَمْـــرُو بْنُ قَيْس الْمُلَائِيُّ {إِذَا رَأَيْتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَـعَ أَهْـلِ السُّـنَّةِ وَالْجَمَاعَـةِ فَارْجُـهُ، وَإِذَا رَأَيْتَه مَعَ أَصْحَابِ الْبِـدَعِ فَـايْئَسْ مِنْـهُ، فَـإِنَّ الشَّـابَّ عَلَى أَوَّلِ نُشُوئِهِ}، هذه المَقالةُ لعَمْرو بْن قَيْس الْمُلَائِيِّ في بَيَان عِظَمِ شَأنِ البِدعةِ، وأنَّها أَشَـدُّ مِنَ الكَبِـيرةِ، إذَا

رَأَيْتَ الشَّابَّ أَوَّلَ مَا يَنْشَأُ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَارْجُ له الخير، أَمَّا إِذَا رَأَيْتَه مَعَ أَهْلِ الْبِدَع فَايْئَسْ مِنْهُ، فَإِنَّ الشَّابَّ عَلَى أَوَّلِ مَنْشَئِه، هذا في الغالِبِ، هذا هو الأغلَبُ، وإلَّا فقد يُوَفِّقُ اللهُ الإنسانَ ولو كانَ مِن أَهْلِ الْبِدَع، قد يُوَفِّقُه اللهُ لِمُعتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَكِنَّ هذا في الأغلَبِ وهو صَحِيحٌ، في الغالِبُ أنَّ مَن نَشَأَ على مُعتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فإنَّه يُرجَى له الخَيْرُ والاستِمرارُ عليه، وإذا نَشَأَ مَعَ أَهْلِ الْبِدَع فالغالِبُ أنَّه يَستَمِرُّ على بِدعَتِه، نَسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافِيَةَ. انتهى باختصار. وفي فَتْوَى صَوتِيَّةٍ مُفَرَّغةٍ على هذا الرابط في موقع الإسلام العتيق الذي يُشرِفُ عليه الشيخُ عبدُالعزيز الريس، سُئِلَ الشيخُ {مَن يُجالِسُ أهلَ البِدَعِ ويَحضُرُ لهم، هَلْ نُلحِقُه بهم؟ وهَلْ نُحَذِّرُ منه زُمَلاءَنا وإخوانَنا لِئَلَّا يَغتَرُّوا به؟}؛ فَكانَ مِمَّا أجابَ به الشيخُ: فكَلَامُ أئمَّةُ السُّنَّةِ كَثِيرٌ في أنَّ مَن جالسَ أهلَ البِدَعِ فإنَّه يُلحَقُ بهم، وثَبَتَ عنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أنَّه قالَ {الْمَرْءُ بِخِدْنِهِ}، ورَوَى ابْنُ بَطَّةَ عن مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْغَلَابِيِّ أنَّه قالَ {يَتَكَاتَمُ أَهْلُ الأَهْوَاءِ كُلَّ شَيْءٍ إلَّا الأُلفةَ وَالصُّحْبَةَ} [قالَ الشيخُ حسن أبو الأشبال الزهيري في (شرح كتاب الإبانة): أهلُ الأهواءِ عندهم قُدرةٌ فائقةٌ على كَتْم [ما] عندهم مِن فِكْر وضَلال وهَوًى، لَكِنَّ الذي يَفضَحُهم هو التآلُفُ وَالصُّحْبَةُ، فَتَجِدُ الواحِدَ منهم يَمِيلُ إلى إلْفِهِ وشِكْلِه، فإذا كانَ فُلانُ يُماشِي فُلانًا [أَيْ يَمشِي معه] فَلا بُدَّ أنَّ هناك شَيئًا لازمًا وَوَحْدَةَ فِكْر بينهم، لِأنَّ الأُلفةَ وَالصُّحْبَةَ دائمًا تَفضَحُ ما وَراءَها. انتهى]، إلى غَيرِ ذلك مِنَ الآثارِ الكَثِيرةِ، بَلْ ذَكَرَ ابْنُ بَطَّةَ إجماعَ السَّلَفِ على ذلك... ثم قالَ -أيِ الشيخُ الريس-: فإذَنِ الآثارُ كَثِيرةٌ عنِ السَّلَفِ في أنَّ مَن جالسَ أهلَ البِدَعِ فإنَّه يُلحَقُ بهم... ثم قالَ -أيِ الشيخُ الريس-: فَيَنبَغِي أنْ نَكونَ أهلَ سُنَّةٍ حقًا، وألَّا نُجالِسَ

إلَّا أهــلَ السُّــنَّةِ، وألَّا نَــدخُلَ ولا نَخــرُجَ إلَّا معهم، وأنْ نَتَقَصَّـدَ مُجالَسَـتَهُمْ دُونَ غَـيرِهم، فإنَّنـا في زَمَنِ غُربـةٍ. انتهى باختصار.

(3)وقالَ مركزُ الفتوى بموقع إسـلام ويب التـابع لإدارة الـدعوة والإرشـاد الـديني بـوزارة الأوقـاف والشـؤون الإسلامية بدولة قطر في هـذا الرابط: الفِرْقـةُ الناجِيَـةُ هُمْ أهلُ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ. انتهى باختصار. وقالَ الشــيخُ ابنُ باز في فتوى له على موقعه في هذا الرابط: النبيُّ صَلَى اللهُ عليه وسَلَّمَ لم يُبَيِّن الِفرَقَ، لكنْ يَجْمَعُها أنَّهــا على خِلَافِ طَريقِه صَـلَى اللـهُ عليـه وسَـلَّمَ ومـا شَـرَعَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ على خِلَافِ طَريقِه عليه الصلاةُ والسلامُ؛ وهذه الفِرَقُ ليس كُلُّها كافرةً، هي مُتَوَعَّدةٌ بالنــار كُلُّها، لكنَّ فيهـا الكـافِرَ وفيهـا غـيرَ الكـافِر، فيهـا مَن بدعَتُـه تَجْعَلُه كافرًا، وفيها مَن بِدعَتُـه لا تُرَقِّيـه ولا تُوَصِّـلُه إلى أنَّه كافرٌ لكنْ يكونُ عاصِيًا. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ ابنُ بــاز أيضًــا في (شــرح كتــاب فضــل الإســلام) على موقعـه في هـذا الرابط: البِدعـةُ أَكْبَـرُ مِنَ الكبـائر لِأنَّهـا إحـداثٌ في الإسـلام، وتُهْمـةٌ للإسـلام بـالنَّقْص (فَلِهـذا يَبتَـدِعُ [أَي المُبتَـدِعُ] ويَزيـدُ)، أمَّا المَعاصـي فهي اتِّبـاعٌ للهَـوَى وطاعــةٌ للشــيطانِ فهي أسْــهَلُ مِنَ البِدعــةِ، وصاحِبُها قد يَتُوبُ ويُسارِعُ وقد يَتَّعِظُ، أمَّا صاحِبُ البِدعةِ فيَرَى أنَّه مُصِيبٌ فلا يَتُوبَ، يَرَى أنَّه مُصِـيبٌ وأنَّه مُجتَهـدٌ فيَستَمِرَّ في البِدعةِ، نَعوذُ باللهِ، ويَرَى الدِّينَ ناقِصًا وهو في حاجَةٍ إلى بِدْعَتِه، فَلِهذا صارَ أمْرُ البِدعةِ أَشَدَّ وأخْطَرَ مِنَ المَعصِـيَةِ [قـالَ ابنُ تيميـةَ في (مجمـوع الفَتَـاوَى): قَـالَ طَائِفَـةٌ مِنَ السَّـلَفِ {الْبِدْعَـةُ أَحَبُّ إلَى إبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِـيَةِ، لِأَنَّ الْمَعْصِـيَةَ يُتَـابُ مِنْهَـا وَالْبِدْعَـةُ لَا يُتَـابُ مِنْهَا}. انتهى باختصار. وفي فتوى صَوتِيَّةٍ مَوجُودةٍ على هذا الرابط قالَ الشيخُ محمد بن هادي المـدخلي (عضـو

هيئـة التـدريس بكليـة الحـديث الشـريف بالجامعـة الإسلامية بالمدينة المنورة): يقولُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْر رحمه اللهُ تعالى {لَأَنْ يَصْحَبَ اِبْنِي فاسِقًا شاطِرًا [الشاطِرُ هو الذي أَتْعَبَ أَهْلَهُ خُبْثًا وَلُؤْمًا وَشَرًّا] سُنِّيًّا، أَحَبُّ إلَيَّ مِن أَنْ يَصْحَبَ عابِدًا مُبْتَدِعًا}... ثم قالَ -أي الشيخُ المدخلي-: والمَعصِيَةُ أَمْرُها أَخَفُّ مِنَ البِدعةِ فَضْلًا عن الشِّركِ}... ثم قالَ -أي الشيخُ المدخلي-: ففِسْقُه [يُشِيرُ إلى ما جاءَ في حَدِيثِ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْر السَّابِق ذِكْرُهُ]، وشَطارَتُه، ما أخْرَجَتْه مِنَ السُّنَّةِ... ثم قالَ -أي الشيخُ المدخلي-: ولذلك قالَ أَئمَّةُ السُّنَّةِ في هؤلاء [أَيْ أصحابِ الوَصفِ الذي جاءَ في حَدِيثِ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْر السَّابِق ذِكْرُهُ] {فُسَّاقُ أَهْلِ السُّنَّةِ}، وهذا الفِسْقُ جانِبٌ في العَمَلِيَّاتِ لَكِنْ عَقِيدتُه ما هِيَ؟، سُنِّيٌّ، ما خَرَجَ عن السُّنَّةِ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ محمد بنُ الأمين الدمشقي في مقالةٍ له بعنوان (الحوار الهادي مع الشيخ القرضاوي) على موقعه في هذا الرابط: اتَّفَقَ أَئمَّةُ السَّلَفِ الصالح على أنَّ أَهْلَ البِدَعِ، حتى لو كانوا مِن أهلِ العِلم والعِبادةِ والزُّهْدِ، فإنَّهم أَسْوَءُ بِمَرَّاتٍ مِنَ الفُسَّاق العُصاةِ. انتهى. وقالَ القرطبيُّ في (الجامع لأحكام القرآن): وَإِذَا ثَبَتَ تَجَنُّبُ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي كَمَا بَيَّنَّا فَتَجَنُّبُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاءِ أَوْلَى. انتهى]... ثم قالَ -أي الشيخُ ابنُ باز-: الثِنْتَانِ وَالسَبْعُونَ فِرْقَةً، كُلُّهم يَجتَمِعون في إجَابَةِ النبيِّ، لأنَّهم مِن أُمَّتِه (مِن أُمَّةِ الإجَابةِ)، أمَّا أُمَّةُ الدَّعوةِ فكثيرون، اليهودُ والنصارَى مِن أُمَّةِ الدَّعوةِ، لا قِيمةَ لهم، مِن أَهْلِ النارِ، لكنَّ هذه الثَّلَاثُ وَالسَّبْعُونَ [هُمُ] الذِين استجابوا، [هُمُ] الذِين زَعَموا أَنَّهم مِن أَتْباع النبيِّ (زَعَموا أنَّهم أَجابُوا دَعوَتَه)، الناجِي منهم السَّلِيمُ [هُمُ] الفِرْقةُ الناجِيَةُ الذِين تابَعوا النبيَّ صَلَى اللهُ عليه وسَلَّمَ وسارُوا على نَهْجِه، أَمَّا الثِنْتَانِ وَالسَبْعُونَ [فَهُمْ] على دَرَجَاتٍ، مُتَوَعَّدون بالنارِ

كُلُّهم، نسألُ اللهَ العافِيَةَ. انتهى باختصار. وقالَ عبدُالعزيز بنُ محمد بن سعود (ثانِي حُكَّام الدَّولةِ السُّعودِيَّةِ الأُولَى، وقد تُوُفِّيَ عامَ 1218هـ): وهذه الأُمَّةُ اِفتَرَقَتْ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّار إلَّا وَاحِدَةً، قِيلَ {مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟}، قالَ {مَن كانَ على مِثْلِ مَا أنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي}، وجَمِيعُ أهلِ البِدَعِ والضَّلالِ مِن هذه الأُمَّةِ يَدَّعُون هذه الدَّعْوَى، كُلُّ طائفةٍ تَزْعُمُ أنها هي الناجِيَةُ، فالخَوارجُ، والرافِضةُ الذِين حَرَّقَهم عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ بالنار، وكذلك الجَهْمِيَّةُ والقَدَرِيَّةُ، وأضرابُهم، كُلُّ فِرْقَةٍ مِن هذه الفِرَق تَدَّعِي أنَّها هي الناجِيَّةُ، وأنَّهم المُتَمَسِّكون بِكِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولِه صلى الله عليه وسلم. انتهى من (الدُّرَر السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجْدِيَّة). وفي فيديو للشيخ صالح الفوزان (عضوُ هيئةِ كِبار العلماءِ بالدِّيَار السعوديةِ، وعضوُ اللجنةِ الدائمةِ للبحوثِ العلميةِ والإفتاءِ) بعُنْوانِ (هَلْ يَجوزُ الحُكمُ على طائفةٍ مُعَيَّنةٍ في هذا الزَّمانِ بِأنَّها مِنَ الفِرَق الهالِكةِ؟)، سُئلَ الشيخُ {قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ (وَستَفتَرقُ هذه الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهم فِي النَّار إلَّا وَاحِدَةً)، هَلْ يَجوزُ الحُكمُ على طائفةٍ مُعَيَّنةٍ في هذا الزَّمانِ بِأنَّها مِنَ الفِرَق الهالِكةِ؟}، فأجابَ الشيخُ: نَعَمْ، مَن خالَفَ مَذهَبَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ فهو مِنَ الفِرَق الهالِكةِ، لا نَجاةَ إلَّا لِأهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ، ومَن عَدَاها فهو مُتَوَعَّدٌ بالنار {كُلُّهَا فِي النَّار إلَّا وَاحِدَةً}، قالوا {مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟}، قالَ {مَن كانَ على مِثْلِ مَا أنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي}، ولذلك سُمِّيَتِ الفِرقةَ الناجِيَةَ، لِأنَّها نَجَتْ مِن هذا الوَعِيدِ. انتهى. وقالَ الشيخُ ناصر العقل (رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض) في (شرح مجمل أصول أهل السنة) عنِ الفَرْقِ بين المَذاهِبِ والفِرَقِ: في

العُمومِ، فإنَّ (الفِرَقَ) غالِبًا ما تُطلَقُ على المُخالِفِين في الأُصول والمُسَلَّماتِ والعَقِيدةِ والثَّوابِتِ، و(المَذهَبَ) غالِبًا ما يُطلَقُ على الاختِلافِ في الاجتِهادِيَّاتِ التي لَيسَتْ مَذمومةً، فلذلك تُسَمَّى اِجتِهاداتُ العُلَماءِ في الفِقهِ (مَذاهِبَ)، ومع ذلك فقدِ اِصطَلَحَ المُتَأَخِّرون على تَسمِيَةِ البِدَعِ الناشِئةِ والأفكار الحَدِيثةِ التي تُخالِفُ الإسلام، اِصطَلَحوا على تَسمِيَتِها (مَذاهِبَ مُعاصِرةً)، وهذا فيه تَجَوُّزٌ، لَكِنْ لا مُشَاحَّةَ فِي الاصْطِلَاح، لَكِنْ لا يَقصِدُون بها المَذاهِبَ الاجتِهادِيَّةَ، بَلْ يَقصِدُون بها المَذاهِبَ التي اِنحَرَفَتْ عن الحَقِّ في الأفكار والمَناهِجِ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ إحسان إلهي ظهير (الأمينُ العامُّ لجمعية أهل الحديث في باكستان) في (التَّصَوُّفُ، المَنْشَأُ وَالمَصَادِرُ): إنَّ أفضَلَ طريق لِلحُكْم على طائفةٍ مُعَيَّنةٍ وفِئةٍ خاصَّةٍ مِنَ الناس هو الحُكْمُ المَبنِيُّ على آرائها وأفكارها التي نَقَلوها في كُتُبِهم المُعتَمَدةِ والرسائل المَوثوق بها لديهم، بِذِكْرِ النُّصوص والعِباراتِ التي يُبنَى عليها الحُكْمُ ويُؤَسَّسُ عليها الرَّأيُ، ولَا يُعتَمَدُ على أقوالِ الآخَرين وَنُقُولِ النَّاقِلِين [المُخالِفِين لهم]، اللَّهُمَّ إلَّا لِلاستِشهادِ على صِحَّةِ اِستِنباطِ الحُكْم واستِنتاج النَّتِيجةِ؛ وهذه الطريقة، ولو أنَّها طريقةٌ وَعِرةٌ شائكةٌ صَعبةٌ مُستَصعَبةٌ، وَقَلَّ مَن يَختارُها ويَسْلُكُها، ولكنها هي الطريقةُ الصحيحةُ المُستَقِيمةُ التي يَقتَضِيها العَدلُ والإنصافُ [قالَ اِبْنُ الْقَيِّم في (مفتاح دار السعادة): وكُلُّ أهلِ نِحلةٍ ومَقالةٍ يَكْسُونَ نِحلَتَهم ومَقالَتَهم أحسَنَ مَا يَقدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الألفاظِ، وَ[يَكْسُونَ] مَقالةَ مُخالِفِيهم أقبَحَ مَا يَقدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ الألفاظِ، وَمَن رَزَقَه اللهُ بَصِيرَةً فَهُوَ يَكْشِفُ بِهِ حَقِيقَةَ مَا تَحْتَ تِلْكَ الألفاظِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِل، وَلَا تَغْتَرَّ بِاللَّفْظِ، فَإذا أرَدتَ الاطِّلَاعَ علي كُنْهِ الْمَعْنَى هَلْ هُوَ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ، فَجَرِّدْه مِن لِبَاسِ الْعِبارَةِ، وجَرِّدْ قَلْبَك عَنِ

النَّفْــرَةِ والمَيْــلِ، ثمَّ اِعْــطِ النَّظَــرَ حَقَّه نَــاظِرا بِعَين الإنصـافِ، وَلَا تَكُنْ مِمَّن يَنظُـرُ فِي مَقَالَـةِ أصحـابه وَمَن يُحْسِنُ ظَنَّهُ [بِهِ] نَظرًا تَامًّا بِكُلِ قَلبِه ثمَّ يَنظُرُ فِي مَقَالَةِ خُصومِه وَمِمَّنْ يُسِيءُ ظَنَّهُ بِهِ كَنَظَر الشَّـزْر والمُلاحَظـةِ، فالنَّاظِرُ بِعَين الْعَدَاوَةِ يَرَى المَحاسِنَ مَسـاوئَ، والنـاظِرُ بِعَين الْمَحَبَّةِ عَكْسُه، وَمَا سَـلِمَ مِن هَـذَا إلَّا مَن أرادَ اللـهُ كَرامَتَه وارتَضاه لِقَبُول الْحَقِّ، وَقَـدْ قِيـلَ {وَعَيْنُ الرِّضَـا عَنْ كُـلِّ عَيْبِ كَلِيلَــةٌ *** كَمَــا أَنَّ عَيْنَ السُّــخْطِ تُبْــدِي الْمَسَاوِيَا}، وَقَالَ آخَرُ {نَظَروا بِعَيْن عَـداوةٍ لَـوْ أنَّهـا *** عَينُ الرِّضَا لَاسْتَحْسَنوا ما اسْتَقْبَحوا}، فَإذا كَانَ هَذَا فِي نَظَــر الْعَين الَّذِي يُــدْرِكُ المَحسوســاتِ وَلَا يتَمَكَّن مِنَ المُكــابَرةِ فِيهَـا، فَمَــا الظَّنُّ بِنَظَــر الْقَلبِ الَّذِي يُــدْرِكُ الْمَعَـانِيَ الَّتِي هِيَ عُرْضَـةُ المُكـابَرةِ!، واللـهُ المُسـتَعانُ على مَعرفةِ الحَقِّ وقَبُولِه ورَدِّ الباطِلِ وعَدَم الاغتِرار به. انتهى باختصــار. وقــالَ اِبْنُ الْقَيِّمِ أيضًــا في (إعلام الموقعين): وَكَمْ مِنْ بَاطِلٍ يُخْرِجُهُ الرَّجُلُ بِحُسْـنِ لَفْظِـهِ وَتَنْمِيقِهِ وَإِبْرَازِهِ فِي صُورَةِ حَـقٍّ؟، وَكَمْ مِنْ حَـقٍّ يُخْرِجُـهُ بِتَهْجِينِهِ وَسُوءِ تَعْبِيرِهِ فِي صُورَةِ بَاطِـلٍ؟، وَمَنْ لَـهُ أَدْنَى فِطْنَةٍ وَخِبْرَةٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِـكَ، بَـلْ هَـذَا أَغْلَبُ أَحْـوَالِ النَّاسِ... ثم قالَ -أي اِبْنُ الْقَيِّمِ-: بَلْ مَنْ تَأَمَّلَ الْمَقَالَاتِ الْبَاطِلَةَ وَالْبِدَعَ كُلَّهَـا، وَجَـدَهَا قَـدْ أَخْرَجَهَـا أَصْحَابُهَا فِي قَوَالِبَ مُسْتَحْسَـنَةٍ وَكَسَـوْهَا أَلْفَاظًـا يَقْبَلُهـا بِهَـا مَنْ لَمْ يَعْـرفْ حَقِيقَتَهَـا... ثم قـالَ -أي اِبْنُ الْقَيِّمِ-: وَلَقَـدْ رَأَى بَعْضُ الْمُلُوكِ كَأَنَّ أَسْنَانَهُ قَدْ سَـقَطَتْ، فَعَبَّرَهَـا لَـهُ مُعَبِّرٌ بِمَوْتِ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِـهِ، فَأَقْصَـاهُ وَطَـرَدَهُ، وَاسْـتَدْعَى آخَـرَ فَقَالَ لَهُ {لَا عَلَيْكَ، تَكُونُ أَطْوَلَ أَهْلِـكَ عُمْـرًا}، فَأَعْطَـاهُ وَأَكْرَمَـهُ وَقَرَّبَـهُ، فَاسْـتَوْفَى [أي المُعَبِّرُ الآخَـرُ] الْمَعْنَى وَغَيَّرَ لَـهُ الْعِبَــارَةَ، وَأَخْـرَجَ الْمَعْنَى فِي قَـالِبٍ حَسَــنٍ. انتهى]. انتهى. وقــالَتْ هَيئَةُ التَّحرِيــرِ بمركــز ســلف للبحوث والدراسات (الذي يشرف عليه الشيخ محمـد بن

إبـراهيم السـعيدي "رئيس قسـم الدراسـات الإسـلامية بكلية المعلمين بمكـة") في مقالـةٍ لهـا بعنـوانِ (عَـرْضٌ وتَحلِيـلٌ لِكِتـابِ "السُّـعودِيَّةُ والحَـربُ على داعش") على هـذا الرابط: والخُلاصـةُ الـتي يجبُ أنْ نُراعِيَهـا في نَقْـدِ الأشـخاصِ والاتِّجاهـات والطَّوائـفِ، [هي] الانطِلاقُ في نَقْدِها مِن مَقولاتِها، وفَرْزُ ذلك مِنَ المُمارَساتِ البَشَرِيَّةِ التي هي عُرْضةٌ لِلخَطَأِ والزَّلَلِ والتَّقصِيرِ، فالأصلُ أنْ لا تُحاسَبَ الاتِّجاهاتُ والمذاهبُ بِمُجَرَّدِ مُمارَساتِ أصحابِها، بَـلِ الأصـلُ مُحاسَـبةُ الاتِّجاهـاتِ مِمَّا تَتَبَنَّاه مِن رُؤًى وأفكارٍ وتَصَوُّراتٍ، وَلْتَكُنِ المُمارَساتُ البَشَرِيَّةُ قَرِينـةً أو أمَـارةً تَحمِـلُ البـاحِثَ على التفـتيشِ عن مُـوجِبِ تلـك التَّصَرُّفاتِ، فقد تكونُ تلـك المُمارَسـاتُ ناشِـئةً حَقًّا عن مَقـولاتٍ مُقَـرَّرةٍ في المَـذهَبِ، وقـد لا تكـونُ، فَيَكـونُ الحُكْمُ تابِعًا لِلمَقولاتِ لا مُجَرَّدِ المُمارَسـاتِ والتَّصَـرُّفاتِ [قالَ الشيخُ أبو سلمان الصومالي في (الإعانـة لطـالب الإفادة): ولا رَيبَ أنَّ الطائفةَ تُنسَبُ إلى أقوالِ رجالِهـا وعُلَمائهـا. انتهى]. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ أبـو الحسن علي الرملي (المشرف على مَعهَـدِ الـدِّين القَيِّم للدروس العلميـة والفتـاوى الشـرعية والتعليم عن بُعْـدٍ على منهج أهـلِ الحـديث) في (التعليـق على الأجوبـة المفيدة): إنَّ طَريقَ الحَقِّ واحِدٌ، والجَماعـةُ الناجِيَـةُ عنـد اللهِ سُـبحانَه وتَعـالَى والطائفـةُ المَنصـورةُ هي واحِـدةٌ، كَما قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ {لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ} واحِدةٌ؛ هذا أمـرٌ ظـاهِرٌ لا خَفـاءَ فيـه، فَمَن أخَذَ بِأُصولِ هذه الفِرقةِ، هذه الطائفةِ، فهـو مِن أهلِهـا، ومَن خَـالفَ أصـلًا واحِـدًا مِن هـذه الأُصـول فهـو مُبتَـدِعٌ ضالٌّ مُخالِفٌ لِهذه الطائفةِ ومُفَرِّقٌ لِجَماعـةِ المُسـلِمِين، لِأنَّ اللـهَ سُـبحانَه وتَعـالَى أمَرَنـا أنْ نَجتَمِـعَ على هـذا الطَّرِيقِ، لم يَأمُرْنا أنْ نَجتَمِـعَ فَقَـطْ، لاحِـظِ الفَـرْقَ بين فَهْمِ كَثِيرٍ مِن عامَّةِ النـاسِ وبين مـا أرادَه اللـهُ سُـبحانَه

وتَعالَى مِنَ الاجتِماع، أرادَ اللهُ مِنَّا أنْ نَجتَمِعَ لَكِنْ على الحَقِّ ليس أيَّ اِجتِماعٍ، قالَ {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}، وَلَا تَفَرَّقُوا عن ماذا؟، عن حَبْلِ اللَّهِ، تَمَسَّكوا بِحَبْلِ اللَّهِ الذي هو كِتابُه وسُنَّةُ نَبِيِّه صلى الله عليه وسلم، شَريعَتُه التي كانَ عليها السَّلَفُ الصالِحُ رَضِيَ اللهُ عنهم، تَمَسَّكوا بها وَلَا تَتَفَرَّقُوا عنها، اِجتَمِعوا عليها، هذا هو الاجتِماعُ المَطلوبُ، أمَّا الاجتِماعُ على الحَقِّ والباطِلِ [مَعًا]، لا، هذا اِجتِماعٌ مَرفوضٌ، وعندما جاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إلى قُرَيش كانوا مُجتَمِعِين فَفَرَّقَهم على الحَقِّ، فَرَّقَ بين الحَقِّ والباطِلِ، عُمَرُ سُمِّيَ (الفاروقَ) لِأنَّه فَرَّقَ بين الحَقِّ والباطِلِ، فَالتَّفريقُ بين الحَقِّ والباطِلِ مَطلُوبٌ وواجِبٌ شَرعِيٌّ، القرآن سُمِّيَ (فُرقانا) لِأَنَّه فَرَّقَ بين الحَقِّ والباطِلِ، التَّفريقُ بين الحَقِّ والباطِلِ مَطلُوبٌ، والتَّمييزُ بين الحَقِّ والباطِلِ وأهلِ الحَقِّ و[أهلِ] الباطِلِ مَطلُوبٌ وواجِبٌ شَرعِيٌّ لِيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ، بِخِلافِ طَريقةِ المُمَيِّعةِ مِمَّن يُحاولون جَمْعَ الناس سَوَاءٌ كَانَ على الطَّريق المُستَقِيم أو على طُرُق الضَّلالِ، نُعوذُ بِاللهِ؛ إذَنِ الواجبُ أنْ يَكونَ الشَّخصُ على مَنهَج السَّلَفِ الصالِحِ رَضِيَ اللهُ عنهم وأنْ يَكونَ مع هذه الطائفةِ المَنصورةِ والفِرقةِ الناجِيَةِ على أصُولِهم وعلى طَريقِهم، فَمَن خالَفَهم في أصلٍ واحِدٍ فليس هو منهم؛ وأيُّ جَماعةٍ تَجتَمِعُ على أصلٍ مُخالِفٍ لأُصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ فهي فِرقةٌ مِنَ الفِرَقِ الضالَّةِ، لا يَجوزُ لِلمُسلِمِ أنْ يَنتَمِيَ إليها، ومَن اِنتَمَى إليها فهو مِن أهلِها ويَأخُذُ حُكْمَها، إنْ كانَ هذا الأصلُ كُفريًّا يَكفُرُ، وإنْ كانَ الأصلُ بِدعِيًّا يُبَدَّعُ ويَكونُ مُبتَدِعًا؛ هَكَذَا الحُكْمُ على الجَماعاتِ وعلى الأفرادِ، نَنظُرُ إلى أُصولِهم، فإنْ وافَقَتْ أُصولَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ كانوا مِن أهلِها، وإنْ خالَفَتْ أُصولَ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ لم يَكونوا مِن

أهلِها حتى ولو في أصـل واحِـدٍ، القَضِـيَّةُ لَيسَـتْ قَضِـيَّةَ عَدَدٍ (واحِدٍ أو اِثنَيْن أو ثَلاثـةٍ أو أربَعـةٍ) كَمـا يَقـولُ بَعضُ رُؤوسِ الفِـــرَق المُعاصِـــرينِ {لا يَخـــرُجُ الشَّـــخصُ مِنَ السَّلَفِيَّةِ حتى يُخالِفَ أصلَين ثَلاثةً أربَعةً} مـا أَدْري (إلى أيْنَ يَنتَهي العَدَدُ معهم!) [قالَ الشـيخُ عبدُاللـه الخليفي في (تَقويمُ المُعاصِرين): وبَعضُهم يُرَدِّدُ {إنَّ مَنْهَجَ أهـلِ السُّـنَّةِ [هـو] أنَّ الرَّجُـلَ لا يَسـقُطُ بِبِدعـةٍ أو بِـدعَتَين}، وهذا مع بُطلانِه مَفهُومُـه (أنَّ الرَّجُـلَ يَسـقُطُ بِـأكثَرَ مِن ذلك)، مـا بـالُكم لا تُسـقِطون مَن حَـرَّفَ عامَّةَ الصِّـفاتِ وقــالَ بالإرجــاءِ والجَــبرِ وبقَــولِ قَومِــه الجَهمِيَّةِ في النُّبُـــوَّاتِ، وكـــانَ قُبوريًّا أو خُرافِيًّا؛ وبَعضُـــهم يَقـــولُ {قاعِدةُ (مَن لم يُبَدِّع المُبتَدِعَ فَهـو مُبتَـدِعٌ) إنَّمـا تَنطَبِـقُ على مَن كـانَ دَيدَنُــه البِــدَعَ}، فَيَـا لَيْتَ شِـعْري مَن إذا جُمِعَتْ أخطاؤه العَقَدِيَّةُ في كِتابٍ واحِدٍ قارَبَتِ المِائَةِ ألَا يَكونُ دَيْدَنُه البِدعـةَ؟!، فَمَن عَطَّلَ عامَّة الصِّـفاتِ وقـالَ بِالتَّبَرُّكِ والتَّوَسُّلِ وشَدِّ الرِّحالِ [أيْ إلَى القُبورِ] وعَقائـدِ الأشاعِرةِ ألَا يُقالُ {دَيْدَنُه البِدَعُ}، هذا مع العِلْمِ أنَّ هــذا الشَّـرطَ حـادِثٌ؛ وبَعضُـهم يَقـولُ {هـؤلاء لم يَـدْعوا إلى بِـدَعِهم} وَيَـا لَيْتَ شِـعْري هَـلْ يَحصُـرُ أهـلَ البِـدَع في الدُّعاةِ فَقَطْ إلَّا جاهِلٌ؟، وأيُّ دَعوةٍ أبلَغُ مِن إيجابِ البِدَع (كَما قالَ النَّوَويُّ في مُقَدِّمـةِ "المَجمُـوعُ" أنَّ مِنَ البِـدَع الواجِبـــةِ تَعَلُّمَ "عِلْم الكَلام")، وأيُّ دَعـــوةٍ أبلَـــغُ مِنَ الاحتِجاج لِلْمَولِدِ النَّبَويِّ [أيْ لِلاحتِفال بِه] مـع الاعتِـرافِ أنَّه لم يَسبِقْه إلى ذلك أحَـدٌ (كَمـا فَعَـلَ اِبنُ حَجَـر)، وأيُّ دَعوةٍ أبلَغُ مِن كِتابِ (دَفْعُ شُـبَهِ التَّشـبِيهِ بِـأَكُفِّ التَّنزيـهِ) لِابْنِ الْجَوْزيِّ الذي نَصَرَ فيـه مَـذاهِبِ المُعَطِّلـةِ بابًـا بِابًـا وشَنَّعَ على المُخالِفِين تَشنِيعًا عَظِيمًـا؛ و[قَـدْ] قـالَ أبُـو مُحَمَّدِ بْنُ أبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ في كِتـابِ (الجـامِعُ) {ومِن قَولِ أهلِ السُّنَّةِ (إنَّه لا يُعذَرُ مَن أدَّاه اِجتِهادُه إلى بِدعةٍ، لِأنَّ الخَوارِجَ اِجتَهَدوا في التَّأوِيـلِ فَلَمْ يُعـذَروا)}، وهـذا

قِيَاسٌ صَحِيحٌ. انتهى باختصار. وقالَ الشَّيخُ يـزن الغـانم في هذا الرابط: يَجِبُ أنْ نُفَـرِّقَ بَيْنَ مَن وَقَـعَ في بِدعـةٍ أو أخْطَأَ مِن عُلَماءِ السَّلَفِ -أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ- الذِين يَنطَلِقون في اِستِدلالِهم مِنَ الحَـدِيثِ والأثَـر، وبَيْنَ مَن وَقَعَ في بِدعةٍ مِن أهلِ الأهواءِ والبِـدَعِ الـذِين يَنطَلِقـون مِن أُصـولٍ وقَواعِـدَ مُبتَدَعـةٍ، أو مَنْهَجٍ غَـير مَنْهَجِ أهـلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ. انتهى].. ثم قالَ -أي الشيخُ الرملي-: إنْ كـانَ أصـلُهم هـذا دَلَّتْ أدِلَّةُ الشَّـرعِ على أنَّه كُفْـرٌ فَتَكفُرُ الجَماعةُ ويُحكَمُ عليها بِأنَّها جَماعةٌ كافِرةٌ؛ أمَّا إذا كانَ هذا الأصلُ بِدعةً فَيُحكَمُ على الجَماعة بِأنَّها مُبتَدِعـةٌ ومَن اِنتَمَى إليهم فإنَّه مُبتَـدِعٌ. انتهى باختصـار. وقـالَ الشيخُ الألبانِيُّ في (حَجَّةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسـلم): يَجِبُ أن يُعلَمَ أنَّ أصغَرَ بِدعةٍ يَأتِي الرَّجُلُ بها في الـدِّين هي مُحَرَّمةٌ، فليس في البِدَعِ -كما يَتَوَّهَمُ البعضُ- ما هو في رُتبةِ المَكروه فَقَطْ، كيف ورسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم يقـول {كُـلُّ بِدْعَـةٍ ضَـلَالَةٌ، وَكُـلُّ ضَـلَالَةٍ فِي النَّارِ} أيْ صاحِبِها [قالَ الشيخُ عبدُالرحمن بن حسن بن محمد بن عبـدالوهاب في (فتح المجيـد): وضـابِطُها [أي ضابِطُ الكَبِيرةِ] ما قالَه المُحَقِّقون مِنَ العلماءِ {كُلُّ ذَنْبٍ خَتَمَـهُ اللَّهُ بِنَـار أَوْ لَعْنَـةٍ أَوْ غَضَـبٍ أَوْ عَـذَابِ}، زادَ شـيخُ الإسلام ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَـه اللـهُ {أَوْ نَفْيِ الإيمَـانِ}، قُلتُ [والكَلامُ ما زالَ لِصاحِبِ (فتح المجيـد)]، ومَن بَـرِئَ منـه رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسـلم أو قـالَ [فيـه] {لَيْسَ مِنَّا مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا}. انتهى. وقـالَ الشـيخُ محمـد بنُ إبـراهيم بن عبـداللطيف آل الشـيخ (رئيس القضـاة ومفـتى الـديار السـعودية ت1389هــ): الكَبِـيرةُ هي مـا تُوعِّدَ عليه بغَضَبٍ أو لَعْنَةٍ أو رُتِّبَ عليه عِقابٌ في الـدُّنيا أو عَذابٌ في الآخِـرةِ وهـو دُونَ الشِّـركِ والكُفـر. انتهى من (فتاوى ورسائل الشـيخ محمـد بن إبـراهيم)]، وقـد حَقَّقَ هذا أتَمَّ تحقيـقٍ الإمـامُ الشَّـاطِبِيُّ رَحِمَـه اللـهُ في

كِتابِه العَظِيمِ (الاعتصام). انتهى باختصار. وقـالَ مركـزُ الفتـوى بموقـع إسـلام ويب التـابع لإدارة الـدعوة والإرشاد الديني بـوزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية بدولـة قطـر في هـذا الرابط: فالشِّـركُ هـو أقبَحُ ذَنبٍ عُصِـيَ اللـهُ تَعـالَى بـه، ويَلِيـه في القُبحِ البِدعـةُ، ثم الكَبيرةُ، ثم تَأتِي بَعْدَ ذلك الصغيرةُ... ثم قالَ -أَيْ مركـزُ الفتـوى-: جِنْسُ البِـدَعِ أخطَـرُ مِن جِنْسِ المَعاصِـي، ولا يَعنِي ذلك أنَّ كُلَّ بِدعةٍ أكبَرُ مِن كُلِّ كبيرةٍ. انتهى. وقالَ الشيخُ سالم الطويل في مقالة له بعنوان (البِدعـةُ أشَـدُّ وأغلَظُ مِنَ الكَبائر) على موقعـه في هـذا الرابط: البِـدَعُ وإنْ كانَتْ أشَدَّ وأغلَظَ مِنَ الكبائر، لَكِنْ لَيسَتْ بِالضَّرورةِ أنْ تَكونَ كُلُّ بِدعةٍ أشَدَّ وأغلَظَ مِن كُلِّ كَبِـيرةٍ... ثم قـالَ -أي الشـيخُ الطويـل-: وسُـئِلَ الشـيخُ زيـدُ بنُ هـادي المـدخلي حَفِظَـه اللـهُ {هَـلْ يَصِـحُّ أنْ يُقـالَ (إنَّ بَعضَ الكَبائر أشَدُّ إثمًا مِن بَعض البِدَع)؟}، فأجابَ وَفَّقَـه اللـهُ تَعالَى {نَعَمْ، فَقَتْلُ النَّفس المُؤمِنةِ أشَدُّ إثمًـا مِنَ الـذِّكر الجَمـاعِيِّ المُبتَـدَع}. انتهى باختصـار. وقـالَ مَوقِـعُ (الإسلامُ سؤالٌ وجَوابٌ) الذي يُشْرفُ عليه الشيخُ محمـد صالح المنجد في هذا الرابط: البدع كلها ضلال وصاحبها متوعـد بالنـار... ثم قـالَ -أيْ مَوقِـعُ (الإسـلامُ سـؤالٌ وجَوابٌ)-: ولا يَشُكُّ مَن له عِلمٌ بِالشَّريعةِ وأحوالِ الفِرَق أنَّ بِدعةَ الرَّفْض المَحض أو التَّجَهُّم المَحض أو نَحو ذلك، هي شَرٌّ مِن جَرائمِ أصحابِ الذُّنوبِ كشُرْبِ الخَمْـر ونَحـو ذلـك؛ كَمـا لا يَشُـكُّ مَن لـه عَقـلٌ ودِينٌ أنَّ كَبـائرَ الإثم كـالزِّنَى والسَّـرقةِ ونحـو ذلـك شَـرٌّ مِن كَثِـير مِن بِـدَع الأعمـال كالاحتِفـالِ بِالمَوْلِـدِ أو الـذِّكرِ الجَمـاعِيِّ ونَحـوِ ذلك. انتهى.

(4)وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ {السَّـلَامُ

عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُـونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا}، قَـالُوا {أَوَ لَسْـنَا إِخْوَانَـكَ يَـا رَسُولَ اللَّهِ؟}، قَـالَ {أَنْتُمْ أَصْـحَابِي، وَإِخْوَانُنَـا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْـدُ}، فَقَـالُوا {كَيْـفَ تَعْـرِفُ مَنْ لَمْ يَـأْتِ بَعْـدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟}، فَقَالَ {أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْـرَيْ خَيْـلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ [أَيْ لَـهُ خَيْـلٌ في جِبَاهِها وقَوَائمِهـا بَيَـاضٌ، فِي وَسَـطِ خَيْـلٍ سُـودٍ سَـوَادًا كامِلًا لا بَيَاضَ في لَوْنِها]، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟}، قَالُوا {بَلَى يَا رَسُـولَ اللَّهِ}، قَـالَ {فَـإِنَّهُمْ يَـأْتُونَ غُـرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَـا فَـرَطُهُمْ [أَيْ أَتَقَـدَّمُهُمْ] عَلَى الْحَـوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ [أَيْ لَيُطْرَدَنَّ] رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُـذَادُ الْبَعِـيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ (أَلَا هَلُمَّ)، فَيُقَالُ (إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ)، فَـأَقُولُ (سُـحْقًا سُـحْقًا)}. انتهى. وَرَوَى الْبُخَـارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ {بَيْنَـا أَنَـا قَـائِمٌ إِذَا زُمْـرَةٌ [أَيْ جَمَاعَـةٌ] حَتَّى إِذَا عَـرَفْتُهُمْ خَـرَجَ رَجُـلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَـالَ (هَلُمَّ)، فَقُلْتُ (أَيْنَ)، قَالَ (إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ)، قُلْتُ (وَمَا شَأْنُهُمْ)، قَالَ (إِنَّهُمُ اِرْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَـرَى)، ثُمَّ إِذَا زُمْـرَةٌ حَتَّى إِذَا عَـرَفْتُهُمْ خَـرَجَ رَجُـلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَـالَ (هَلُمَّ)، قُلْتُ (أَيْنَ)، قَـالَ (إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ)، قُلْتُ (مَـا شَـأْنُهُمْ)، قَـالَ (إِنَّهُمُ اِرْتَـدُّوا بَعْـدَكَ عَلَى أَدْبَـارِهِمُ الْقَهْقَرَى)، فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْـلُ هَمَـلِ النَّعَمِ}. انتهى. وقَـالَ أبـو العبـاسِ القُرْطُـبي (ت656هــ) في (الْمُفْهِمُ لِمَـا أَشْـكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَـابِ مُسْـلِمٍ): قَوْلِـهِ {كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ}، وَجْهُ التَّشْبِيهِ أَنَّ أَصْحَابَ الإِبِلِ إِذَا وَرَدُوا الْمِيَـاهَ بِـإِبِلِهِمُ ازْدَحَمَتِ الإِبِـلُ عِنْـدَ الْـوُرُودِ، فَيَكُونُ فِيهَـا الضَّـالُّ وَالْغَـرِيبُ، وَكُـلُّ وَاحِـدٍ مِنْ أَصْـحَابِ الإِبِلِ يَدْفَعُهُ عَنْ إِبِلِهِ حَتَّى تَشْـرَبَ إِبِلُـهُ، فَيَكْثُـرُ ضَـارِبُوهُ وَدَافِعُوهُ، حَتَّى لَقَـدْ صَـارَ هَـذَا مَثَلًا شَـائِعًا، قَـالَ الْحَجَّاجُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ {وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَـرْبَ غَـرَائِبِ الإِبِـلِ}. انتهى

باختصار. وقَالَ ابْنُ حَجَر فِي (فَتْحُ الباري): قَالَ النَّوَوِيُّ [في (شرح صحيح مسلم)] {قِيلَ (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُرْتَدُّونَ، يَجُوزُ أَنْ يُحْشَرُوا بِالْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ لِكَوْنِهِمْ مِنْ جُمْلَةِ الأُمَّةِ [أَيْ أُمَّةِ الإجَابَةِ]، فَيُنَادِيهِمْ [أي النبيُّ صلى الله عليه وسلم] مِنْ أَجْلِ السِّيمَا الَّتِي عَلَيْهِمْ، فَيُقَالُ "إِنَّهُمْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ")}. انتهى باختصار. وقالَ ابنُ المُلَقِّن (ت804هـ) في (التوضيح لشرح الجامع الصحيح): الْغُرَّةُ بَيَاضٌ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ، وَالتَّحْجِيلُ بَيَاضٌ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، فَسُمِّيَ النُّورُ الَّذِي يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ الْوُضُوءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَرًّا وَتَحْجِيلًا، تَشْبِيهًا بِذَلِكَ. انتهى. وقالَ الشَّاطِبِيُّ في (الاعتصام): وَالأَظْهَرُ أَنَّهُمْ [أي الْمَطْرُودِينَ عَنِ الْحَوْض] مِنَ الدَّاخِلِينَ فِي غِمَار هَذِهِ الأُمَّةِ [أَيْ أُمَّةِ الإجَابَةِ]... ثم قالَ -أي الشَّاطِبِيُّ-: قَوْلِهِ {قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ} أَقْرَبُ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ تَبْدِيلُ السُّنَّةِ، وَهُوَ وَاقِعٌ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ. انتهى باختصار. وقالَ بدرُ الدين العيني (ت855هـ) في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري): قَالَ أَبُو عُمَرَ [في (الاستذكار)] {كُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الدِّين فَهُوَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ عَن الْحَوْضِ، كَالْخَوَارج وَالرَّوَافِض وَسَائِر أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ، وَكَذَلِكَ الظَّلَمَةُ الْمُسْرِفُونَ فِي الْجَوْر وَطَمْسِ الْحَقِّ وَالْمُعْلِنُونَ بِالْكَبَائِر}... ثم قالَ -أي العيني-: قَوْلُهُ {بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ} الْمُرَادَ هُوَ قِيَامُهُ عَلَى الْحَوْض... ثم قالَ -أي العيني-: قَوْلُهُ {فَلَا أُرَاهُ} أَيْ فَلَا أَظُنُّ أَمْرَهُمْ أَنَّهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَم، وَهُوَ مَا يُتْرَكُ مُهْمَلًا لَا يُتَعَهَّدُ وَلَا يُرْعَى حَتَّى يَضِيعَ وَيَهْلَكَ، أَيْ لَا يَخْلُصُ مِنْهُمْ مَن النَّار إِلَّا قَلِيلٌ. انتهى باختصار. وقالَتْ حنان بنت علي اليماني في (إعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام، بتقريظ الشيخ صالح الفوزان): قالَ [أي النبيُّ صلى الله عليه وسلم] {فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ}، والمَعْنَى، فلا أَظُنُّ أنْ يَرِدَ على الحَوضِ إِلَّا مِثْلُ

هَمَـل النَّعَم، يَعْنِي أنَّهم عَـدَدٌ قليـلٌ، لأنَّ الإبِـلَ المُهمَلـةَ بالنِّسبةِ إلى المَرْعِيَّةِ قَلِيلةٌ جِدًّا. انتهى باختصـار. وقـالَ النَّوَوِيُّ في (شــرح صـحيح مســلم): قِيــلَ، هَـؤُلَاءِ [أي المَطْــرُودون عَن الْحَــوْض] صِــنْفَانِ؛ أَحَــدُهُمَا عُصَــاةٌ مُرْتَدُّونَ عَنِ الاسْتِقَامَةِ لَا عَنِ الإِسْلَام (وَهَـؤُلَاءِ مُبَـدِّلُونَ لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِالسَّيِّئَةِ)؛ وَالثَّانِي مُرْتَـدُّونَ إِلَى الْكُفْـرِ حَقِيقَةً نَاكِصُـونَ عَلَى أَعْقَـابِهِمْ؛ وَاسْـمُ التَّبْـدِيلِ يَشْـمَلُ الصِّنْفَيْن. انتهى. وقالَ الشيخُ ابنُ جبرين (عضو الإفتـاء بالرئاسة العامـة للبحـوث العلميـة والإفتـاء) في (شـرح العقيدة الطَّحَاوِيَّةِ): ولا شَكَّ أنَّ الـذِين يَـرِدُونَ عليـه هُمْ أَهْـلُ السُّـنَّةِ والجماعـةِ، أَهْـلُ الاتِّبـاعِ لا أَهْـلُ الاِبْتِـداع، ولِأجْـلِ ذلـك يُـرَدُّ المُبتَدِعـةُ والمُرتَـدُّون، الـذِين أحـدَثوا. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ ربيـع المـدخلي (رئيسُ قسم السُّـنَّةِ بالدراسـات العليـا في الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة) في مقالـة بعنـوان (وُجـوب الاتِّبـاع والتَّحذِير مِن مظاهر الشِّركِ والابتِداع) على موقعـه في هذا الرابط: إنَّ الفِرَقَ الضَّـالَّةَ الـتي أَخْبَـرَ عنهـا رسـولُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّـلاةُ وَالسَّـلامُ، وأنَّهـا كُلَّهـا في النَّارِ إلَّا مـا كان عليه رسولُ اللـهِ وأصْـحابُه، هـذه الفِـرَقُ بَـدَأَتْ مِن آواخــر عَصْــر الصَّــحابةِ، ثم اِنْتَشَــرَتْ وتَفَشَّــتْ في المُجتَمَعـاتِ الإسـلامِيَّةِ، حتَّى صـارَ أكثَـرُ المسـلِمين لا يَخرُجون عن هذه الفِرَق، وقَلَّ مَن هو على ما كان عليه رَسولُ اللهِ وأصحابُه وَهُمُ الطَّائفةُ النَّاجِيَـةُ والمنصـورةُ. انتهى. وقالَ الشيخُ إيهاب شاهين (عضو مجلس شورى الدعوة السلفية) في مقالـة لـه بعنـوان (شَـعرةٌ بَيْضَـاءُ في جَسَدِ ثَوْر أَسْـوَدَ) على هـذا الرابط: عنـد التَّأمُّلِ في الواقِع مِن حَوْلِنـا، يَـرَى النـاظِرُ أنَّ أهْـلَ السُّـنَّةِ، مَثَلُهم كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَسَدِ الثَّوْر الأَسْوَدِ، وإنْ كانتْ هذه الشَّــعرةُ بالمُقارَنــةِ لِلْكَمِّ الهائــلِ مِن شَــعْر الثَّوْر هي شَعرةً واحِدةً، ولكنَّها شَعرةٌ بَيْضَاءُ وَحِيدةٌ مُضِـيئةٌ وَسَـطِ

الظَّلام الحالِـكِ في جَسَـدِ الثَّوْر[قـالَ الشـيخُ محمـد بن عبـــداللطيف بن عبـــدالرحمن بن حســـن بن محمـــد بن عبـدالوهاب: ومَن تَأَمَّلَ القُـرآنَ والسُّـنَّةَ وكَلامَ مُحَقِّقِي سَلَفِ الأُمَّةِ، عَلِمَ يَقِينًا أنَّ أكثَرَ الخَلق إلَّا مَن شـاءَ اللـهُ، قَـــدْ أعرَضـــوا عن واضِـــح الْمَحَجَّةِ [الْمَحَجَّةُ هي جَـــادَّةُ الطَّرِيقِ (أَيْ وَسَطُهَا)، والمُرادُ بها الطَّريقُ المُسـتَقِيمُ]، وسَـلَكُوا طَرِيـقَ الباطِـلِ ونَهْجِه، وجَعَلـوا مُصـاحَبةَ عُبَّادِ القُبـور وأهـلِ البِـدَع والفُجـور دِينًـا يَـدِينُون بـه، وخُلُقًـا حَسَنًا يَتَخَلَّقُون به، ويَقولـون {فُلَانٌ لـه عَقْـلٌ مَعِيشِـيٌّ، يَعِيشُ به مع النـاسِ}، ومَن كـانَتْ لـه غَيْـرَةٌ -وَلَـوْ قَلَّتْ- فهو عندهم مَرْفوضٌ ومَنْبُوذٌ، فَما أَعْظَمَها مِن بَلِيَّةٍ! وما أَصْعَبَها مِن رَزيَّةٍ!، وأَمَّا حَقِيقةُ دَعوةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم وما جاءَ به مِنَ الهُدَى والنُّور، فعَزيزٌ -واللـهِ- مَن يَعْرفُهـا أو يَـدْريها، والعـارِفُ لهـا مِنَ النـاس اليَـومَ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الجِلْدِ الأَسْـوَدِ وكَـالْكِبْريتِ الأَحْمَـر [يَعْنِي أَنَّه يَنْـدُرُ وُجُـودُ هـذا العـارفِ اليَـومَ]، لم يَبْـقَ إلَّا رُسُومٌ [أَيْ آثارٌ] قَدْ دَرَسَتْ [أَيْ بَلِيَتْ]، وأعلامٌ قَـدْ عَفَتْ [أَي اِنْمَحَتْ] وسَفَتْ [أَيْ نَثَـرَتِ التُّرَابَ] عليهـا عَواصِـفُ الهَـوَى وطَمَسَـتْها مَحَبَّةُ الـدُّنْيَا والحُظـوظُ النَّفسـانِيَّةُ، فَمَن فَتَحَ اللهُ عَيْنَ بَصِيرَتِه وَرَزَقَه مَعرفـةً لِلحَـقِّ وتَمَيُّزًا له فَلْيَنْجُ بِنَفسِه وَلْيَشُحَّ بِدِينِـه [أَيْ وَلْيَحْـرصْ على دِينِـه] ويَتَباعَـدْ عَمَّن نَكَبَ عن الصِّـراطِ المُسـتَقِيم وآثَـرَ عليـه مُوالاةَ أهل الجَحِيم، نَسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافِيَةَ. انتهى باختصار من (الدُّرَر السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجْدِيَّة). وقـــالَ الشيخُ حمـود التـويجري (الـذي تـولَّى القضـاءَ في بلـدة رحيمة بالمنطقة الشرقية، ثم في بلدة الـزلفي، وكـان الشـيخُ ابنُ بـاز مُحِبًّا لـه، قارئًا لكُتُبـه، وقَـدَّمَ لبعضِـها، وبَكَى عليه عندما تُـوُفِّيَ -عـامَ 1413هـــ- وأَمَّ المُصَـلِّين للصلاة عليـه) في كتابـه (غربـة الإسـلام): وأمَّا الغُرَبـاءُ فَهُمْ أهـلُ السُّـنَّةِ والجَماعـةِ، وَهُمُ الطائفـةُ المَنصـورةُ،

والفِرقةُ الناجِيَةُ مِن ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَـةً كُلُّهـا تَنتَسِـبُ إلى الإسلام... ثم قالَ -أي الشيخُ التويجري-: فالفِرقـةُ الناجِيَـةُ بين جَمِيـع المُنتَسِـبين إلى الإسـلام كَالشَّـعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الجِلْـدِ الأَسْـوَدِ، فهم غُرَبـاءُ بين المُنتَسِبِين إلى الإسلام، فَضلًا عن أعـداءِ الإسـلامِ مِن سـائر الأُمَم. انتهى]... ثم قالَ -أي الشيخُ إيهاب-: أَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَـاءُ، كَالشَّـــعْرَةِ الْبَيْضَـــاءِ فِي جَسَـــدِ الثَّوْرِ الأَسْـــوَدِ. انتهى باختصار.

(5)وَرَوَى الْبُخَـاريُّ فِي صَـحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قَـالَ {نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَـار جَهَنَّمَ}، قِيـلَ {يَـا رَسُـولَ اللَّهِ، إنْ كَـانَتْ لَكَافِيَـةً}، قَـالَ {فُضِّـلَتْ عَلَيْهنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِـتِّينَ جُـزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْـلُ حَرِّهَـا}. انتهى. وَرَوَى مُسْـلِمٌ فِي صَـحِيحِهِ عَنِ النُّعْمَـانِ بْنِ بَشِـير قَـالَ قَـالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {إِنَّ أَهْـوَنَ أَهْـل النَّار عَـــذَابًا مَنْ لَــهُ نَعْلَانِ وَشِـــرَاكَانِ [النَّعْــلُ هُــوَ الْحِــذَاءُ، والشِّرَاكُ هُـوَ السَّـيْرُ الَّذِي يَكُـونُ فِي النَّعْـل عَلَى ظَهْـر الْقَدَم] مِنْ نَار، يَغْلِي مِنْهُمَـا دِمَاغُـهُ كَمَـا يَغْلِي الْمِرْجَـلُ [وهو إنَاءٌ يُغْلَى فيه المـاءُ]، مَـا يَـرَى أَنَّ أَحَـدًا أَشَـدُّ مِنْـهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا}. انتهى. وقالَ الشـيخُ حمـود التويجري (الذي تَوَلَّى القَضاءَ في بَلدةِ رحيمة بالمِنطَقةِ الشَّـرقِيَّةِ، ثم في بَلـدةِ الـزلفي، وكـانَ الشـيخُ ابنُ بـاز مُحِبًّا له، قارِئًا لكُتُبه، وقَدَّمَ لِبَعضِها، وبَكَى عليـه عنـدما تُوُفِّيَ -عامَ 1413هــ- وأَمَّ المُصَـلِّين لِلصَّـلاةِ عليـه) في كِتَابِه (غُربةُ الإسلام، بِتَقدِيم الشَّيخ عبدِالكريم بن حمود التـويجري): وَفِي الصَّـحِيحَيْن وَغَيْرهِمَـا عَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قَـالَ {يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...} فَذُكِرَ الحَـدِيثُ وفيـه {حَتَّى إِذَا فَـــرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَـــاءِ بَيْنَ الْعِبَـــادِ، وَأَرَادَ أَنْ

يُخْرِجَ بِرَحْمَتِـهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْـلِ النَّارِ، أَمَـرَ الْمَلَائِكَـةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِــأَثَرِ السُّــجُودِ، تَأْكُــلُ النَّارُ اِبْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَــرَ السُّــجُودِ، حَـرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُـلَ أَثَـرَ السُّـجُودِ، فَيُخْرَجُـونَ مِنَ النَّارِ قَـدِ امْتَحَشُـوا [قَـالَ ابْنُ حَجَـر فِي (فَتْحُ الباري): {قَدِ اُمْتُحِشُوا}، وَفِي حَـدِيثٍ عِنْـدَ مُسْـلِم أَنَّهُمْ {يَصِــيرُونَ فَحْمًا}، وَفِي حَــدِيثِ جَــابِر {حِمَمًــا}، وَمَعَانِيهَـا مُتَقَارِبَـةٌ. انتهى باختصـار. وقـالَ بـدرُ الـدين العيـني (ت855هــ) في (عمـدة القـاري شـرح صـحيح البخاري): قَوْلُه {قَدِ اُمْتُحِشُوا} مَعْنَـاهُ (اِحتَرَقـوا)، وَفِي بَعضِ الرِّوَايَــاتِ {صَــارُوا حِمَمًــا}، وَقَــالَ الــدَّاوُدِيُّ {(اُمْتُحِشُــوا) اِنقَبَضــوا واسْــوَدُّوا}. انتهى باختصــار]، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ تَحْتَـهُ كَمَـا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيــلِ السَّــيْلِ [قَــالَ السِّــنْدِيُّ (ت1138هــ) فِي حَاشِـيَتِهِ عَلَى سُـنَنِ ابْنِ مَاجَـهْ: أَيْ فِيمَـا يَحْمِلُـهُ السَّـيْلُ وَيَجِيءُ بِهِ مِنْ طِين وَغَيْرِهِ. انتهى]...} الحَـدِيثَ. انتهى.

وَرَوَى النَّسَــائِيُّ فِي السُّــنَنِ الْكُبْــرَى -وحَسَّــنَه مُقْبِــل الـــوادِعي في (الجـــامع الصـــحيح ممـــا ليس في الصحيحَين)- أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ قَـالَ قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ {إِنَّ نَاسًــا مِنْ أُمَّتِي يُعَــذَّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَـاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُـوا، ثُمَّ يُعَيِّرُهُمْ أَهْـلُ الشِّـرْكِ فَيَقُولُـونَ لَهُمْ (مَـا نَـرَى مَـا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَا فِيهِ مِنْ تَصْدِيقِكُمْ وَإِيْمَانِكُمْ نَفَعَكُمْ)، لِمَـا يُرِيـدُ اللَّهُ أَنْ يُرِيَ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنَ الْحَسْرَةِ، فَمَـا يَبْقَى مُوَحِّـدٌ إِلَّا أَخْرَجَــهُ اللَّهُ}، ثُمَّ تَلَا رَسُــولُ اللَّهِ صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ هَـذِهِ الآيَـةَ {رُبَمَـا يَـوَدُّ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَـوْ كَـانُوا مُسْلِمِينَ}. انتهى. وقـالَ مركـزُ الفتـوى بموقـع إسـلام ويب التــابع لإدارة الــدعوة والإرشــاد الــديني بــوزارة الأوقــاف والشــؤون الإســلامية بدولــة قطــر في هــذا

الرابط: فَـاليَوْمُ في جَهَنَّمَ مِقْـدَارُهُ أَلْـفُ سَـنَةٍ مِن أَيَّام الدُّنْيَا. انتهى. قلتُ: والآنَ يا عبدَاللـهِ، بَعْـدَما عَـرَفْتَ أَنَّ اليَوْمَ في جَهَنَّمَ مِقْدَارُهُ أَلْـفُ سَـنَةٍ مِن أَيَّام الـدُّنْيَا؛ وأَنَّ مِن أُمَّةِ الإِجَابَةِ مَن يُعَذَّبُونَ بِذُنُوبهمْ، فَيَكُونُـونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا؛ وأَنَّ أُمَّةَ الإجَابَةِ لا يَنْجُـو منهـا إلَّا فِرْقةٌ واحـدةٌ مِن بَيْن ثَلَاثٍ وَسَـبْعِينَ فِرْقَـةً؛ وأَنَّ الـذِين يَـرِدُون عَلَى الْحَـوْض مِن أُمَّةِ الإِجَابَـةِ عَـدَدٌ قليـلٌ جِـدًّا بالنِّسـبةِ إلى الْمَطْـرُودِينَ عَن الْحَـوْض؛ وأَنَّ الفِرْقَـةَ الناجِيَـةَ والـذِين يَـرِدُون عَلَى الْحَـوْض هُمْ أَهـلُ السُّـنَّةِ والجَمَاعةِ؛ بَعْدَما عَرَفْتَ ذلك كُلَّه، فإنَّك تَكُونُ قد عَـرَفْتَ أنَّه يَتَوَجَّبُ عليك أَلَّا يكونَ أَكْبَرُ هَمِّكَ مُجَرَّدَ تحقيـق أَصْـلِ الإيمانِ وتَجَنُّبِ الكبائر، بَـلْ لا بُـدَّ مـع ذلـك مِن تَحقِيقِـك عقيدةَ أهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ.

(6)وقالَ ابنُ القيم في (مدارج السالكين): غُرْبَـةُ أَهْـلِ اللَّهِ وَأَهْل سُنَّةِ رَسُولِهِ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ، هِيَ الْغُرْبَـةُ الَّتِي مَدَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَهَا، وَأَخْبَرَ عَن الدِّين الَّذِي جَاءَ بِهِ أَنَّهُ بَدَأَ غَرِيبًا وَأَنَّهُ سَـيَعُودُ غَرِيبًـا كَمَـا بَدَأَ وَأَنَّ أَهْلَهُ يَصِيرُونَ غُرَبَـاءَ... ثم قـالَ -أي ابنُ القيمِ-: وَأَهْلُ هَذِهِ الْغُرْبَةِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ حَقًّا، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَأْوُوا إِلَى غَيْر اللَّهِ، وَلَمْ يَنْتَسِبُوا إِلَى غَيْر رَسُـولِهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وَلَمْ يَـدْعُوا إِلَى غَيْـر مَـا جَـاءَ بِـهِ، وَهُمُ الَّذِينَ فَـارَقُوا النَّاسَ أَحْـوَجَ مَـا كَـانُوا إِلَيْهِمْ، فَهَـذِهِ الْغُرْبَـةُ لَا وَحْشَةَ عَلَى صَاحِبِهَا، فَوَلِيُّهُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُـوا، وَإِنْ عَـادَاهُ أَكْثَـرُ النَّاس وَجَفَـوْهُ؛ وَمِنْ صِـفَاتِ هَـؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ التَّمَسُّكُ بِالسُّنَّةِ (إِذَا رَغِبَ عَنْهَا النَّاسُ)، وَتَرْكُ مَا أَحْدَثُوهُ (وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ)، وَتَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ (وَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَكْثَـرُ النَّاس)، وَتَـرْكُ الانْتِسَـابِ إِلَى أَحَـدٍ غَيْـرِ اللَّهِ وَرَسُـولِهِ، لَا شَـيْخَ وَلَا طَرِيقَـةَ وَلَا مَـذْهَبَ وَلَا طَائِفَةَ، بَلْ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءُ مُنْتَسِبُونَ إِلَى اللَّهِ بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ

وَحْدَهُ، وَإِلَى رَسُولِهِ بِالاتِّبَاعِ لِمَا جَاءَ بِهِ وَحْدَهُ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْقَابِضُونَ عَلَى الْجَمْرِ حَقًّا، وَأَكْثَرُ النَّاسِ -بَلْ كُلُّهُمْ- لَائِمٌ لَهُمْ؛ فَلِغُرْبَتِهِمْ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ يَعُدُّونَهُمْ أَهْلَ شُذُوذٍ وَبِدْعَةٍ وَمُفَارَقَةٍ لِلسَّوَادِ الأَعْظَمِ؛ وَمَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {هُمُ النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ} أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ رَسُولَهُ وَأَهْلُ الأَرْضِ عَلَى أَدْيَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَهُمْ [أَيْ أَهْلُ الأَرْضِ] بَيْنَ عُبَّادِ أَوْثَانٍ وَنِيرَانٍ، وَعُبَّادِ صُوَرٍ وَصُلْبَانٍ، وَيَهُودٍ وَصَابِئَةٍ وَفَلَاسِفَةٍ، وَكَانَ الإِسْلَامُ فِي أَوَّلِ ظُهُورِهِ غَرِيبًا، وَكَانَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ وَاسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ غَرِيبًا فِي حَيِّهِ وَقَبِيلَتِهِ وَأَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ، فَكَانَ الْمُسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ الإِسْلَامِ نُزَّاعًا مِنَ الْقَبَائِلِ، تَغَرَّبُوا عَنْ قَبَائِلِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ وَدَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ فَكَانُوا هُمُ الْغُرَبَاءُ حَقًّا، حَتَّى ظَهَرَ الإِسْلَامُ وَانْتَشَرَتْ دَعْوَتُهُ وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجًا، فَزَالَتْ تِلْكَ الْغُرْبَةُ عَنْهُمْ، ثُمَّ أَخَذَ [أَيِ الإِسْلَامُ] فِي الاغْتِرَابِ وَالتَّرَحُّلِ حَتَّى عَادَ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، بَلِ الإِسْلَامُ الْحَقُّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ هُوَ الْيَوْمَ أَشَدُّ غُرْبَةً مِنْهُ فِي أَوَّلِ ظُهُورِهِ، وَإِنْ كَانَتْ أَعْلَامُهُ وَرُسُومُهُ الظَّاهِرَةُ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ، فَالإِسْلَامُ الْحَقِيقِيُّ غَرِيبٌ جِدًّا، وَأَهْلُهُ غُرَبَاءُ أَشَدُّ الْغُرْبَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ قَلِيلَةٌ جِدًّا غَرِيبَةً بَيْنَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ذَاتَ أَتْبَاعٍ وَرِئَاسَاتٍ وَمَنَاصِبَ وَوِلَايَاتٍ؟، كَيْفَ لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ السَّائِرُ إِلَى اللَّهِ عَلَى طَرِيقِ الْمُتَابَعَةِ غَرِيبًا بَيْنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدِ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَأَطَاعُوا شُحَّهُمْ وَأَعْجِبَ كُلٌّ مِنْهُمْ بِرَأْيِهِ؟... ثم قالَ -أَيِ ابنُ القيمِ-: وَلِهَذَا جُعِلَ لِلْمُسْلِمِ الصَّادِقِ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِذَا تَمَسَّكَ بِدِينِهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ قَالَ {سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ، لَا

يَضُــرُّكُم مَّن ضَــلَّ إِذَا اهْتَــدَيْتُمْ)، فَقَــالَ (بَــلِ ائْتَمِــرُوا بِــالْمَعْرُوفِ وَتَنَــاهَوْا عَنِ الْمُنْكَــرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُــحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَـا مُـؤْثَرَةً وَإِعْجَـابَ كُـلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكِ وَدَعْ عَنْـكَ الْعَـوَامَّ، فَـإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْض عَلَى الْجَمْـرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْـرُ خَمْسِـينَ رَجُلًا يَعْمَلُـونَ مِثْـلَ عَمَلِـهِ)، قُلْتُ (يَـا رَسُـولَ اللَّهِ أَجْـرُ خَمْسِـينَ مِنْهُمْ؟)، قَـالَ (أَجْـرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ)}، وَهَذَا الأَجْرُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ لِغُرْبَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ بَيْنَ ظُلُمَاتِ أَهْـوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ؛ فَإِذَا أَرَادَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي قَـدْ رَزَقَـهُ اللَّهُ بَصِـيرَةً فِي دِينِـهِ، وَفِقْهًـا فِي سُــنَّةِ رَسُـولِهِ، وَفَهْمًـا فِي كِتَابِـهِ، وَأَرَاهُ مَـا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الأَهْـوَاءِ وَالْبِـدَعِ وَالضَّـلَالَاتِ وَتَنَكُّبِهِمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْـلُكَ هَـذَا الصِّـرَاطَ فَلْيُـوَطِّنْ نَفْسَـهُ عَلَى قَـدْحِ الْجُهَّالِ وَأَهْـلِ الْبِـدَعِ فِيـهِ، وَطَعْنِهِمْ عَلَيْــهِ، وَإِزْرَائِهِمْ بِــهِ، وَتَنْفِــيرِ النَّاسِ عَنْــهُ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِنْهُ، كَمَا كَانَ سَلَفُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ يَفْعَلُونَ مَـعَ مَتْبُوعِهِ وَإِمَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، فَأَمَّا إِنْ دَعَـاهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَقَدَحَ فِيمَا هُمْ عَلَيْـهِ، فَهُنَالِـكَ تَقُـومُ قِيَـامَتُهُمْ وَيَبْغُونَ لَهُ الْغَوَائِلَ وَيَنْصِبُونَ لَـهُ الْحَبَائِلَ وَيَجْلِبُـونَ عَلَيْـهِ بِخَيْـلِ كَبِـيرِهِمْ وَرَجِلِـهِ، فَهُـوَ غَـرِيبٌ فِي دِينِـهِ لِفَسَـادِ أَدْيَانِهِمْ، غَـرِيبٌ فِي تَمَسُّـكِهِ بِالسُّــنَّةِ لِتَمَسُّـكِهِمْ بِالْبِـدَعِ، غَرِيبٌ فِي اعْتِقَادِهِ لِفَسَـادِ عَقَائِدِهِمْ، غَـرِيبٌ فِي صِـلَاتِهِ لِسُــوءِ صِــلَاتِهِمْ، غَــرِيبٌ فِي طَرِيقِــهِ لِضَــلَالِ وَفَسَــادِ طُرُقِهِمْ، غَرِيبٌ فِي نِسْبَتِهِ لِمُخَالَفَةِ نَسَـبِهِمْ، غَـرِيبٌ فِي مُعَاشَرَتِهِ لَهُمْ لِأَنَّهُ يُعَاشِرُهُمْ عَلَى مَا لَا تَهْـوَى أَنْفُسُـهُمْ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ غَرِيبٌ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، لَا يَجِــدُ مِنَ الْعَامَّةِ مُسَاعِدًا وَلَا مُعِينًا، فَهُوَ عَـالِمٌ بَيْنَ جُهَّال، صَـاحِبُ سُنَّةٍ بَيْنَ أَهْلِ بِدَعٍ، دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَرَسُــولِهِ بَيْنَ دُعَـاةٍ إِلَى الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، آمِرٌ بِالْمَعْرُوفِ نَاهٍ عَنِ الْمُنْكَـرِ بَيْنَ قَـوْمٍ

الْمَعْرُوفُ لَدَيْهِمْ مُنْكَرٌ وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفٌ. انتهى باختصار. وقالَ الآجُرِّيُّ (ت360هـ) في كتابِه (الغرباء): مَن أَحَبَّ أنْ يَبلُغَ مَراتِبَ الغُرَباءِ فَلْيَصْبِرْ على جَفَاءِ أَبَوَيه وزَوجَتِه وإخوانِه وقَرابَتِه، فإنْ قالَ قائلٌ {فَلِمَ يَجْفُوني؟}، قِيلَ، لأنَّك خالَفْتَهم على ما هُمْ عليه مِن حُبِّهم الدُّنْيا وشِدَّةِ حِرصِهم عليها، ولِتَمَكُّنِ الشَّهَواتِ مِن قُلوبِهم ما يُبالُون ما نَقَصَ مِن دِينِك ودِينِهم إذا سَلِمَتْ لهم بك دُنْياهُمْ، فإنْ تابَعْتَهم على ذلك كُنتَ الحَبِيبَ القَرِيبَ، وإنْ خالَفْتَهم وسَلَكْتَ طريقَ أهْلِ الآخرةِ باستعمالِك الحَقَّ جَفَا عليهم أمْرُك، فالأَبَوانِ مُتَبَرِّمان بِفِعَالِكَ، والزَّوجةُ بك مُتَضَجِّرةٌ فهي تُحِبُّ فِرَاقَك، والإخوانُ والقَرَابةُ قد زَهِدوا في لِقائِك، فأنتَ بينهم مَكْرُوبٌ مَحزُونٌ، فحينئذٍ نَظَرْتَ إلى نفسِك بعَينِ الغُرْبةِ فَأَنِسْتَ ما شاكَلَك مِنَ الغُرَباءِ واستَوحَشتَ مِنَ الإخوانِ والأَقْرِباءِ، فَسَلَكْتَ الطَّرِيقَ إلى اللهِ الكريمِ وَحْدَكَ، فإنْ صَبَرْتَ على خُشونةِ الطَّرِيقِ أَيَّامًا يَسِيرةٍ، واحتَمَلْتَ الذُّلَّ والمُدَاراةَ مُدَّةً قَصِيرةً، وزَهِدتَ في هذه الدارِ الحَقِيرةِ، أَعْقَبَك الصَّبْرُ أنْ وَرَدَ بك إلى دارِ العافِيَةِ، أرضُها طَيِّبةٌ ورِيَاضُها خَضِرَةٌ وأشجارُها مُثمِرةٌ وأنهارُها عَذْبةٌ، فِيهَا مَا تَشْتَهي الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وأَهْلُها فِيهَا مُخَلَّدُونَ، {يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ، خِتَامُهُ مِسْكٌ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}، يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ {لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ، وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ، وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}... ثم قالَ -أيِ الآجُرِّيُّ-: أَغْرَبُ الْغُرَبَاءِ فِي وَقْتِنَا هَذَا مَنْ أَخَذَ بِالسُّنَنِ وَصَبَرَ عَلَيْهَا، وَحَذِرَ الْبِدَعَ وَصَبَرَ عَنْهَا، وَاتَّبَعَ آثَارَ مَنْ سَلَفَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَرَفَ زَمَانَهُ وَشِدَّةَ فَسَادِهِ وَفَسَادَ أَهْلِهِ، فَاشْتَغَلَ بِإِصْلَاحِ شَأْنِ نَفْسِهِ مِنْ حِفْظِ

جَوَارِحِهِ، وَتَرْكِ الْخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَعَمِلَ فِي إِصْلَاحِ كَسْرَتِهِ، وَكَانَ طَلَبُهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا فِيهِ كِفَايَتُهُ وَتَرْكَ الْفَضْلِ الَّذِي يُطْغِيهِ، وَدَارَى أَهْلَ زَمَانِهِ وَلَمْ يُدَاهِنُهُمْ، وَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، فَهَذَا غَرِيبٌ وَقَلَّ مَنْ يَأْنَسُ إِلَيْهِ مِنَ الْعَشِيرَةِ وَالإِخْوَانِ، وَلَا يَضُرَّهُ ذَلِكَ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ {افْرُقْ لَنَا بَيْنَ الْمُدَارَاةِ وَالْمُدَاهَنَةِ}، قِيلَ لَهُ، الْمُدَارَاةُ يُثَابُ عَلَيْهَا الْعَاقِلُ، وَيَكُونُ مَحْمُودًا بِهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يُدَارِي جَمِيعَ النَّاسِ الَّذِينَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُمْ وَمِنْ مُعَاشَرَتِهِمْ، لَا يُبَالِي مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُ وَمَا انْتُهِكَ بِهِ مِنْ عِرْضِهِ، بَعْدَ أَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، فَهَذَا رَجُلٌ كَرِيمٌ غَرِيبٌ فِي زَمَانِهِ؛ وَ[أَمَّا] الْمُدَاهَنَةُ فَهُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي مَا نَقَصَ مِنْ دِينِهِ إِذَا سَلِمَتْ لَهُ دُنْيَاهُ، قَدْ هَانَ عَلَيْهِ ذَهَابُ دِينِهِ، بَعْدَ أَنْ تَسْلَمَ لَهُ دُنْيَاهُ، فَهَذَا فِعْلُ مَغْرُورٍ، فَإِذَا عَارَضَهُ الْعَاقِلُ فَقَالَ {هَذَا لَا يَجُوزُ لَكَ فِعْلُهُ}، قَالَ {نُدَارِي}، فَيُكْسِبُوا الْمُدَاهَنَةَ الْمُحَرَّمَةَ اسْمَ (الْمُدَارَاةِ)، وَهَذَا غَلَطٌ كَبِيرٌ؛ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ {لَيْسَ بِحَكِيمٍ مَنْ لَمْ يُعَاشِرْ بِالْمَعْرُوفِ لِمَنْ لَا يَجِدُ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ بُدًّا، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا}، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُوَ غَرِيبٌ طُوبَى لَهُ ثُمَّ طُوبَى لَهُ. انتهى باختصار. وقالَ أبو بكر الطرطوشي (ت520هـ) في (سراج الملوك): فالْمُدَارَاةُ أنْ تُدَارِيَ الناسَ على وَجْهٍ يَسْلَمُ لك [به] دِينُك. انتهى. وقالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي (فَتْحُ الباري): قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ {الْمُدَارَاةُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ خَفْضُ الْجَنَاحِ لِلنَّاسِ وَلِينُ الْكَلِمَةِ وَتَرْكُ الإِغْلَاظِ لَهُمْ فِي الْقَوْلِ؛ وَظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُدَارَاةَ هِيَ الْمُدَاهَنَةُ فَغَلِطَ، لِأَنَّ الْمُدَارَةَ مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا وَالْمُدَاهَنَةُ مُحَرَّمَةٌ؛ وَالْمُدَاهَنَةَ فَسَّرَهَا الْعُلَمَاءُ بِأَنَّهُ مُعَاشَرَةُ الْفَاسِقِ وَإِظْهَارُ الرِّضَا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِ؛ وَالْمُدَارَاةُ هِيَ الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ فِي التَّعْلِيمِ، وَبِالْفَاسِقِ فِي النَّهْيِ عَنْ

فِعْلِهِ، وَتَرْكُ الإِغْلَاظِ عَلَيْهِ حَيْثُ لَا يُظْهِرُ مَا هُوَ فِيهِ، وَالإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِلُطْفِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ}. اِنتهى باختصار. وقال البخاريُّ في صحيحِه: وَيُذْكَرُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ {إِنَّا لَنَكْشِرُ [أَيْ لَنَتَبَسَّمُ] فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ}... ثم قالَ -أي البخاريُّ-: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ اِبْنِ الْمُنْكَدِرِ حَدَّثَهُ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اِسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ [أَيِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] {اِئْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ (أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ)}، فَلَمَّا دَخَلَ، أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ [أَيْ بَعْدَ خُرُوجِ الرَّجُلِ] {يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ}، فَقَالَ {أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ (أَوْ وَدَعَهُ) النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ}. انتهى. وقالَ ابنُ المُلَقِّن (ت804هـ) في (التوضيح لشرح الجامع الصحيح): قَالَ الْعُلَمَاءُ {وَهِيَ [أَيِ الْمُدَاهَنَةُ] أَنْ يَلْقَى الْفَاسِقَ الْمُظْهِرَ لِفِسْقِهِ فَيُؤَالِفُهُ وَيُؤَاكِلُهُ وَيُشَارِبُهُ، وَيَرَى أَفْعَالَهُ الْمُنْكَرَةَ وَيُرِيهُ الرِّضَا بِهَا وَلَا يُنْكِرُهَا عَلَيْهِ وَلَوْ بِقَلْبِهِ، فَهَذِهِ الْمُدَاهَنَةُ الَّتِي بَرَّأَ اللَّهُ مِنْهَا نَبِيَّهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِقَوْلِهِ {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}؛ وَالْمُدَارَاةُ هِيَ الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ الَّذِي يَتَسَتَّرُ بِالْمَعَاصِي وَلَا يُجَاهِرُ بِالْكَبَائِر، وَالْمُعَاطَفَةُ فِي رَدِّ أَهْلِ الْبَاطِلِ إِلَى مُرَادِ اللَّهِ بِلِينٍ وَلُطْفٍ، حَتَّى يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ. انتهى.

(7)وقالَ الشيخُ ناصرُ بنُ يحيى الحنيني (الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة) في مقالة له على هذا الرابط: اِعلَمْ أنَّ الأصلَ في مُعَاداةِ الكفار وبُغْضِهم أنْ تكونَ ظَاهِرَةً، لَا مَخْفِيَّةً مُسْتَتِرةً، حِفْظًا لدِينِ المسلِمِين، وإشعارًا لهم بالفَرْقِ بينهم

وبين الكـافرين، حـتى يَقْـوَى ويَتَماسَـكَ المسـلمون ويَضْـعُفَ أعـداءُ المِلَّةِ والـدِّين، والـدليلُ على هـذا قولُـه تعالى آمِرًا نَبِيَّه والأُمَّةَ كُلَّها بـأنْ تَقْتَـدِيَ بـإبْرَاهِيمَ عليـه السلامُ إمَامِ الحُنَفَاءِ وأنْ تَفْعَلَ فِعْلَه، حَيْثُ قالَ سُبْحَانَه {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْـرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَـهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُـرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُـدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَـاءُ أَبَـدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}، وتَأَمَّلْ معي الفَوائدَ مِن هـذه الآيَـةِ العظِيمةِ الصَّريحةِ التي لم تَـدَعْ حُجَّةً لمُحْتَجٍّ؛ (أ)أنَّه قَـدَّمَ البَـرَاءَ مِنَ الكـافرين على البَـرَاءَةِ مِن كُفـرهم، لِأهَمِّيَّةِ مُعـاداةِ الكفـار وبُغضِـهم وأنَّهم أشَـدُّ خَطَـرًا مِن الكُفـر نَفْسِه، وفيها إشـارةٌ إلى أنَّ بعضَ النـاس قـد يَتَبَـرَّأُ مِنَ الكُفرِ والشركِ، ولكنَّه لا يَتَبَرَّأُ مِنَ الكافرين؛ (ب)أنَّه لَمَّا أرادَ أنْ يُبَيِّنَ وُجـوبَ بُغضِـهم عَبَّرَ بـأقْوَى الألفـاظِ وأغْلَظِها فقالَ {كَفَرْنَـا بِكُمْ}، لخُطـورةِ وعِظَم الوُقـوع في هذا المُنْكَر؛ (ت)أنَّه قالَ {بَدَا}، والبُدُوُّ هـو الظُّهـورُ والوُضوحُ وليس الخَفـاءَ والاسْـتِتارَ، فتَأَمَّلْ هـذا وقارنْـه بمَن يَنْعِـقُ في زَمانِنـا بأنَّه لا يَسُـوغُ إظهـارُ مِثْـلِ هـذه المُعتَقَـداتِ في بِلادِ المسـلِمِين حـتى لا يَغْضَـبَ علينـا أعـداءُ الـدِّين، فَلَا حَـوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ؛ (ث)قولُـه {أَبَدًا}، أَيْ إلى قِيَام الساعةِ ولَو تَطَوَّرَ العُمْرانُ ورَكِبْنـا الطائراتِ وعَمَرْنا الناطِحاتِ، فهذا أصلٌ أصِـيلٌ لا يَـزُولُ ولا يَتَغَيَّرُ بتَغَيُّر الزَّمانِ ولا المَكانِ... ثم قالَ -أي الشـيخُ الحنيـني-: اعلمْ أنَّ هـذه القَضِـيَّةَ -أعنِي وُجـوبَ مُعـاداةِ الكـافِرين وبُغضِـهم- أمْـرٌ لا خِيَـارَ لنـا فيـه، بـلْ هـو مِنَ العباداتِ التي افْتَرَضَـها [اللـهُ] على المُـؤمِنِين كالصَّـلاةِ وغيرها مِن فرائض الإسلام، فلا تَغْتَرَّ بمَن يَزْعُمُ أنَّ هـذا دِينُ الوَهَّابِيَّةِ أو دِينُ فُلَان أو فُلَان، بـلْ هـذا دِينُ رَبِّ العالَمِين، وهُدَي سَيِّدِ المُرْسَلِين... ثم قـال -أي الشـيخُ الحنيني-: هذا الأَمْرُ [هو] مِنَ الشرائعِ التي فُرِضَتْ على

كُلِّ الأنبياءِ والرُّسُل -أَعْنِي مُعاداةَ أَعداءِ اللهِ والبَراءةَ منهم-، فهذا نُوحٌ، يقولُ اللهُ له عن اِبْنِه الكافِر {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ}، وهذا إبراهِيمُ يَتَبَرَّأُ هو ومَن معه مِنَ المُؤمِنِين، مِن أقوامِهم وأقْرَبِ الناس إليهم، بلْ تَبَرَّأَ مِن أَبِيه، فقالَ {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ}، وأصحابُ الكَهْفِ اعْتَزَلوا قومَهم الذِين كَفَروا حِفاظًا على دِينِهم وتَوحِيدِهم، قالَ جَلَّ وعَلَا عنهم {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا}... ثم قالَ -أي الشيخُ الحنيني-: إنَّ قَضِيَّةَ الوَلَاءِ لِلمؤمنِين والبَراءةِ مِنَ الكافِرِين مُرْتَبِطةٌ بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ارْتِباطًا وَثِيقًا، فإنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَتَضَمَّنُ رُكْنَيْن؛ الأَوَّلُ، النَّفْيُ، وهو نَفْيُ العُبُودِيَّةِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ، والكفرُ بكُلِّ ما يُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ، وهو الذي سَمَّاه اللهُ عَزَّ وجَلَّ الكُفْرَ بالطَّاغُوتِ [وذلك في قولِه {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ}]؛ والثانِي، الإثباتُ، وهو إفرادُ اللهِ بالعبادةِ؛ والدَّلِيلُ على هذيْن الرُّكْنَيْن قولُه تَعالَى {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، ومِنَ الكُفرِ بِالطَّاغُوتِ الكُفرُ بِأَهْلِه كما جاءَ في قولِه تَعالَى {كَفَرْنَا بِكُمْ}، وقولِه {إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ}، إذْ لا يُتَصَوَّرُ كُفْرٌ مِن غيرِ كافِر، ولا شِرْكٌ مِن غيرِ مُشْرِكٍ، فوَجَبَ البَرَاءةُ مِنَ الفِعْلِ والفاعل حتى تَتَحَقَّقَ كَلِمةُ التَّوحِيدِ (كَلِمةُ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ")... ثم قالَ -أي الشيخُ الحنيني-: هناك فَرْقٌ بين بُغض الكافر وعَدَاوَتِه وبين مُعامَلَتِه ودَعْوَتِه إلى الإسلام؛ فالكافرُ لا يَخْلُو إمَّا أنْ يكونَ حَرْبِيًّا [قالَ الشيخُ محمد بن موسى الدالي على موقعِه في هذا الرابط: فَدَارُ الكُفْر، إذا أُطْلِقَ عليها (دارُ الحَرْبِ) فَباعتِبار مَآلِها وتَوَقُّع الحَرْبِ منها، حتى ولو لم يكنْ هناك حَرْبٌ فِعلِيَّةٌ مع دارِ الإسلامِ.

انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ عبدُالله الغليفي في كتابِه (أحكام الديار وأنواعها وأحوال ساكنيها): الأصْلُ في (دار الكُفْر) أَنَّها (دارُ حَرْبِ) ما لم تَرْتَبِطْ مع دار الإسلام بعُهودٍ ومَواثِيقَ، فَإنِ اِرتَبَطَتْ فتُصْبِحَ (دارَ كُفْر مُعاهَدةً)، وهذه العُهودُ والمَواثِيقُ لا تُغَيِّرُ مِن حَقِيقةِ دار الكُفْر. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ مشهور فوّاز محاجنة (عضو الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين) في (الاقتِراض مِنَ البُنوكِ الرِّبَويَّةِ القائمةِ خارجَ دِيَار الإسلام): ويُلاحَظُ أنَّ مُصطلَحَ (دار الحَرْبِ) يَتَداخَلُ مع مُصطلَحِ (دار الكُفْر) في اِستِعمالاتِ أكثَر الفُقَهاءِ... ثم قالَ -أي الشيخُ محاجنة-: كُلُّ دار حَرْبِ هي دارُ كُفْر ولَيسَتْ كُلُّ دار كُفْر هي دارَ حَرْبِ. انتهى. وجاءَ في الموسوعةِ الفقهيةِ الكُوَيْتِيَّةِ: أَهْلُ الحَرْبِ أو الحَرْبِيُّون، هُمْ غيرُ المُسلِمِين، الذِين لم يَدْخُلوا في عَقْدِ الذِّمَّةِ، ولا يَتَمَتَّعون بأَمَانِ المُسلِمِين ولا عَهْدِهم. انتهى. وقالَ مركزُ الفتوى بموقع إسلام ويب التابع لإدارة الدعوة والإرشاد الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر في هذا الرابط: أمَّا مَعْنَى الكافِر الحَرْبيِّ، فهو الذي ليس بَيْنَه وبين المُسلِمِين عَهْدٌ ولا أمَانٌ ولا عَقْدُ ذِمَّةٍ. انتهى. وقالَ الشيخُ حسينُ بنُ محمود في مَقالةٍ له على هذا الرابط: ولا عِبْرةَ بقَولِ بعضِهم {هؤلاء مَدَنِيُّون}، فليس في شَرْعِنا شيءٌ اسْمُهُ (مَدَنِيٌّ وعَسْكَرِيٌّ)، وإنَّما هو (كافرٌ حَرْبيٌّ ومُعاهَدٌ)، فكُلُّ كافر يُحاربُنا، أو لم يَكُنْ بيننا وبينه عَهْدٌ، فهو حَرْبيٌّ حَلَالُ المالِ والدَّم والذُّرِّيَّةِ [قالَ الْمَاوَرْدِيُّ (ت450هـ) في (الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي) في بَابِ (تَفْريق الْغَنِيمَةِ): فَأَمَّا الذُّرِّيَّةُ فَهُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، يَصِيرُونَ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ مَرْقُوقِينَ. انتهى باختصار]. انتهى. وقالَ الشيخُ محمدُ بنُ رزق الطرهوني (الباحث بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف، والمدرس الخاص للأمير عبدالله بن فيصل بن مساعد بن سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود) في كتابِه (هلْ هناك كُفَّارٌ مَدَنِيُّون؟ أو أَبْريَاءُ؟): لا يُوجَدُ شَرْعًا كافرٌ بَريءٌ، كما لا يُوجَدُ شَرْعًا مُصْطَلَحُ (مَدَنِيّ) وليس له حَظٌّ في مُفْرَداتِ الفقهِ الإسلاميِّ... ثم قالَ - أي الشيخُ الطرهوني-: الأصلَ حِلُّ دَم الكافِرِ ومالِه - وأَنَّه لا يُوجَدُ كافرٌ بَريءٌ ولا يُوجَدُ شيءٌ يُسَمَّى (كافِر مَدَنِيّ)- إلَّا ما اِستَثناه الشارعُ في شَريعَتِنا. انتهى. وقالَ الْمَاوَرْدِيُّ (ت450هـ) في (الأحكام السلطانية): وَيَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْ مُقَاتِلَةِ [المُقَاتِلَةُ هُمْ مَن كانوا أَهْلًا للمُقاتَلةِ أو لِتَدبِيرها، سَوَاءٌ كانوا عَسْكَرِيِّين أو مَدَنِيِّين؛ وأمَّا غيرُ المُقاتِلةِ فَهُمُ المرأةُ، والطِّفْلُ، وَالشَّيْخُ الهَرِمُ، وَالرَّاهِبُ، وَالزَّمِنُ (وهو الإنسانُ المُبْتَلَى بعاهةٍ أو آفةٍ جَسَدِيَّةٍ مُستمِرَّةٍ تُعْجِزُه عن القتال، كَالْمَعْتُوهُ وَالأَعْمَى والأَعْرَجُ والمَفْلُوجُ "وهو المُصابُ بالشَّلَلِ النِّصْفِيِّ" والْمَجْذُومُ "وهو المُصابُ بالجُذَام وهو داءٌ تَتَساقَطُ أعضاءُ مَن يُصابُ به" والأَشَلُّ وما شابَهَ)، وَنَحْوُهِمْ] الْمُشْرِكِينَ مُحَاربًا وَغَيْرَ مُحَاربِ [أيْ سَوَاءٌ قاتَلَ أم لم يُقاتِلْ]. انتهى. وقالَ الشيخُ يوسف العييري في (حقيقة الحرب الصليبية الجديدة): فالدُّوَلُ تَنقَسِمُ إلى قِسمَين، قِسمٌ حَرْبيٌّ (وهذا الأصلُ فيها)، وقِسمٌ مُعاهَدٌ؛ قالَ ابنُ القيم في (زاد المعاد) واصِفًا حالَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم بعدَ الهجرةِ، قالَ {ثُمَّ كَانَ الْكُفَّارُ مَعَهُ بَعْدَ الأَمْر بِالْجِهَادِ ثَلَاثَةَ أَقْسَام، أَهْلُ صُلْحٍ وَهُدْنَةٍ، وَأَهْلُ حَرْبٍ، وَأَهْلُ ذِمَّةٍ}، والدُّوَلُ لا تَكُونُ ذِمِّيَّةً، بَلْ تكونُ إمَّا حَرْبِيَّةً أو مُعاهَدةً، والذِّمَّةُ هي في حَقِّ الأفرادِ في دار الإسلام، وإذا لم يَكُن الكافرُ مُعاهَدًا ولا ذِمِّيًّا فإنَّ الأصلَ فيه أنَّه حَرْبِيٌّ حَلَالُ الدَمِ، والمالِ، والعِرْضِ [بِالسَّبْيِ].

انتهى] فهذا لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ إلَّا السَّيْفُ وإظهارُ العَدَاوةِ والبَغْضاءِ له؛ وإمَّا أنْ يكونَ ليس بمُحارِبٍ لنا ولا مُشارِكٍ للمُحاربين، فهذا إمَّا أنْ يكـونَ ذِمِّيًّا أو مُسـتَأْمَنًا أو بَيْنَنَـا وَبَيْنَهُ عَهْدٌ، فهذا يَجِبُ مُراعـاة العَهْـدِ الـذي بَيْنَنَـا وَبَيْنَـهُ، فيُحْقَنُ دَمُه، ولا يَجُوزُ التَّعَدِّي عليـه، وتُـؤدَّى حُقوقُـه إنْ كان جارًا، ويُزَارُ إنْ كان مريضًا، وتُجـابُ دَعْوَتُـه، بشـرطِ دَعْوَتِه للإسلام في كُلِّ هذه الحالاتِ وعَدَم الحُضور معــه في مكانٍ يُعصَـى اللـهُ فيـه، وبغَيْـر هـذَيْن الشَّـرطَيْن لا يَجُوزُ مُخالَطَتُه والأُنْسُ معه، فصِيَانَةُ الدِّين والقَلْبِ أَوْلَى وأَحْرَى، بـلْ أُمِرْنـا عِنـد دَعْـوَتِهم بمُجـادَلَتِهم بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، كما قالَ جَلَّ وعَلَا {وَلا تُجَـادِلُوا أَهْـلَ الْكِتَـابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ}، وقـال عمَّن لم يُقاتِلْنـا {لا يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ فِي الـدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُـوكُمْ مِنْ دِيَـارِكُمْ أَنْ تَبَـرُّوهُمْ وَتُقْسِـطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِـطِينَ} [سُـئِلَ في هـذا الرابط مَرْكَـزُ الفتـوى بموقع إسلام ويب التابعُ لإدارةِ الدعوةِ والإرشادِ الدينيِّ بوزارةِ الأوقافِ والشؤونِ الإسلاميةِ بدولةِ قطـر: وَدِدْتُ أنْ أطْرحَ سؤالًا حَوْلَ هذه الآيَةِ الكَريمةِ {لا يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ فِي الـدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُـوكُمْ مِنْ دِيَـــارِكُمْ أَنْ تَبَـــرُّوهُمْ وَتُقْسِـــطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِـــطِينَ}، السُّـــؤَالُ هُـــوَ، مَن هي هـــذه الفِئَةُ -المَذكورةُ في الآيَةِ- التي نُبِرُّها ونُقْسِطُ إليهـا؟. فأجـابَ مَرْكَـزُ الفتـوى: للعُلَمـاءِ كلامٌ طويـلٌ حـولَ هـذه الآيَـةِ؛ فـذَهَبَتْ طائفـةٌ منهم إلى أنَّهـا مَنسـوخةٌ بآيَـةِ السَّـيْفِ الـتي في سُـورَةِ التَّوبــةِ {فَــاقْتُلُوا الْمُشْــرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ}؛ وذَهَبَتْ طائفةٌ أُخْرَى إلى أنَّها مُحْكَمـةٌ، أَيْ غــيرُ مَنســوخةٍ، وأنَّ المُـرادَ بهـا الكُفَّارُ الْمُعَاهَـدُونَ أو الذِّمِّيُّون، الذِين لم يُحـارِبوا المُسـلِمِين ولم يُعِينُـوا على حَرْبِهم، ومَعْنَى {تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} تُعْطُـوهم قِسْـطًا مِن أمــوالِكم على وَجْــهِ الصِّــلَةِ [أَيِ البِــرِّ والإِحْسَــانِ]، أَمَّا

تَهْنِئَتُهم بأَعْيَـادِهِم وصُحْبَتُهم ومَحَبَّتُهم فهـذه لا تَجُـوزُ بحالٍ، فالكافِرُ بطَبِيعَتِه مُحـاربٌ لِرَبِّه، ولا تَجْتَمِـعُ مَوَدَّتُـه في القَلْبِ مع الإيمانِ باللهِ جَلَّ وعَلَا، يقولُ [تَعالَى] {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ يُـوَادُّونَ مَنْ حَـادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْـوَانَهُمْ أَوْ عَشِـيرَتَهُمْ}، ولِأنَّ في تَهْنِئَتِهم بأَعْيَـادِهم إقــرارًا لهم على ما هُمْ عليه مِن باطلٍ، بلْ والرِّضَا بـذلك، ولا يَشُـكُّ مُسلِمٌ في أنَّ الرِّضَا بالكُفر كُفرٌ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ سليمانُ بنُ عبدالله بن محمد بن عبـدالوهاب في (أوثــق عــرى الإيمــان، بتحقيــق الشــيخ الوليــد بن عبدالرحمن آل فريان): أمَّا قَولُه تَعالَى {لا يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّين...} الآيَةَ، فإنَّ معناهـا أنَّ اللـهَ لا يَنْهَى المُـؤْمِنِين عن بِـرِّ مَن لم يُقـاتِلْهم مِنَ الضُّعَفاءِ والمَساكِين -كالنِّساءِ والصِّبْيَانِ- في أَمْرِ الدُّنْيَا، كإعطــائِهم إذا سَــأَلُوك ونحــو ذلــك، وأَمَّا مُــوَالَاتُهم ومَحَبَّتُهم وإكرامُهم فَلَمْ يُرَخِّصِ اللهُ تعالى في ذلك، بلْ شَــدَّدَ في [النَّهْي عن] مُــوَالَاةِ الكفــار مِنَ اليَهُــودِ والنَّصَارَى ولو كـانوا أهـلَ ذِمَّةٍ، حـتى نَهَى النـبيُّ صـلى اللهِ عليه وسلم عن بَدَاءَتِهم بالسلام والتَّوْسِعةِ لهم في الطَّرِيق، وقـالَ {لَا تَبْـدَءُوا الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى بِالسَّـلَام، وَإِذَا لَقِيتُمُـوهُمْ فِي طَرِيـق فَاضْـطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْـيَقِهِ}، وهكذا حالُ المُعاهَدِ، فأَمَّا الكافرُ الحَرْبيُّ والمُرْتَـدُّ فـأَيْنَ الرُّخْصَـةُ في شَـيءٍ مِن ذلـك؟!، وقـد نَصَّ على أنَّ هـذه الآيَــةَ [أَيْ قَولَــه تَعــالَى {لا يَنْهَــاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّين...} الآيَةَ] في النِّسـاءِ ونحـوهم ابنُ كثير. انتهى. وقالَ الشـيخُ ناصـرُ بنُ محمـد الأحمـد في خُطْبَةٍ له بعنوان (مسـائل في الـولاء والـبراء) موجـودة على هذا الرابط: ويَقَعُ الخَلْطُ واللَّبْسُ أحيانًا بين حُسْـن المُعامَلةِ مع الكُفَّار غير الحَـربيِّين [الكـافِرُ الحَـرْبيُّ هـو الذي لا عَهْدَ له ولا ذِمَّةَ ولا أمانَ، سَوَاءٌ كـانَ عَسْـكَرِيًّا أو

مَـدَنِيًّا] وبُغْض الكفـار والبَـراءةِ منهم، ويَتَعَيَّنُ مَعْرفـةُ الفَـرْق بينهما، فحُسـنُ التعامُـلِ معهم أمْـرٌ جـائزٌ، وأمَّا بُغْضُهم وعداوتُهم فأمْرٌ آخَرُ، فاللهُ جَلَّ وتعالى مَنَـعَ مِنَ التَّوَدُّدِ لأهلِ الذِّمَّةِ بقولِهِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَـدْ كَفَـرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ}، فمَنَعَ المُوَالاةَ والتَّوَدُّدَ، وقالَ في الآيَةِ الأُخرَى {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الـدِّين وَلَمْ يُخْرِجُـوكُمْ مِنْ دِيَـاركُمْ أَنْ تَبَـرُّوهُمْ}، فَالإحْسَانُ لِأَهْـلِ الذِّمَّةِ مَطْلُـوبٌ بينمـا التَّوَدُّدُ وَالْمُـوَالاةُ مَنْهِيٌّ عَنْهُمَا، فيَجُوزُ أَنْ نَبَرَّهُمْ بِكُلِّ أَمْر لَا يَكُونُ ظَـاهِرُهُ يَـدُلُّ عَلَى مَـوَدَّاتِ الْقُلُـوبِ، وَلَا تَعْظِيم شَـعَائِرِ الْكُفْـر، فَمَتَى أَدَّى إلَى أَحَدِ هَذَيْن امْتَنَعَ وَصَارَ مِنْ قِبَـلِ مَـا نُهيَ عَنْهُ، فيجوز الرِّفْقُ بِضَعِيفِهِمْ، وَإِطْعَامُ جَائِعِهِمْ، وَإِكْسَـاءُ عَـارِيهِمْ، وَيَنْبَغِي لَنَـا أَنْ نَسْتَحْضِـرَ فِي قُلُوبِنَا مَـا جُبِلُـوا عَلَيْهِ مِنْ بُغْضِـنَا وَتَكْـذِيبِ نَبِيِّنَـا صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وَأَنَّهُمْ لَوْ قَدَرُوا عَلَيْنَا لَاسْتَأْصَلُوا شَأْفَتَنَا وَاسْـتَوْلَوْا عَلَى دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَأَنَّهُمْ مِنْ أَشَدِّ الْعُصَاةِ لِرَبِّنَا وَمَالِكِنَا عَـزَّ وَجَلَّ. انتهى باختصار]... ثم قالَ -أي الشـيخُ الحنيـني-: اِعلَمْ أنَّه يَجُـوزُ في بعض الحـالاتِ أنْ تُظْهِـرَ بلِسَـانِك المَـوَدَّةَ، إذا كُنْتَ مُكرَهًـا وتَخْشَـى على نفسِـك، وهـذا فَقَطْ في الظاهِرِ لا في الباطِنِ، بمَعْنَى أنَّك عند الإكراهِ تُظْهِرُ له بلِسَانِك المَوَدَّةَ لا بقَلْبِـك، فـإنَّ قَلْبَـك لا بُـدَّ أنْ يَنْطَوِيَ على بُغضِه وعَدَاوَتِه، كما قالَ جَلَّ وعَلَا {لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُـونَ الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِن دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَـيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُـوا مِنْهُمْ تُقَـاةً، وَيُحَـذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَـهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِـيرُ}، قـالَ اِبنُ كثير رَحِمَه اللهُ [في تَفسِيره] {(إِلَّا أَنْ تَتَّقُـوا مِنْهُمْ تُقَاةً) أَيْ إِلَّا مَنْ خَافَ فِي بَعْض الْبُلْـدَان أَو الأَوْقَـاتِ مِنْ شَرِّهِمْ، فَلَـهُ أَنْ يَتَّقِيَهُمْ بِظَـاهِرِهِ لَا بِبَاطِنِـهِ وَنِيَّتِـهِ، كَمَـا حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي الـدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَـالَ (إِنَّا لَنَكْشِـرُ [أَيْ

لَنَتَبَسَّــمُ] فِي وُجُــوهِ أَقْــوَامٍ وَقُلُوبُنَــا تَلْعَنُهُمْ)، وَقَــالَ الثَّوْرِيُّ (قَــالَ ابْنُ عَبَّاس "لَيْسَ التَّقِيَّةُ بِالْعَمَــلِ، إنَّمَــا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ")}، وعليه فإنَّه لا يَجُوزُ بحالٍ -حـتى في حالِ الإكراهِ- عَمَلُ ما يُوجِبُ الكُفـرَ، كإعانـةِ الكُفَّار على المُســلِمِين ونُصْــرَتِهم عليهم وإفشــاءِ أســرارهم [أَيْ أسرار المُسلِمِين] ونحو ذلك، قَالَ اِبْنُ جَرير [في (جامع البيانِ في تأويل القرآن)] عند تَفسِير قولِه [تعالى] (إلَّا أَنْ تَتَّقُــوا مِنْهُمْ تُقَــاةً) {إلَّا أَنْ تَكُونُــوا فِي سُــلْطَانِهِمْ فَتَخَــافُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِــكُمْ، فَتُظْهِــرُوا لَهُمُ الْوِلاَيَــةَ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتُضْمِرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ، وَلَا تُشَايِعُوهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْـرِ، وَلَا تُعِينُـوهُمْ عَلَى مُسْـلِمٍ بِفِعْـلٍ}. انتهى باختصار.

(8)وقــالَ الشــيخُ ســيد قطب في كِتابِــه (مَعــالِمُ في الطريــق): لا بُــدَّ لنــا مِنَ التَّخَلُّصِ مِن ضَـغْطِ المُجتَمَــعِ الجــاهِلِيِّ والتَّصَــوُّراتِ الجاهلِيَّةِ والتقاليــدِ الجاهلِيَّةِ والقِيَادةِ الجاهلِيَّةِ، في خاصَّةِ نُفُوسِنا؛ ليستْ مُهمَّتُنا أَنْ نَصْطَلِحَ [أَيْ نَتَوَافَقَ ولا نَتَخَاصَمَ] مع واقِعِ هذا المجتمَــع الجاهلِيِّ، فهو بهذه الصِّفةِ (صِفَةِ الجاهلِيَّةِ)، غَيْـرُ قابِـلٍ لِأَنْ نَصْــطَلِحَ معه، إنَّ مُهمَّتَنــا أَنْ نُغَيِّرَ مِن أَنْفُسِــنا أَوَّلًا لِنُغَيِّرَ هذا المجتمـعَ أخـيرًا، إنَّ مُهمَّتَنـا الأولى هي تغيـيرُ واقِـعِ هـذا المجتمـع، مُهمَّتُنـا هي تغيـيرُ هـذا الواقـع الجاهلي مِن أساسِه، هذا الواقعُ الذي يَصطدمُ اصطدامًا أساسِيًّا بالمنهج الإسلاميِّ وبالتَّصَـوُّر الإسـلامِيِّ، والـذي يَحْرِمُنا بالقَهْر والضَّـغْطِ أَنْ نَعِيشَ كمـا يريـدُ لنـا المنهجُ الإلهيُّ أَنْ نَعِيشَ؛ إنَّ أُولَى الخطـواتِ إلى طريقنـا هي أن نَسْــتَعْلِيَ على هــذا المجتمَــع الجــاهليِّ وقِيَمِــه وتَصُوُّراتِه، وأَلَّا نُعَدِّلَ في قِيَمِنا وتَصَوُّراتِنا قليلًا أو كثيرًا لِنَلْتَقِيَ معـه في مُنْتَصَـفِ الطريـق، كَلَّا، إنَّنـا وإيَّاه على مَفْرِقِ الطريقِ، وحين نُسايِرُه خطوةً واحدةً فإننـا نَفْقِـدُ

المنهجَ كلَّه ونَفْقِدُ الطريـقَ [قـالَ ابنُ تيميـةَ في (بيـان تلبيس الجهمية): إنَّ دُعاةَ الباطلِ المُخالِفِين لِمَا جــاءَتْ به الرُّسُلُ يَتَدَرَّجون مِنَ الأسـهلِ والأقْـرَبِ إلى مُوَافَقـةِ الناس إلى أنْ يَنْتَهُوا إلى هَدْمِ الدِّين. انتهى]؛ وسَـنَلْقَى في [سَبِيلِ] هذا عَنَتًا ومَشَقَّةً، وستُفْرَضُ علينا تَضْحِيَاتٌ باهِظـةٌ، ولكننـا لَسْـنَا مُخَيَّرين إذا نحن شِـئْنَا أنْ نَسْـلُكَ طريقَ الجِيلِ الأَوَّلَ [أيْ جِيلِ الصحابةِ] الذي أَقَرَّ اللهُ بــه منهجَه الإلهيَّ ونَصَـرَه على منهج الجاهليـةِ... ثم قـالَ -أي الشيخُ سيد قطب-: إنَّ نِظَامَ اللهِ خَيْرٌ في ذاتِه، لأنـه مِن شَرْعِ اللهِ، ولن يكونَ شَرْعُ العبيدِ يومًا كشَـرْعِ اللـهِ، ولكنْ هذه ليستْ قاعِـدةَ الـدعوةِ، إنَّ قاعـدةَ الـدعوةِ أنَّ قَبُولَ شَرْعِ اللهِ وحده -أيًّا كانَ- هو ذاتُه الإسـلامُ، وليس للإسـلام مَـدْلُولٌ سِـوَاهُ، فمن رَغِبَ في الإسـلام ابتـداءً فقـد فَصَـلَ في القَضِـيَّةِ، ولم يَعُـدْ بحاجَـةٍ إلى تَرغِيبِـه بجمــالِ النظــامِ وأفْضَــلِيَّتِه، فهــذه إحــدى بَــدِيهيَّاتِ الإيمان... ثم قالَ -أي الشـيخُ سـيد قطب-: الإسـلامُ لم يَكُنْ يَمْلُـكُ أنْ يَتَمَثَّلَ في (نَظَرِيَّةٍ) مُجَـرَّدةٍ، يَعْتَنِقُهـا مَن (يَعْتَنِقُها اعتقـادًا ويُزَاولُهـا عِبَـادةً)، ثم يَبْقَى مُعتنِقوهـا على هـذا النحـو أفـرادًا ضِـمْنَ الكيـانِ العُضْـويِّ للتَّجَمُّع الحَرَكِيِّ الجاهليِّ القائم (فِعْلًا)، فإنَّ وُجُودَهم على هــذا النحو -مَهْمَا كَثُـرَ عَـدَدُهم- لا يُمْكِنُ أن يُـؤَدِّيَ إلى وُجُـودٍ (فِعْلِيٍّ) للإسـلام، لِأنَّ الأفــرادَ (المسـلِمِين نَظَرِيًّا) الـدَّاخِلِين في الـتركيبِ العُضْـويِّ للمجتمَـعِ الجـاهليِّ سَـيَظَلُّون مُضْـطَرُّون حَتْمًـا للاسـتجابة لِمَطَـالِبِ هــذا المُجتمَع العُضْويِّ، سيَتَحَرَّكون -طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، بِوَعْي أو بغـير وَعْي- لِقَضـاءِ الحاجـاتِ الأساسـيَّةِ لِحَيَـاةِ هــذا المُجتمَـعِ الضـروريَّةِ لِوُجـودِه، وسـيُدافِعون عن كِيَانِـه، وسَـيَدْفَعُون [أيْ سـيُنَحُّون ويُبْعِـدون ويَـرُدُّون] العَوَامِـلَ التي تُهَدِّدُ وُجودَه وكِيَانِـه، لِأنَّ الكـائنَ العُضْـويَّ [للتَّجَمُّع الحَرَكِيِّ الجـاهِلِيِّ] يَقُـومُ بهـذه الوظـائفِ بكُـلِّ أعضـائه

سَـوَاءٌ أرادوا أَمْ لم يُريـدوا، أَيْ أنَّ الأفـرادَ (المسـلمِين نظريًّا) سَـيَظَلُّون يَقُومـون (فِعْلًا) بتَقْوِيَـةِ المجتمَـع الجاهلِيِّ الذي يَعْمَلون (نظريًّا) لإزالَتِه، وسَيَظَلُّون خَلَايَـا حَيَّةً في كِيَانِـه تُمِـدُّه بعناصـر البَقَـاءِ والامتـدادِ!، وسـيُعْطُونه كِفايَـاتِهم [أَيْ كَفَـاءَاتِهم] وخِبْـراتِهم ونشاطَهم لِيَحْيَا بها ويَقْوَى!، وذلـك بَـدَلًا مِن أنْ تكـونَ حَرَكَـاتُهم في اتِّجَـاهِ تَقْـويض هـذا المجتمَـع الجـاهلِيِّ لإقامةِ المجتمَع الإسلاميِّ؛ ومِن ثَمَّ لم يَكُنْ بُدٌّ أنْ تَتَمَثَّلَ القاعـدةُ النظريَّةُ للإسـلام (أي العقيـدةُ) في تَجَمُّع عُضْويٍّ حركيٍّ منذ اللحظـة الأولى [قـالَ الشـيخُ حسـين بن محمود في كتابِه (مراحِل التطوُّر الفِكْـريّ في حيـاة سيِّد قُطْب): لقد ذَكَـرَ سَـيِّد قطب رحمـه اللـهُ مُصْـطَلَحَ (الإسـلام الحَـرَكِيّ) في مَوَاضِـعَ كثـيرةٍ مِن كُتُبِـه، وهـو يَقصِدُ بهذا المصطلح عَدَمَ الاكتفاءِ بالنَّظَر في النُّصوص دُونَ العَمَـلِ بهـا، وقـال في مُقَدِّمـة كتابـه (مُقَوِّمَـات التصوُّر الإسلامي) {إن طبيعة هذا الدِّين تَرْفُضُ اختزالَ المعـارف البـاردة في ثلاجـات الأذهـان الجامـدة، إن المعرفـة في هـذا الـدِّين تتحـوَّلُ لِتَوِّهَـا إلى حَرَكَـةٍ وإلا فهي ليسـت مِن جنس هـذا الـدِّين، وحين كـان القـرآنُ يَتَنَزَّلُ، لم يَتَنَزَّل بتَوْجِيهٍ أو حُكْمٍ إلا لتنفيذه لِسـاعَتِه، أي ليكون عنصرًا حَرَكِيًّا في المجتمعِ الحَيِّ}؛ لقد كان سَـيِّدٌ يُنْتَقَدُ كثيرا مِنَ الصُّوفِيَّةِ وأهلِ الإرجاءِ، الذِين لم يكونوا يُحَرِّكُون ساكِنًا لِنُصرةِ الدِّين، فكان سَيِّدٌ رحمه الله يُجَدِّدُ فيهم رُوحَ الدِّين بِدَفْعِهم للعَمَلِ بالكتـاب والسُّـنَّة، وهـو بذلك يقول ما قال السلفُ بأن {الإيمانَ قـولٌ وعمـلٌ}، ولكِنَّه كان يقولُه بتَعبِيره هو، فالتعاليم الشرعية ليسـت سَلْبِيَّةً، ولم يَبْعَثِ اللـهُ سـبحانه وتعـالى نبيَّه صـلى اللـه عليـه وسـلم لِيُعَلِّم النـاسَ القُعـودَ والاكتفـاءَ بـالعلوم النظريَّةِ دُونَ التطـبيق العملِيِّ، وهـذا هـو (الإسـلامُ الحركِيُّ) الذي يَقْصِدُه سَـيِّدٌ رحمـه اللـه... ثم قـالَ -أيِ

الشيخُ حسين بن محمود-: بَعْدَ أنْ نَخَرَ في الأُمَّةِ رُوحُ الإرجاءِ والتَّصَوُّفِ السلبيِّ أَتَى سَيِّدٌ رحمه الله لِيُحَطِّمَ هذا الجانبَ السلبيَّ في المسلِمِين ويَنْشُرَ فيهم قولَ الله تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}، ويقولَ لهم بأن الإيمانَ مقرونٌ بالعمل الصالح، ولا إيمانَ بلا عملٍ، ومِنَ العملِ ما يَنقُضُ الإيمانَ، كالشِّرْكِ بالله، ومِن أعظمِ الشِّركِ شِركُ الحاكمِيَّةِ الذي هو دليلٌ واضحٌ على عَدَم رضَا المخلوق بما حَكَمَ الخالِقُ، فهذه الدساتيرُ وهذه القوانينُ والمحاكمُ وهؤلاء القضاةُ وهذه المؤسساتُ وتلك الأموالُ التي تُنْفَقُ على التَّحَاكُمِ لغير شرعِ اللهِ هي في حقيقتِها تَحَدٍّ صارخٌ لأُلُوهِيَّةِ اللهِ؛ ودَعْوةُ (الحَرَكةِ) التي دَعَا إليها سَيِّدٌ رحمَه اللهُ هي دعوةٌ إلى إحياءِ الدِّين في قُلوبِ الناس وعقولِهم وفي حياتِهم، عَمَلًا بقولِ اللهِ تعالى {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، فلا يَكتفِي الإنسانُ بالصلاة والزكاة والصوم والحج، بل يجبُ أنْ تكونَ حياتُه كلُّها لله رب العالمين، بل حتى مَمَاته لله، فيَحْيَا حياةً شرعيةً كاملةً، ويموتُ في سبيل إعزاز دِين الله. انتهى باختصار]، لم يَكُنْ بُدٌّ أنْ يَنْشَأَ تجمُّعٌ عُضْويٌّ حَرَكِيٌّ آخَرُ غيرُ التجمُّع الجاهليِّ، مُنْفَصِلٌ ومُستَقِلٌّ عن التجمُّع العضويِّ الحركيِّ الجاهليِّ الذي يَستهدفُ الإسلامُ إلغاءَه؛ وأن يكون مِحْوَرُ التجمُّع الجديدِ هو القِيَادةُ الجديدة المتمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومِن بَعْدِه في كلِّ قِيَادةٍ إسلاميةٍ تَستهدفُ رَدَّ الناس إلى أُلُوهِيَّةِ اللهِ وحده ورُبُوبيَّتِه وقِوَامَتِه وحاكِمِيَّتِه وسُلطانِه وشَريعتِه؛ وأنْ يَخْلَعَ كُلُّ مَن يَشْهَدُ أنْ لَا إِلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمدا رسولُ اللهِ وَلَاءَه مِنَ التجمُّع الحركيِّ الجاهليِّ (أي التجمُّع الذي جاء منه)، ومِن قِيَادةِ ذلك التجمُّع (في أيَّةِ صُورةٍ كانت، سَوَاءٌ كانَتْ في صُورةِ قِيَادةٍ دينيَّةٍ مِنَ الكهنةِ والسَّدَنةِ

والسَّـحَرةِ والعَـرَّافِين ومَن إليهم، أو في صُـورةِ قِيَـادةٍ سياسيَّةٍ واجتماعيَّةٍ واقتصـاديَّةٍ كـالتي كـانت لقُـرَيش)، وأنْ يَحْصُرَ وَلَاءَه في التجمع العضوي الحركي الإسلامِي الجديـد، وفي قِيَادتِـه المسـلمةِ؛ ولم يَكُنْ بُـدٌّ أنْ يَتحقَّقَ هذا منـذ اللحظـة الأولى لِـدُخولِ المسـلم في الإسـلام، ولِنُطْقِـه بشـهادةِ أنْ لَا إلَـهَ إلَّا اللـهُ وأنَّ محمـدا رسـولُ اللهِ، لِأنَّ وُجُـودَ المجتمَـع المسـلم لا يَتَحَقَّقُ إلَّا بهـذا، لا يَتَحَقَّقُ بمجردِ قيام القاعدةِ النظريَّةِ في قُلـوبِ أفـرادٍ - مَهْمَـا تَبْلُـغُ كَثْـرَتُهم- لا يَتَمَثَّلـون في تجمُّعٍ عضـويٍّ مُتَناسِقٍ مُتَعَاونٍ له وُجُودٌ ذاتِيٌّ مُسْـتَقِلٌّ يَعْمَـلُ أعضـاؤه عَمَلًا عُضْويًّا (كأعضاءِ الكائنِ الحَيِّ) على تأصـيلِ وُجـودِه وتعميقِه وتوسيعِه، وفي الدِّفاع عن كِيَانِه ضـدَّ العوامـلِ التي تُهاجِمُ وُجـودَه وكِيَانَـه، ويعملـون هـذا تحت قيـادةٍ مسـتقلةٍ عن قيـادةِ المجتمَـع الجـاهليِّ تُنَظِّمُ حَـرَكَتَهم وتُنَسِّقُها وتُوَجِّهُهم لتأصيلِ وتعميـق وتوسـيع وُجُـودِهم الإسـلاميِّ **ولِمُكافَحـةِ ومُقاوَمـةِ وإزالـةِ الوُجـودِ الآخـر الجـاهليِّ**؛ وهكـذا وُجِـدَ الإسـلامُ، هكـذا وُجِـدَ مُتَمثِّلًا في قاعــدةٍ نظريَّةٍ يَقُــومُ عليهــا في نَفْس اللحظــةِ تجمُّعٌ عضويٌّ حركيٌّ، مُستقِلٌّ مُنفصِـلٌ عن المجتمَـع الجـاهليِّ **ومُوَاجِـهٌ لهـذا المجتمَـع**، ولم يُوجَـدْ قـط في صــورةٍ (نظريَّةٍ) مجردةٍ عن هذا الوُجُودِ (الفِعْلِيِّ)، وهكـذا يُمْكِنُ أن يُوجدَ الإسلامُ مَرَّةً أخـرَى، ولا سـبيلَ لإعـادة إنشـائه في المجتمَع الجاهليِّ في أيِّ زمان وفي أيِّ مَكانٍ بغـير الفِقْهِ الضروريِّ لِطَبِيعـةِ نَشْـأتِه العضـويَّةِ الحركيَّةِ... ثم قالَ -أي الشيخُ سيد قطب-: **الشأنُ الدائمُ أنْ لا يَتَعايَشَ الحقُّ والباطلُ في هذه الأرض**، وأنه مـتى قـام الإسـلامُ بإعلانِـه العـامِّ لإقامـةِ رُبُوبيَّةِ اللـهِ للعـالَمِين، وتَحريـر الإنسان مِنَ العبوديَّةِ للعِبَادِ، رَمَاه المغتصِـبون لِسُـلطان اللهِ في الأرض **ولم يُسـالِموه قَـطُّ**، وانْطَلَـقَ هـو كـذلك **يُـدَمِّرُ عليهم** لِيُخـرِجَ النـاسَ مِن سُـلطانِهم ويَـدْفَعُ عنِ

الإنسان في الأرض ذلك السلطانَ الغاصِبَ، حالةٌ دائمةٌ لا يَقِفُ معها الانطلاقُ الجهاديُّ التحريريُّ حتى يكونَ الدِّينُ كُلُّه للهِ... ثم قالَ -أي الشيخُ سيد قطب-: وحين تكونُ آصِرةُ [أيْ رابِطةُ] التجمُّع الأساسِيَّةُ في مجتمَع هي العقيدةَ والتَّصَوُّرَ والفكرةَ ومنهجَ الحياةِ، ويكون هذا كلُّه صادرًا مِن إلهٍ واحدٍ تَتَمَثَّلُ فيه السِّيَادةُ العُلْيَا للبشر، وليس صادرًا مِن أرْبَابٍ أرْضِيَّةٍ تَتَمَثَّلُ فيها عُبُودِيَّةُ البشر للبشر، يكونُ ذلك التجمعُ مُمَثِّلًا لِأعْلَى ما في الإنسانِ مِن خصائصَ، خصائص الرُّوح والفكر؛ فأمَّا حين تكونُ آصِرةُ التجمع في مجتمع هي الجنسَ واللونَ والقَومَ والأرضَ، وما إلى ذلك مِنَ الروابطِ، فظاهِرٌ أنَّ الجنسَ واللونَ والقَومَ والأرضَ لا تُمَثِّلُ الخصائصَ العُلْيَا للإنسان، فالإنسان يَبْقَى إنسانًا بعدَ الجنس واللون والقَوم والأرض، ولكنَّه لا يَبْقَى إنسانًا بعدَ الرُّوح والفكر، ثم هو يَمْلُكُ -بِمَحْض إرَادَتِهِ الحُرَّةِ- أنْ يُغَيِّرَ عقيدتَه وتَصَوُّرَه وفِكْرَه ومنهجَ حياتِه، ولكنه لا يَمْلُكُ أنْ يُغَيِّرَ لونَه ولا جنسَه، كما إنَّه لا يَمْلُكُ أنْ يُحَدِّدَ مَوْلِدَه في قَوْم ولا في أرض؛ فالمجتمَعُ الذي يَتَجَمَّعُ فيه الناسُ على أمر يَتعلَّقُ بإرادتهم الحُرَّةِ واختيارهم الذاتِيِّ هو المجتمَعُ المُتَحَضِّرُ، أمَّا المجتمَعُ الذي يَتَجَمَّعُ فيه الناسُ على أمر خارج عن إرادتِهم الإنسانيَّةِ فهو المجتمَعُ المُتَخَلِّفُ، أو بالمصطلح الإسلاميِّ هو المجتمعُ الجاهليُّ؛ والمجتمَعُ الإسلامِيُّ وحده هو المجتمَعُ الذي تُمَثِّلُ فيه العقيدةُ رابِطةَ التجمُّع الأساسيةِ، والذي تُعْتَبَرُ فيه العقيدةُ هي الجنسيَّةُ التي تَجْمَعُ بين الأسودِ والأبيض والأحمر والأصفر والعربيِّ والروميِّ والفارسيِّ والحبشيِّ وسائر أجناس الأرض، في أمَّةٍ واحدةٍ، رَبُّها اللهُ، وعُبُودِيَّتُها له وحده، والأكرمُ فيها هو الأتْقَى... ثم قالَ -أي الشيخُ سيد قطب-: ليستْ وظيفةُ الإسلام أنْ يَصْطَلِحَ [أيْ يَتَوَافَقَ ولا يَتَخاصَمَ] مع

التصـورات الجاهليـة السـائدة في الأرض، ولا الأوضـاع الجاهليةِ القائمةِ في كـلِّ مكـانٍ، لم تكن هـذه وظيفتَـه يــومَ جــاءَ، ولن تكــون هــذه وظيفتَــه اليــومَ ولا في المستقبَلِ؛ فالجاهليةُ هي الجاهليـةُ، هي الانحـرافُ عن العبوديــة للــه وحــده وعن المنهج الإلهيِّ في الحيــاةِ، واســـتنباطُ النُّظُمِ والشـــرائع والقـــوانين والعـــاداتِ والتقاليدِ والقِيَمِ والموازين مِن مَصْدَرٍ آخر غير المصـدر الإلهيِّ؛ [وَ]الإسـلامُ هـو الإسـلامُ، ووظيفتُـه هي نَقْـلُ الناس مِنَ الجاهليةِ إلى الإسـلام؛ الجاهليـةُ هي عبوديـةُ الناس للناس، بتشريع بعض الناس للناس ما لم يَأْذَنْ به اللهُ، كائنةً ما كانَتِ الصُّورةُ التي يَتِمُّ بها هـذا التشـريعُ؛ والإسـلامُ هـو عبوديـةُ النـاس للـهِ وحـده (بتَلَقِّيهم منـه وحــده تَصَــوُّراتِهم وعقائــدَهم وشــرائعَهم وقــوانينَهم وقِيَمَهم وموازينَهم)، والتَّحَرُّرُ مِن عبوديــةِ العبيــدِ؛ هـذه الحقيقةُ المنبثقةُ مِن طبيعةِ الإسلام وطبيعــةِ دَوْره في الأرض هي التي يجبُ أنْ نُقَدِّمَ بها الإسلامَ للناس الذِين يؤمنــون بــه والــذِين لا يؤمنــون بــه على السَّــوَاءِ، إنَّ الإسـلامَ لا يَقْبَـلُ أنصـافَ الحُلـولِ مـع الجاهليـةِ، لا مِن ناحِيَةِ التصور، ولا مِن ناحِيَةِ الأوضـاع المنبثقـةِ مِن هـذا التصـور، فإمَّا إسـلامٌ وإمَّا جاهليـةٌ، وليس هنالـك وَضْـعٌ آخَرُ نِصْفُه إسلامٌ ونِصْفُه جاهليةٌ يَقْبَلُه الإسلامُ ويَرْضَاه، فنَظْرةُ الإسلام واضحةٌ في أنَّ الحقَّ واحدٌ لا يَتَعَدَّدُ، وأنَّ ما عَدَا هذا الحَقَّ فهو الضلالُ، وَهُمَا غيرُ قـابِلَين للتَّلَبُّس والاِمْتِـزاج، وأنَّه إمَّا حُكْمُ اللـهِ وإمَّا حُكْمُ الجاهليـةِ، وإمَّا شــريعةُ اللــه وإمَّا الهَـوَى، والآيــاتُ القرآنيــةُ في هـذا المعنَى كثـيرةٌ... ثم قــالَ -أي الشــيخُ ســيد قطب-: لم يَجِئِ الإسـلامُ لِيُـرَبِّتَ على شَـهَوَاتِ النـاس المُمَثَّلـةِ في تَصَوُّراتِهم وأَنْظِمَتِهم وأوضاعِهم وعاداتِهم وتقاليــدِهم، سَــوَاءٌ مِنْهَـا مَـا عاصَــرَ مَجِيءَ الإســلام، أو مــا تَخُـوضُ البشــريةُ فيــه الآنَ، في الشــرقِ أو في الغــربِ سَــوَاء

[المراد بالشرق هو ما يُعْرَفُ بـ (الكتلة الشرقية أو الكتلة الشيوعية أو الكتلة الاشتراكية أو الكتلة السوفييتية أو العالم الشيوعي أو العالم الثاني أو المعسكر الشيوعي أو المعسكر الشرقي أو الجبهة الشرقية)، وهي مجموعة الدول الشيوعية (الاتحاد السوفياتي والصين وأورُوبَّا الشرقية)، أو هي مجموعة الدول التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفياتي؛ وأما المراد بالغرب فهو ما يُعْرَفُ بـ (الكتلة الغربية أو العالم الغربي أو العالم الأول أو العالم الحر أو المعسكر الرأسمالي أو المعسكر الغربي أو الجبهة الغربية أو الدول المتقدمة)، وهي مجموعة الدول الرأسمالية (أمْريكا الشَّمالية وأورُوبَّا الغربية وأسْتُرالْيَا واليابان)، أو هي مجموعة الدول التي كانت تدور في فلك الولايات المتحدة الأمْريكِيَّةِ]؛ إنَّما جاءَ لِيُلْغِيَ هذا كلَّه إلغاءً، ويَنْسَخَه نَسْخًا، ويُقِيمَ الحياةَ البشريةَ على أسُسِه الخاصةِ، جاءَ لِيُنْشِئَ الحَيَاةَ إنشاءً، لِيُنْشِئَ حَيَاةً تَنْبَثِقُ منه انبثاقًا، وتَرْتَبِطُ بِمِحْوَره ارتباطًا؛ وقد تُشابِهُ جزئياتٌ منه جزئياتٍ في الحياة التي يَعِيشُها الناسُ في الجاهليةِ، ولكنَّها ليستْ هي وليستْ منها، إنَّما هي مُجَرَّدُ مُصادَفةِ التَّشابُهِ الظاهِريِّ الجانبيِّ في الفُروع، أمَّا أصْلُ الشجرةِ فهو مُخْتَلِفٌ تمامًا، تلك شجرةٌ تُطْلِعُها حِكْمةُ اللهِ، وهذه شجرةٌ تُطْلِعُها أهواءُ البَشَر... ثم قالَ -أي الشيخُ سيد قطب-: وليس في إسلامِنا ما نَخْجَلُ منه وما نَضْطَرُّ للدفاع عنه، وليس فيه ما نَتَدَسَّسُ [التَدَسُّسُ هنا بمعنَى إخْفاءِ شيءٍ داخِلَ شيءٍ آخَر] به للناس تَدَسُّسًا أو ما نَتَلَعْثَمُ في الجَهْر به على حقيقتِه؛ إنَّ الهزيمةَ الرُّوحِيَّةَ أمامَ الغربِ وأمامَ الشرق وأمامَ أوضاع الجاهلية هنا وهناك هي التي تَجعَلُ بعضَ الناسِ (المسلمِين) يَتَلَمَّسُ للإسلام مُوافَقاتٍ جُزئِيَّةً مِنَ النُّظُم البشريَّةِ، أو يَتَلَمَّسُ مِن أعمالِ (الحَضَارةِ الجاهليةِ) ما

يَسْنُدُ به أعمالَ (الإسلام) وقَضَاءَه في بعض الأُمُور... ثم قالَ -أي الشيخُ سيد قطب-: إنَّه إذا كان هناك مَن يحتاجُ للدفاع والتبرير والاعتذار، فليس هو الذي يُقَدِّمُ الإسلامَ للناس، وإنَّما هو ذاك الذي يَحْيَا في هذه الجاهليةِ المُهَلْهَلةِ المَلِيئَةِ بالمُتَناقِضاتِ وبالنَّقائص والعُيوبِ، ويُريدُ أنْ يَتَلَمَّسَ المُبَرِّراتَ للجاهليةِ، وهؤلاء هُمُ الذِين يُهاجِمون الإسلامَ ويُلْجِئُون بعضَ مُحِبِّيه الذِين يَجْهَلون حَقِيقَتَه إلى الدفاع عنه، كأنَّه مُتَّهَمٌ مُضْطَرٌّ للدفاع عن نَفْسِه في قَفَص الاتِّهام!؛ بعضُ هؤلاء كانوا يُواجِهوننا -نحن القَلائِلَ المُنْتَسِبين إلى الإسلام- في أمْريكا في السنواتِ التي قَضَيْتُها هناك، وكان بعضُنا يَتَّخِذُ مَوقِفَ الدفاع والتبرير، وكنتُ على العكس أتَّخِذُ مَوقِفَ المُهاجِم للجاهليةِ الغربيةِ، سَوَاءً في معتقداتِها الدينيَّةِ المُهَلْهَلةِ، أو في أوضاعِها الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والأخلاقيةِ المُؤْذِيَةِ... ثم قالَ -أي الشيخُ سيد قطب-: إننا نحن (الذِين نُقَدِّمُ الإسلامَ للناس) ليس لنا أنْ نُجارِيَ الجاهليةَ في شيء مِن تَصَوُّراتِها، ولا في شيء مِن أوضاعِها، ولا في شيء مِن تقاليدِها، مَهْمَا يَشْتَدُّ ضَغْطُها علينا؛ إنَّ وظيفتَنا الأولى هي إحلالُ التَّصوُّراتِ الإسلاميةِ والتقاليدِ الإسلاميةِ في مكانِ هذه الجاهليةِ، ولن يتحققَ هذا بِمُجاراةِ الجاهليةِ والسَّيْر معها خطواتٍ في أوَّلِ الطريق، كما قد يُخَيَّلُ إلى البعض منا، إنَّ هذا معناه إعلانُ الهزيمةِ منذ أوَّل الطريق؛ إنَّ ضَغْطَ التَّصوُّراتِ الاجتماعيةِ السائدةِ والتقاليدِ الاجتماعيةِ الشائعةِ ضَغْطٌ ساحِقٌ عَنِيفٌ، ولكنْ لا بُدَّ مما ليس منه بُدٌّ، لا بُدَّ أنْ نَثْبُتَ أوَّلًا، ولا بُدَّ أنْ نَسْتَعْلِيَ ثانيًا، ولا بُدَّ أنْ نُريَ الجاهليةَ حقيقةَ الدَّرَكِ الذي هي فيه بالقِيَاس إلى الآفاق العُلْيَا المُشْرقةِ للحياةِ الإسلاميةِ التي نُريدُها... ثم قالَ -أي الشيخُ سيد قطب-: [قالَ تَعالَى] {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ

الأَعْلَـوْنَ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، أَوَّلُ مـا يَتَبـادَرُ إلى الـذِّهْن مِن هذا التَّوجِيهِ [الذي في الآيَـةِ] أنـه يَنْصَـبُّ على حالـة الجهاد المُمَثَّلةِ في القتـالِ، ولكنَّ حقيقـةَ هـذا التَّوجيـهِ ومَـدَاه أكـبرُ وأبعَـدُ مِن هـذه الحالـة المُفْـرَدةِ بكُـلِّ مُلَابَساتِها الكثيرةِ؛ إنَّه يُمَثِّلُ الحالةَ الدائمـةَ الـتي يَنْبَغِي أنْ يكونَ عليها شُعُورُ المُؤْمِن وتَصَوُّرُه وتقديرُه للأشـياءِ والأحـداثِ والقِيَم والأشـخاص سَـوَاءً، إنـه يُمَثِّلُ حالـةَ الاستعلاءِ التي يَجِبُ أن تَستَقِرَّ عليها نَفْسُ المُؤْمِن إزاءَ كُلِّ شيءٍ وكُلِّ وَضْـع وكُـلِّ قِيمـةٍ وكُـلِّ أَحَـدٍ، الاسـتعلاء بالإيمان وقِيَمِه على جميع القِيَم المنبثقة مِن أصلِ غير أصلِ الإيمـان، الاسـتعلاء على قُـوَى الأرض الحائـدة عن منهج الإيمـان، وعلى قِيَم الأرض الـتي لم تَنبَثِـقْ مِن أصـلِ الإيمـانِ، وعلى تقاليـد الأرض الـتي لم يَصُـغْها الإيمانُ، وعلى قوانين الأرض التي لم يُشَرِّعْها الإيمـانُ، وعلى أوضاع الأرض التي لم يُنْشِئْها الإيمانُ، الاستعلاء، مع ضَعْفِ القُوَّةِ وقِلَّةِ العَدَدِ وفَقْر المالِ، كالاستعلاء مـع القُوَّةِ والكَثْـرةِ والغِنَى على السَّـوَاءِ، الاسـتعلاء الـذي لا يَتَهاوَى أَمَامَ قُوَّةٍ باغِيَةٍ، ولا عُرْفٍ اجتماعيٍّ، ولا تشـريع باطـلِ، ولا وَضْـع مقبـولِ عنـد النـاس لا سَـنَدَ لـه مِنَ الإيمانِ؛ وليست حالةُ التَّماسُـكِ والثَّبـاتِ في الجهـادِ إلَّا حالـةً واحـدةً مِن حـالاتِ الاسـتعلاءِ الـتي يَشـمَلُها هـذا التَّوْجِيـهُ الإلهيُّ العظيمُ... ثم قـالَ -أي الشـيخُ سـيد قطب-: إنَّ للمجتمـع مَنْطِقَـه السـائدَ وعُرْفَـه العـامَّ وضَغْطَه السـاحقَ ووَزْنَـه الثَّقِيـلَ، على مَن ليس يَحْتَمِي منـه بـرُكْن رَكِين، وعلى مَن يُواجِهُـه بلا سَـنَدٍ مَتِين؛ وللتَّصَوُّراتِ السائدةِ والأفكـار الشـائعةِ إيحاؤهمـا الـذي يَصْعُبُ التَّخَلُّصُ منه بغير الاسـتقرار على حقيقـةٍ تَصْغُرُ في ظِلِّها تِلك التَّصَـوُّراتُ والأفكـارُ، و[بغـير] الاسـتمدادِ مِن مَصدَر أَعْلَى وأكبَـرَ وأَقْـوَى؛ والـذي يَقِـفُ في وَجْـهِ المجتمَـعِ، ومَنْطِقِـه السـائدِ، وعُرْفِـه العـامِّ، وقِيَمِـه

واعتباراتِـه، وأفكـاره وتصـوراتِه، وانحرافاتِـه ونَزَواتِـه، يَشْعُرُ بِالغُرْبةِ، كما يَشْعُرُ بالوَهَن، ما لم يَكُنْ يَسِـتَنِدُ إلى سَـنَدٍ أَقْـوَى مِنَ النـاس، وأَثْبَتَ مِنَ الأرض، وأَكْـرَمَ مِنَ الحياةِ؛ واللهُ لا يَتْرُكُ المؤمنَ وحيدا يُواجِهُ الضَّغْطَ ويَنُوءُ بـه الثِّقَـلُ ويَهُـدُّه الـوَهَنُ والحُـزْنُ، ومِن ثَمَّ يَجِيءُ هـذا التَّوجِيـهُ {وَلَا تَهِنُـوا وَلَا تَحْزَنُـوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَـوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، يَجِيءُ هذا التَّوجِيهُ لِيُواجِهَ الوَهَنَ، كمـا يُواجِـهُ الحُـزْنَ، وهمـا الشُّـعوران المُباشِـران اللـذان يُسـاوران النَّفْسَ في هذا المَقَام، يُواجِهُهما بالاسـتعلاءِ لا بِمُجَـرَّدِ الصبر والثَّباتِ، الاستعلاء الذي يَنْظُرُ مِن عَلٍ إلى القُـوَّةِ الطاغِيَـــةِ، والقِيَم الســـائدةِ، والتَّصَـــوُّراتِ الشـــائعةِ، والاعتباراتِ والأوضـاع والتقاليـدِ والعـاداتِ، والجمـاهير المُتَجَمِّعةِ على الضلالِ؛ إنَّ المُـؤْمِنَ هـو الأعلَى، الأَعْلَى سَـنَدًا ومَصْـدَرًا، فمـا تكـونُ الأرضُ كُلُّهـا؟ ومـا يكـونُ النـــاسُ؟ ومـــا تكـــونُ القِيَمُ الســـائدةُ في الأرضِ؟ والاعتباراتُ الشائعةُ عنـد النـاس؟ وهـو مِن اللـهِ يَتَلَقَّى وإلى اللـــهِ يَرْجِـعُ وعلى مَنْهَجِـه يَسِـيرُ؟، وهـــو الأعلى تَصَوُّرًا للقِيَمِ والمَوازين التي تُوزَنُ بها الحياةُ والأحداثُ والأشياءُ والأشخاصُ، وهو الأعلى ضميرا وشعورا وخُلُقًا وسُـلوكا، وهـو الأعلى شـريعةً ونِظَامًـا؛ وحين يُراجِـعُ المؤمنُ كُلَّ ما عَرَفَتْـه البشـريةُ قـدِيمًا وحـديثًا ويَقِيسُـه إلى شريعتِه ونِظَامِه، فسيراه كُلَّه أَشْبَهَ شيءٍ بمحاولاتِ الأطفـالِ وخَبْـطِ العُمْيَـانِ إلى جـانبِ [أَيْ بالنِّسْـبةِ إلَى] الشـــريعةِ الناضـــجةِ والنِّظَـــام الكامِـــلِ، وســـينظرُ إلى البشرية الضالَّةِ مِن عَلٍ في عَطْفٍ وإشفاق على بُؤْسِها وشِقْوَتِها، ولا يَجِدُ في نَفْسِه إلَّا الاستعلاءَ على الشِّقْوَةِ والضلال... ثم قـالَ -أي الشـيخُ سـيد قطب-: و[عنـدما] يَقِـفُ المسـلمُ مَوقِـفَ المغلـوبِ المُجَـرَّدِ مِنَ القُـوَّةِ الماديَّةِ، فلا يُفارِقُــه شُــعورُه بأنَّه الأَعْلَى، ويَنْظُــرُ إلى غالِبِـــه [أَيِ المُتَغَلِّبِ عليـــه] مِن عَـــلٍ مـــا دامَ مُؤْمِنًـــا،

ويَستَيقِنُ أنَّها فَتْرةٌ وتَمْضِي وأنَّ للإيمان كَرَّةً لا مَفَرَّ منها، وَهَبْها [أيْ وَاحْسُبْها] كانَتِ القاضِيَةَ فإنَّه لا يُحْنِي لها رَأْسًا، إنَّ الناسَ كُلَّهم يَمُوتون أَمَّا هو فيَسْتَشْهِدُ، وهو يُغادِرُ هذه الأرضَ إلى الجَنَّةِ، وغالِبُه [أيْ وَالمُتَغَلِّبُ عليه] يغادِرُها إلى النارِ، وَشَتَّانَ شَتَّانَ، وهو يسمعُ نِداءَ رَبِّه الكريم {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَبِئْسَ الْمِهَادُ، لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ، وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ}، وتَسُودُ المجتمعَ عقائدُ وتصوراتٌ وقِيَمٌ وأوضاعٌ كُلُّها مُغايِرٌ لعقيدتِه وتَصَوُّره وقِيَمِه ومَوازينِه، فلا يُفارِقُه شُعورُه بأنَّه الأعلَى، وبأنَّ هؤلاء كُلَّهم في المَوْقِفِ الدُّونِ، ويَنْظُرُ إليهم مِن عَلٍ في كَرَامةٍ واعتزاز، وفي رَحْمةٍ كذلك وعَطْفٍ، ورَغْبةٍ في هِدَايَتِهم إلى الخَيْرِ الذي معه، ورَفْعِهم إلى الأُفُقِ الذي يعيشُ فيه؛ ويَضِجُّ الباطلُ ويَصْخَبُ، ويَرْفَعُ صَوْتَه ويَنْفُشُ رِيشَه، وتُحِيطُ به الهالاتُ المُصْطَنَعةُ التي تَغْشَي على الأبصار والبَصائر فلا تَرَى ما وراءَ الهالاتِ مِن قُبْحٍ شائهٍ [أيْ قَبِيحٍ] دَمِيم، وفَجْرٍ كالِحٍ [أيْ باهِتٍ] لَئِيم، ويَنْظُرُ المؤمنُ مِن عَلٍ إلى الباطلِ المُنْتَفِش، وإلى الجُموع المَخدوعةِ، فلا يَهِنُ ولا يَحْزَنُ، ولا يَنْقُصُ إصرارُه على الحَقِّ الذي معه، وثَبَاتُه على المنهج الذي يَتَّبِعُه، ولا تَضْعُفُ رَغْبَتُه كذلك في هِدايَةِ الضالِّين والمخدوعِين؛ ويَغْرَقُ المجتمَعُ في شهواته الهابطة، ويَمْضِي مع نَزَواتِه الخَلِيعةِ، ويَلْصَقُ بالوَحْلِ والطِّين، حاسِبًا أنَّه يَستَمتِعُ ويَنطَلِقُ مِنَ الأغلالِ والقُيودِ، وتَعِزُّ في مِثْلِ هذا المجتمَع كُلُّ مُتْعةٍ بَرِيئةٍ وكُلُّ طَيِّبةٍ حَلَال، ولا يَبْقَى إلَّا المشروعُ الآسِنُ [أي النَّتِنُ]، وإلَّا الوَحْلُ والطِّينُ، ويَنْظُرُ المُؤْمِنُ مِن عَلٍ إلى الغارِقِين في الوَحْلِ اللاصِقِين بالطِّين، وهو مُفْرَدٌ وَحِيدٌ، فلا يَهِنُ ولا يَحْزَنُ، ولا تُراوِدُه نَفْسُه أنْ يَخْلَعَ

رداءَه النَّظِيفَ الطَّاهرَ ويَنْغَمِسَ في الحَمْأةِ [الحَمْأةُ هي الطِّينُ الأسْوَدُ الْمُنْتِنُ]، وهو الأعلَى بِمُتْعةِ الإيمانِ وَلَـذَّةِ اليَقِينِ... ثم قــالَ -أي الشــيخُ ســيد قطب-: ويَقِــفُ المُـؤْمِنُ قابِضًـا على دِينِـه كالقـابض على الجَمْـر في المجتمع الشاردِ عن الـدِّينِ، وعن الفَضِـيلةِ، وعن القِيَم العُلْيَّا، وعن الاهتماماتِ النَّبِيلةِ، وعن كُلِّ مـا هـو طـاهرٌ نظيفٌ جميلٌ، ويَقِفُ الآخَرون هازِئِين بوَقْفَتِه، ساخِرين مِن تَصَوُّراتِه، ضاحِكِين مِن قِيَمِه، فما يَهنُ المُؤْمِنُ وهـو يَنْظُـرُ مِن عَـلِ إلى السـاخِرين والهـازِئِين والضـاحِكِين، وهو يقـولُ -كمـا قـالَ واحـدٌ مِنَ الرَّهْـطِ الكِـرَام الـذِين سَــبَقُوه في مَــوْكِبِ الإيمــانِ العَريــق الوَضِــيءِ [أي المُشْرق]، في الطَّريق اللَّاحِبِ [أي الواضح المستقيم] الطَّويلِ، [وهو] نُوحٌ عليه السلامُ- {إن تَسْـخَرُوا مِنَّا فَإنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْـخَرُونَ}، وهـو يَـرَى نِهَايَـةَ المَـوْكِبِ الوَضِيءِ، ونِهَايَةَ القافِلةِ البائسةِ، في قولِـه تعـالى {إنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ، وَإذَا مَـرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ، وَإذَا انقَلَبُـوا إلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُـوا فَكِهِينَ، وَإذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ، وَمَـا أُرْسِـلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ، فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّار يَضْحَكُونَ، عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ، هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَـا كَـانُوا يَفْعَلُـونَ}... ثم قالَ -أي الشـيخُ سـيد قطب-: إنَّ المُـؤْمِنَ لا يَسـتَمِدُّ قِيَمَه وتَصَوُّراتِه وموازينَـه مِنَ النـاس حـتى يَأسَـى على تَقْدِير الناس، إنما يَستَمِدُّها مِن رَبِّ النـاس وهـو حَسْـبُه وكافِيه؛ إنه لا يَستَمِدُّها مِن شَهَواتِ الخَلْق حتى يَتَـأرْجَحَ مـع شَـهَواتِ الخَلْـق، وإنَّمـا يَسـتَمِدُّها مِن مِـيزانِ الحـقِّ الثابتِ الذي لا يَتَأرْجَحُ ولا يَمِيـلُ، فـأنَّى يَجِـدُ في نَفْسِـه وَهَنًا أو يَجِدُ في قَلْبِـه حُزْنًـا وهـو موصـولٌ بـرَبِّ النـاس ومِـيزانِ الحـقِّ؟، إنَّه على الحـقِّ، فمـاذا بعـدَ الحـقِّ إلَّا الضــلالُ؟، وَلْيَكُنْ للضــلالِ سُــلْطانُه، وَلْيَكُنْ لــه هَيْلُــه وهَيْلَمَانُـه [المُـرادُ بالهَيْـلِ والهَيْلَمـانِ المـالُ الكثـيرُ]،

وَلْتَكُنْ معه جُمُوعُه وجَماهِيرُه، إنَّ هـذا لا يُغَيِّرُ مِنَ الحـقِّ شيئًا، إنَّه [أَي المُـؤمِنَ] على الحـقِّ وليس بعـدَ الحـقِّ إلَّا الضـلالُ، ولن يَخْتـارَ مُـؤمِنٌ الضـلالَ على الحـقِّ -وهـو مُـؤمِنٌ- ولن يَعْـدِلَ بـالحقِّ الضـلالَ كائنـةً مـا كـانَتِ المُلابَساتُ والأحوالُ... ثم قالَ -أَي الشيخُ سـيد قطب-: إنَّ قِصَّةَ أصحابِ الأُخْدُودِ -كما وَرَدَتْ في سُورَةِ البُـرُوجِ- حَقِيقَةٌ بأنْ يَتَأَمَّلَها المؤمنون الداعُّون إلى اللهِ في كُـلِّ أرض وفي كُـلِّ جِيـلِ، إنَّهـا قِصَّـةُ فِئَةٍ آمَنَتْ برَبِّهـا، وَاسْتَعْلَتْ حَقِيقةَ إيمانِها، ثم تَعَرَّضَـتْ للفِتنـةِ مِن أعـداءٍ جَبَّارين بَطَّاشِين، وقد اِرتَفَعَ الإيمانُ بهذه القُلـوبِ على الفِتنةِ، وانْتَصَرَتْ فيها العقيدةُ على الحَيَـاةِ، فَلَمْ تَرْضَـخْ لِتَهدِيـدِ الجَبَّارين الطَّغـاةِ، ولم تُفْتَنْ عن دِينِهـا وهي تُحْرَقُ بالنَّار حتى تَمُوتَ؛ لقـد تَحَـرَّرَتْ هـذه القُلـوبُ مِن عُبُودِيَّتِها للحيـاةِ، فَلَمْ يَسْـتَذِلَّهَا حُبُّ البَقَـاءِ وهي تُعـايِنُ المَـوتَ بهـذه الطَّريقـةِ البَشِـعةِ، وانطلقتْ مِن قُيـودِ الأرض وجَوَاذِبِهـا جميعًـا وارتَفَعَتْ على ذَوَاتِهـا بانتصـار العقيدةِ على الحياةِ فيها [أَيْ في الأرض]؛ وفي مُقابِـلِ هـذه القُلـوبِ المُؤمِنـةِ الخَيِّرةِ الرَّفِيعـةِ الكريمـةِ هنـاك جِبِلَّاتٌ جاحِدةٌ شِرِّيرةٌ مُجرمةٌ لَئِيمةٌ، وجَلَسَ أَصْحابُ هـذه الجِبِلَّاتِ على النَّار يَشْـهَدون كيـفَ يَتَعَـذَّبُ المؤمنـون ويَتَأَلَّمون، جلسـوا يَتَلَهَّوْنَ بمَنْظَـر الحيـاةِ تَأْكُلُهـا النـارُ، والأَنَاسِيُّ الكِـرامُ يَتَحَوَّلـون وَقُـودًا وتُرَابًـا، وكُلَّمـا أُلْقِيَ فَتًى أو فَتَـاةٌ، صَـبِيَّةٌ أو عَجُـوزٌ، طِفْـلٌ أو شَـيْخٌ، مِنَ المـؤمِنِين الخَيِّرين الكِـرَام في النَّار، اِرْتَفَعَتِ النَّشْـوةُ الخَسِيسةُ في نُفُوسِ الطُّغاة؛ هذا حادِثٌ بَشِـعٌ انْتَكَسَـتْ فيه جِبِلَّاتُ الطُّغاةِ، فَرَاحَتْ تَلْتَذُّ مَشْهَدَ التَّعْـذِيبِ المُـرَوِّعَ العَنِيفَ بهذه الخَسَاسةِ التي لم يَرْتَكِسْ فيها وَحْشٌ قَطُّ، فالوَحْشُ يَفْتَرسُ لِيَقْتَاتَ، لا لِيَلْتَذَّ آلَامَ الفَريسةِ في لُؤْم وخِسَّـةٍ، وهـو حـادِثٌ ارتفعتْ فيـه أَرْواحُ المـؤمِنِين وتَحَـرَّرَتْ وانطلقتْ إلى ذلـك الأَوْجِ [أَيْ أعلَى المَـراتِبِ]

السَّـامِي الرَّفِيـع، الـذي تَشْـرُفُ بِـه البشـريَّةُ في جميـع الأَجْيَالِ والعُصُور؛ في حِسَـابِ الأَرْض يَبْـدُو أنَّ الطُّغْيَـانَ قـد انتصـرَ على الإيمـانِ، وإنَّ هـذا الإيمـانَ الـذي بَلَـغَ الذُّرْوَةَ العالِيَةَ في نُفُـوس الفِئَةِ الخَيِّرةِ الكريمـةِ الثابتـةِ المُسْــتَعْلِيةِ، لم يَكُنْ لــه وَزْنٌ ولا حِسَــابٌ في المعركــةِ الـتي دارتْ بين الإيمـانِ والطُّغْيَـانِ؛ ولا تَـذْكُرُ الرِّوَايَـاتُ الـتي وَرَدَتْ في هـذا الحـادِثِ، كمـا لا تَـذْكُرُ النُّصُـوصُ القُرآنِيَّةُ، أنَّ اللــهَ قــد أَخَـذَ أولئــك الطُّغَــاةَ في الأرض بجَريمَتِهم البَشِعةِ، كما أَخَذَ قَوْمَ نُوحٍ وَقَـوْمَ هُـودٍ وَقَـوْمَ صـالح وَقَـوْمَ شُـعَيْبٍ وَقَـوْمَ لُـوطٍ، أو كمـا أَخَـذَ فِرْعَـونَ وجُنودَه أَخْذَ عَزيزٍ مُّقْتَدِر، ففي حِسَابِ الأَرْض تَبْدُو هـذه الخاتِمةُ أَسِيفةً [أَيْ حَزينةً] أَلِيمةً، أَفَهَكَذَا يَنْتَهي الأَمْـرُ؟، وتَذهَبُ الفِئَةُ المؤمِنةُ الـتي ارتفعتْ إلى ذُرْوَةِ الإيمـانِ، تَذهَبُ مـع آلَامِهـا الفاجِعـةِ في الأُخْـدُودِ؟، بينمـا تَـذهَبُ الفئةُ الباغِيَـةُ ناجِيَـةً؟؛ حِسَـابُ الأَرْض يَحِيـكُ في الصَّـدْر شَـيْئًا أمـامَ هـذه الخاتِمـةِ الأَسِـيفةِ، ولكِنَّ القـرآنَ يُعَلِّمُ المؤمِنِين شـيئًا آخَـرَ، ويَكْشِـفُ لهم عن حقيقـةٍ أُخْـرَى، ويُبَصِّــرُهم بطبيعــةِ القِيَم الــتي يَزنُــون بهــا، وبِمَجَــالِ المَعرَكةِ التي يَخُوضُونها، إنَّ الحياةَ وسـائرَ مـا يُلَابِسُـها مِن لَذائـذَ وآلَام، ومِن مَتَـاع [أَيْ تَمَتُّع] وحِرْمـانِ، ليسـت هي القيمةَ الكُـبرَى في المِـيزانِ، وليسـت هي السِّـلْعةَ الــتي تُقَـرِّرَ حِسَــابَ الــرِّبْح والخَسَــارةِ، والنَّصْــرُ ليس مقصورًا على الغَلَبةِ الظاهرةِ، فهـذه صُـورةٌ واحـدةٌ مِن صُوَر النَّصر الكثيرةِ، إنَّ القِيمةَ الكُـبرَى في مِـيزانِ اللـهِ هي قِيمةُ العقيدةِ، وإنَّ السِّلْعةَ الرائجـةَ في سُـوق اللـهِ هي سِـلْعةُ الإيمــانِ، وإنَّ النَّصــرَ في أرفَـع صُـوَره هـو انتصارُ الرُّوح على المادَّةِ، وانتصـارُ العقيـدةِ على الأَلَم، وانتصارُ الإيمان على الفِتنةِ، وفي هذا الحادِثِ انتصــرتْ أرواحُ المــؤمِنِين على الخَــوفِ والأَلَم، وانتصــرتْ على جَوَاذِبِ الأرضِ والحياةِ، وانتصـرتْ على الفِتنـةِ، انتصـارًا

يُشَرِّفُ الجِنْسَ البشريَّ كلَّه في جَمِيع الأعصار، وهذا هو الانتصارُ، إنَّ الناسَ جميعًا يَمُوتون، وتَخْتَلِفُ الأسبابُ، ولكنَّ الناسَ جميعًا لا يَنتصِرون هذا الانتصارَ، ولا يَرتَفِعون هذا الارتفاعَ، ولا يَتَحَرَّرون هذا التَّحَرُّرَ، ولا يَنطلِقون هذا الانطلاقَ إلى هذه الآفاق، إنما هو اختيارُ اللهِ وتكريمُه لِفِئَةٍ كريمةٍ مِن عبادِه لِتُشارِكَ الناسَ في المَوتِ، وتَنْفَرِدُ دُونَ الناس في المَجْدِ، المَجْدِ في المَلأِ الأعلَى، وفي دُنْيَا الناس أيضًا، إذا نحن وَضَعْنا في الحِسَابِ نَظْرةَ الأجيالِ بعدَ الأجيالِ، لقد كان في استطاعةِ المؤمِنِين أن يَنْجُوا بحَياتِهم في مُقابِلِ الهزيمةِ [يعني الهَزيمةَ (الظاهرةَ) إذا تَرَخَّصُوا لإيمانِهم، ولكنْ كَمْ كانوا يَخْسَرِون هُمْ أنفسُهم؟، وكَمْ كانتِ البشريَّةُ كُلُّها تَخْسَرُ؟، كَمْ كانوا يَخْسَرون وَهُمْ يَقْتُلون هذا المعنَى الكبيرَ، مَعْنَى زَهَادَةِ الحياةِ [أَيِ الزُّهْدِ في الحياةِ] بِلَا عقيدةٍ، وبَشاعَتِها [أَيْ وَاسْتِبشاعِها] بِلَا حُرِّيَّةٍ، وانحطاطِها حِين يُسَيْطِر الطُّغاةُ على الأرواح بعد سيطرتِهم على الأجْسادِ؟، إنه مَعْنًى كريمٌ جِدًّا ومَعْنًى كبيرٌ جِدًّا هذا الذي رَبِحُوه وَهُمْ بَعْدُ في الأرض، رَبِحُوه وَهُمْ يَجِدُون مَسَّ النار، فتَحْتَرِقُ أجسادُهم الفانِيَةُ، ويَنتصِرُ هذا المعنَى الكريمُ الذي تُزَكِّيه النارُ، ثُمَّ إنَّ مجالَ المعركةِ ليس هو الأرضَ وحدها، وليس هو الحياةَ الدنيا وحدها، وشُهُودُ المعركةِ ليسوا هُمُ الناسَ في جِيلٍ مِنَ الأجيال، إنَّ المَلَأَ الأعلَى يُشارِكُ في أحداثِ الأرض ويَشْهَدُها ويَشْهَدُ عليها، ويَزِنُها بمِيزانٍ غيرِ مِيزانِ الأرض، والمَلَأُ الأعلَى يَضُمُّ مِنَ الأرواح الكريمةِ أضْعافَ أضْعافِ ما تَضُمُّ الأرضُ مِنَ الناس، وما مِنْ شَكٍّ أنَّ ثَنَاءَ المَلأِ الأعلَى وتكريمَه أكبرُ وأرجحُ في أيِّ مِيزان مِن رَأْيِ أهل الأرض وتقديرهم على الإطلاق، وبعد ذلك كلِّه هناك الآخِرَةُ، وهي المَجَالُ الأصيلُ الذي يَلْحَقُ به مَجَالُ الأرضِ، ولا يَنفَصِلُ عنه، لا

في الحقيقـــةِ الواقعـــةِ، ولا في حِسِّ المُـــؤمِن بهـــذه الحقيقةِ، فالمعركةُ إذَنْ لم تَنْتَهِ، وخاتمتُهـا الحقيقيَّةُ لم تَجِئْ بَعْدُ، والحُكْمُ عليها بـالجُزْءِ الـذي عُـرضَ منهـا على الأرض حُكْمٌ غـــيرُ صـــحيح، لأنَّه حُكْمٌ على الشَّـــطْر [أيِ الجُزْءِ] الصغيرِ منها والشَّطْرِ الزَّهِيدِ. انتهى باختصار.

(9)وقالَ الشيخُ أبو محمد المقدسي في (مِلَّة إبراهيمَ): يَقـولُ تَعـالَى عن مِلَّةِ إبــراهِيمَ {وَمَن يَــرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ}، ويَقولُ أيضًـا مُخاطِبًـا نَبِيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم {ثُمَّ أَوْحَيْنَـا إِلَيْـكَ أَنِ اتَّبِـعْ مِلَّةَ إِبْـرَاهِيمَ حَنِيفًـا، وَمَـا كَـانَ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ}، بهـذه النَّصـاعةِ وبهـذا الوُضـوحِ بَيَّنَ اللـهُ تَعـالَى لنـا المِنْهـاجَ والطَّرِيقَ، فالطَّرِيقُ الصَّـحِيحُ والمِنْهـاجُ القَـوِيمُ هـو مِلَّةُ إبراهِيمَ، لا غُموضَ في ذلك ولا الْتِباسَ، ومَن يَرْغَبْ عن هذه الطَّرِيقِ بحُجَّةِ مَصْـلَحةِ الـدَّعوةِ أو أنَّ سُـلُوكَها يَجُـرَّ فِتَنًا ووَيْلَاتٍ على المُسـلِمِين أو غـيرَ ذلـك مِنَ المَـزاعِم الجَوْفاءِ [التي يَدَّعِيها أَدْعِيَـاءُ السَّـلَفِيَّةِ (الـذِين يَحمِلُـون فِكْـرَ المُرْجِئَةِ) وجَمَاعــةُ الإخــوان المُســلِمِين (الـــذِين يَحمِلُون فِكْرَ المَدْرَسَةِ العَقْلِيَّةِ الاعْتِزالِيَّةِ)] التي يُلقِيهـــا الشَّيطانُ في نُفوسِ ضُعَفاءِ الإيمانِ، فهو سَفِيهٌ مَغْرُورٌ يَظُنُّ نَفْسَـــه أَعْلَمَ بأُسـلوبِ الـدَّعْوَةِ مِن إبــراهِيمَ عليــه الصَّـلاةُ والسَّـلامُ الـذي زكَّاه اللـهُ فقـالَ {وَلَقَـدْ آتَيْنَـا إِبْـرَاهِيمَ رُشْـدَهُ}، وقـال {وَلَقَـدِ اصْـطَفَيْنَاهُ فِي الـدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}، وزَكَّى دَعْوَتَه لنا وأَمَـرَ خـاتَمَ الأنبِيـاءِ والمُرسَـلِين بِاتِّباعِهـا، وَجَعَـلَ السَّـفَاهَةَ وَصْفًا لِكُلِّ مَن رَغِبَ عن طَرِيقِه ومَنهَجِه؛ ومِلَّةُ إبــراهِيمَ هي إخلاصُ العِبــادةِ لِلَّهِ وَحْـدَهُ (بِكُـلِّ مـا تَحْوِيــه كَلِمــةُ العِبادةِ مِن مَعانٍ)، والبَراءةُ مِنَ الشِّركِ وأَهْلِه، وهذا هـو التَّوحِيـدُ الـذي دَعـا إليـه الرُّسُـلُ صَـلَواتُ اللـهِ وسَـلامُه عليهم أَجْمَعِين، وهـــو مَعْنَى (لَا إِلَـــهَ إِلَّا اللَّهُ)، إخلاصٌ،

وتَوحِيدٌ وإفرادٌ للهِ عَزَّ وجَـلَّ في العِبـادةِ، والـوَلاءُ لِدِينِـه ولأولِيائه، وكُفرٌ وبَـرَاءَةٌ مِنْ كُـلِّ مَعْبُـودٍ سِـوَاهُ ومُعـاداةُ أعدائـه، فهـو تَوحِيـدٌ اعتِقـادِيٌّ وعَمَلِيٌّ في آنٍ واحِـدٍ، فسُورةُ (الإخلاصِ) دَلِيـلٌ على الاعتِقـادِيِّ منـه، وسُـورةُ (الكافرون) دَلِيلٌ على العَمَلِيِّ، وكانَ النبيُّ صَلَواتُ اللـهِ وسَلامُه عليه يُكثِرُ مِنَ القِراءةِ بِهاتَين السُّورَتَين ويُداومُ عليهما -في سُنَّةِ الفَجْر وغَيرها- لأهَمِّيَّتِهما البالغةِ... ثم قـالَ -أيِ الشـيخُ المقدسـي-: وقـد يَظُنُّ ظـانٌّ أنَّ مِلَّةَ إبـراهِيمَ هـذه تَتَحَقَّقُ في زَمانِنـا هـذا بدِراسـةِ التَّوحِيـدِ ومَعرِفةِ أقسامِه وأنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةِ مَعرِفةً نَظَرِيَّةً وَحَسْـبُ، مـع السُّـكوتِ عن أهـلِ الباطِـلِ وعَـدَمِ إعلانِ وإظهـارِ البَـراءةِ مِن بـاطِلِهم، فَلِمِثْـلِ هـؤلاء نَقـولُ، لَـو أنَّ مِلَّةَ إبراهِيمَ كانَتْ هَكَذَا لَمَا ألقاه قَومُه مِن أجلِها في النـارِ، بَـلْ رُبَّمـا لـو أنَّه داهَنَهم وسَـكَتَ عن بَعضِ بـاطِلِهم ولَم يُسَـفِّهْ آلِهَتَهم ولا أعلَنَ العَـداوةَ لهم واكْتَفَى بتَوحِيـدٍ نَظَرِيٍّ يَتَدارَسُه مع أتْباعُـه تَدارُسًـا لا يَخْـرُجُ إلى الواقـعِ العَمَلِيِّ مُتَمَثِّلًا بالوَلاءِ والبَراءِ والحُبِّ والبُغضِ والمُعـاداةِ والهِجْرانِ في اللـهِ، رُبَّمـا لـو أنَّه فَعَـلَ ذلـك لَفَتَحُـوا لـه جَمِيعَ الأبوابِ، بَلْ رُبَّما أسَّسوا له مَدارِسَ ومَعاهِـدَ -كمـا في زَمانِنا- يُدَرَّسُ فيهـا هـذا التَّوحِيـدُ النَّظَـرِيُّ، ولَرُبَّمـا وَضَعُوا عليها لافِتاتٍ ضَخْمةً وسَمَّوْهَا (مَدرَسةَ -أو مَعهَدَ- التَّوحِيـدِ، وكُلِّيَّةَ الـدَّعوةِ وأصـولِ الـدِّينِ) ومـا إلى ذلـك، فهذا كُلُّه لا يَضُرُّهم ولا يُـؤَثِّرُ فيهم مـا دامَ لا يَخْـرُجُ إلى الواقِـعِ والتَّطْبِيـقِ، ولـو خَـرَّجَتْ لهم هـذه الجامِعـاتُ والمَـدارِسُ والكُلِّيَّاتُ آلافَ الأطْرُوحـاتِ ورَسـائلِ الماجِستيرِ والدُّكْتُورَاةِ في الإخلاصِ والتَّوحِيـدِ والـدَّعوةِ، لَمَا أنكَـروا ذلـك عليهـا، بَـلْ لَبارَكُوهـا ومَنَحُـوا أصحابَها جَـوَائزَ وشَـهَاداتٍ وألْقابًـا ضَـخْمةً مـا دامَتْ لا تَتَعَـرَّضُ لباطِلِهم وحالِهم وواقِعِهم، ومـا دامَتْ على ذلـك الحـالِ المَمْسُوخِ، يقولُ الشيخُ عبدُاللطيف بنُ عبدالرحمن [بن

حسن بن محمد بن عبدالوهاب] في (الدرر السنية) {لا يُتَصَوَّرُ أنَّ -أحَدًا- يَعرِفُ التَّوحِيدَ ويَعمَلُ به ولا يُعادِي المُشرِكِين، ومَن لم يُعادِهم لا يُقالُ له (عَرَفَ التَّوحِيدَ وعَمِلَ به)}... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسي-: وَكَذَلِكَ رسولُ الله صلى اللهِ عليه وسلم، لو أنَّه سَكَتَ في بادِئِ الأمْرِ عن تَسفِيهِ أحْلامِ قُرَيْشٍ، والتَّعَرُّضِ لآلِهَتِهم وعَيْبِها، ولو أنَّه -حَاشَاهُ- كَتَمَ الآيَاتِ التي فيها تَسفِيهٌ لِمَعبوداتِهم كاللَّاتِ والعُزَّى ومَنَاةَ الثالِثَةِ الأُخرَى، والآيَاتِ التي تَتَعَرَّضُ لأبِي لَهَبِ والْوَلِيدِ [هو الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، أبو خَالِدِ بْن الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عنه، وَعَمُّ أبِي جَهْلٍ (عَمْرِو بْن هِشَام بْنِ الْمُغِيرَةِ)، وقد نَزَلَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}] وغيرِهما، وَكَذَا آيَاتِ البَراءةِ منهم ومِن دِينِهم ومَعبوداتِهم -وما أكثَرَها- كَسُورةِ (الكافِرون) وغيرِها، لو فَعَلَ ذلك، وحَاشَاهُ مِن ذلك، لَجالَسُوه ولأكْرَموه وقَرَّبُوه، ولَمَا وَضَعوا على رَأسِه سَلَى [قَالَ النَّوَوِيُّ في (شرح صحيح مسلم): (السَّلَى اللِّفَافَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْوَلَدُ فِي بَطْنِ النَّاقَةِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانِ، وَهِيَ مِنَ الآدَمِيَّةِ (الْمَشِيمَةُ). انتهى باختصار] الْجَزُورِ وهو ساجِدٌ، ولَمَا حَصَلَ له ما حَصَلَ مِن أذاهُمْ مِمَّا هو مَبسُوطٌ ومَذكورٌ في الثابِتِ مِنَ السِّيرَةِ، ولَمَا اِحتاجَ إلى هِجرةٍ وتَعَبٍ ونَصَبٍ وعَناءٍ، ولَجَلَسَ هو وأصحابُه في دِيارِهم وأوطانِهم آمِنِين [قالَ الشيخُ المهتدي بالله الإبراهيمي في (توفيق اللطيف المنان): شَقَّ عَلَى أبِي طَالِبِ الدُّخولُ في الإسلام، لِأنَّه كانَ يَعلَمُ أنَّ الدُّخولَ في الإسلام ليس تَوحِيدُ اللهِ والتَّصدِيقُ بِنَبِيِّه فَقَطْ، بَل كان يَعلَمُ أنَّ الدُّخولَ في الإسلام هو مُفارَقةُ دِين [أبيه] عَبْدِالْمُطَّلِبِ وكُلِّ دِين سِوَى الإسلام والحُكمُ عَلَى [أبِيه] عَبْدِالْمُطَّلِبِ بالكُفر والشِّركِ وكَذا على كُلِّ مَن لم يُحَقِّقْ هذا الدِّينَ؛ قالَ الإمامُ اِبنُ قَيِّم الجوزية [في كِتابِه (مفتاح دار السعادة)] {الذي مَنَعَ أبا

طالِبِ وأمثالَه عن الإسلام، اِستَعظَموا آباءَهم وأجدادَهم أنْ يَشهَدوا عليهم بِـالكُفر والضَّـلالِ وأنْ يَختـاروا خِلافَ ما اِختارَ أولئك لِأنفُسِهِم، ورَأَوا أنَّهم إنْ أسلَموا سَفَّهوا أحلامَ أولئك وضَـلَّلوا عُقـولَهم ورَمَـوْهُمْ بِـأقبَحِ القَبـائحِ وهو الكُفرُ والشِّركُ، ولِهذا قالَ أعـداءُ اللـهِ لِأبي طـالِبِ عند المَوتِ (أتَرغَبُ عن مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ؟)، فَكانَ آخِرُ ما كَلَّمَهم به (هو على ملَّة عَبْـدِالْمُطَّلِبِ)، فَلَمْ يَدْعُـه أعـداءُ اللهِ إلَّا مِن هذا البابِ لِعِلمِهم بِتَعظِيمِه أباه عَبْدِالْمُطَّلِبِ، وأنَّه إنما حازَ الفَخرَ والشَّرَفَ بـه، فَكَيـفَ يَـأتِي [أيْ أبـو طالِبِ] أمرًا يَلزَمُ منـه غايَـةُ تَنقِيصِـه وذَمِّه، ولِهـذا قـالَ [أيْ أبو طالِبِ لِابن أخِيه صلى الله عليه وسلم] (لَوْلَا أنْ تَكُونَ سُبَّةً على بَنِي عَبْدِالْمُطَّلِبِ لَأقْرَرْتُ بِهَـا عَيْنَـكَ) أو كَما قالَ}؛ ولِـذَلِكَ أيضًـا شَـقَّ على هِرَقْـلَ الـدُّخولُ في الإسلام وكـانَ يَعلَمُ صِـدقَ النَّبِيِّ صـلى اللـهُ عليـه وآلـه وسلم ولَكِنْ لم يُتابِعْه، لِأنَّه إنْ تابَعَه سَـيُحَتِّمُ ذلـك عليـه التَّبَرُّؤَ مِن دِين النَّصارَى وبالتَّالِي مِنَ النَّصارَى أنفُسِـهم وبِـذَلِكَ يَخسَـرُ مُلكَـه فَـآثَرَ مُلكَـه على دُخـولِ الإسـلامِ. انتهى باختصار]؛ فَقَضِيَّةُ مُوالاةِ دِينِ اللهِ وأهلِه ومُعاداةِ الباطِلِ وأهلِه فُرِضَتْ على المُسلِمِين في فَجرِ دَعـوَتِهم قَبْلَ فَرضِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ والصَّومِ والْحَجِّ، ومِن أجلِها لا لِغَيرهـا حَصَـلَ العَـذابُ والأذَى والابتِلاءُ... ثم قـالَ -أيِ الشيخُ المقدسي-: وَهَكَذَا فإنَّ الطَّواغِيتَ في كُلِّ زَمـانٍ ومَكـانٍ لا يُظهِـرون الرِّضَـا عنِ الإسـلامِ أو يُهادِنونـه ويُقِيمون له المُؤْتَمَراتِ ويَنشُـرونه في الكُتُبِ والمَجَلَّاتِ ويُؤَسِّسون له المَعاهِدَ والجامِعاتِ، إلَّا إذا كانَ دِينًا أَعْـوَرَ أعْرَجَ مَقْصوصَ الجَنَاحَينِ بَعِيدًا عن واقِعِهم وعن مُـوَالَاةِ المُؤْمِنِين والبَرَاءةِ مِن أعداءِ الدِّين وإظهار العَـداوةِ لهم ولِمَعبوداتِهم ومَناهِجِهم الباطِلةِ [قالَ الشيخُ إسحاقُ بنُ عبـدالرحمن بن حسـن بن محمـد بن عبـدالوهاب (ت 1319هـ): قَالَ أبو الوفاءِ ابْنُ عَقِيلٍ [في مـا نَقَـلَ عنـه

شـمسُ الـدين بنُ مفلحٍ في كتـاب (الآداب الشـرعية)] رَحِمَـه اللـهُ {إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَحَـلَّ الإِسْـلَامِ مِنْ أَهْـلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إلَى اِزْدِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، وَلَا إلى ضَجِيجِهِمْ بِـ (لَبَّيْكَ)، [فِي الْمَوْقِفِ] وَلَكِنِ اُنْظُـرْ إلَى مُوَاطَـأَتِهِمْ لأَعْـدَاءِ الشَّـرِيعَةِ}، فاللَّجَـا اللَّجَـا إلى حِصْـنِ الدِّين والاعتصام بِحَبْلِ اللهِ المَتِين والانحِياز إلى أَوْلِيائِه المُؤْمِنِين، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِن أعدائِه المُخالِفِين، فأفضَـلُ القُـرَبِ إلى اللـهِ تَعـالَى مَقْتُ مَن حَـادَّ اللـهَ ورَسـولَه، وجِهادُه باليَدِ وَاللِّسَانِ وَالْجَنَانِ بقَدْرِ الإمكانِ. انتهى من (الدُّرَر السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجْدِيَّة)]؛ وإنَّنا لَنُشـاهِدُ هـذا واضِـحًا في الدَّولـةِ المُسَـمَّاةِ (السُّـعُودِيَّة)، فإنَّهـا تَغُـرُّ الناسَ بتَشجِيعِها لِلتَّوحِيدِ وكُتُبِ التَّوحِيدِ، وبِسَـمَاحِها بَـلْ وحَثِّها لِلعُلَمـاءِ على مُحارَبـةِ القُبـور والصُّـوفِيَّةِ وشِـرْكِ التَّمائم والتِّوَلةِ [قـالَ الشـيخُ محمـد بنُ عبـدالوهاب في (كتاب التوحيد): والتِّوَلـةُ هي شَـيءٌ يَصـنَعونه، يَزعُمـون أنَّه يُحَبِّبُ المَـرأةَ إلى زَوجِهـا، والرَّجُـلَ إلى اِمْرَأتِـه. انتهى. وقـالَ الشـيخُ ابنُ بـاز في (مجمـوع فتـاوى ومقـالات ابن بـاز): والتِّوَلـةُ نَـوعٌ مِنَ السِّـحرِ. انتهى] والأشجارِ والأحجارِ، وغيرِ ذلك مِمَّا لا تَخشاه ولاَ يَضُـرُّها أو يُؤَثِّرُ في سِيَاساتِها الخارِجِيَّةِ والداخِلِيَّةِ، وما دامَ هـذا التَّوحِيدُ المُجَزَّأُ الناقِصُ بَعِيدًا عنِ السَّلاطِينِ وعُرُوشِـهم الكافِرةِ فإنَّه يَتَلَقَّى منهم الدَّعْمَ والمُسانَدةَ والتَّشـجِيعَ، وإلَّا فأَيْنَ كِتَاباتُ جُهَيْمـانَ -وأمثالِـه- رَحِمَـه اللـهُ تَعـالَى الـتي تَمْتَلِئُ وتَزْخَـرُ بِالتَّوحِيـدِ؟ [قـالَ الشـيخُ مُقْبِـلٌ الوادِعِيُّ في (المَخْـرَج مِن الفِتنـة) عن الشـيخ جُهَيْمـانَ وجَمَاعَتِه: الإذاعاتُ والصَّحافةُ بَلْ وعُلَماءُ السُّوءِ نَزَّلُوهم مَنْزِلةَ الشَّياطِين، إنَّ رَسائلَهم [التي صَدَرَتْ عنهم] تَدُلُّ على أنَّهم طَلَبَةُ عِلْمٍ أخيارٌ أفَاضِلُ، قَدِ اِنتَشَرَتْ بسَـبَبِهم سُـنَنٌ كـانَتْ قـد أُمِيتَتْ، ومـا خَسِـرَتْهم أَرْضُ الحَـرَمَين فَحَسْبُ بَلْ خَسِرَهُمُ المُجتَمَعُ المُسْلِمُ، جَـزاهُمُ اللـهُ عنِ

الإسلام خَيرًا... ثم قالَ -أَي الشيخُ الـوادِعِيُّ-: فَمُعامَلـةُ الحُكومةِ [السُّعُودِيَّةِ] لهم غَيرُ شَرعِيَّةٍ بَلْ دُوَلِيَّةٌ [أَيْ غيرُ دِينِيَّةٍ بَـلْ سِيَاسِـيَّةٌ]، وسَـيُحاكِمون الحُكومـةَ بين يَـدَي اللَّه... ثم قالَ -أَي الشيخُ الوادِعِيُّ-: فَهؤلاء لم يُحـاربوا اللـهَ ورَسـولَه ولم يَسـعَوْا في الأرض فَسـادًا. انتهى باختصـار. وفي رسـالةٍ للشـيخ أبي محمـد المقدسـي بعنوان (زَلَّ حِمَارُ العِلْمِ في الطِّين) قالَ: لقد صَدَّقْتُم يا عُلَماءَ السُّوءِ مِن قَبْـلُ على قَتْـلِ جُهَيْمـانَ وطائفـةٍ مِن إخوانِـه، وهَـا هِيَ فَتَـاويكم الـتي قُتِلُـوا بهـا إلى اليَـوم مَحفوظـةٌ شـاهِدةٌ على جَـريمَتِكم. انتهى. وفي فتـوى للشـيخ أبي محمـد المقدسـي على هـذا الرابط قـالَ: كِتَابَـاتُ جُهَيْمـانَ كـانَتْ جَمِيعُهـا يَقرَؤُهـا طَلَبـةُ عِلْمٍ مِن أَتْباع جُهَيْمانَ -قَبْلَ طِباعَتِها- على الشيخ اِبْن باز [قُلْتُ: وهذا يَعْنِي أنَّ كِتَابَاتِ الشيخ جُهَيْمانَ كانَتْ مَوْضِعَ تَقدِيرٍ واحتِرامٍ مِنَ الشَّيخِ اِبْنِ باز]. انتهى باختصـار]، لِمـاذا لم تَدْعَمْها الحُكومةُ وتُشَجِّعْها، رَغْمَ أنَّه لم يَكُنْ يُكَفِّرُها في تلك الكِتَاباتِ؟، أَمْ أنَّه [أَيِ التَّوحِيدَ الذي تَمْتَلِئُ وتَزْخَرُ به كِتَاباتُ الشـيخِ جُهَيْمـانَ] تَوحِيـدٌ يُخـالِفُ أَمْزِجَـةَ الطُّغـاةِ وأهـواءَهم ويَتَكَلَّمُ بالسِّيَاسـةِ ويَتَعَـرَّضُ لِلـوَلاءِ والبَـراءِ والبَيْعةِ والإمارةِ؟ [قالَ الشيخُ مُقْبِلٌ الوادِعِيُّ في (قمع المعاند): إنَّ السُّعُودِيَّةَ عَمِيلـةٌ لِأمْريكـا. انتهى باختصـار. وقالَ الشيخُ مُقْبِلٌ الوادِعِيُّ أيضًا في (المُصارَعة): إنَّهـا [أَيِ السُّـعُودِيَّةَ] قـد أصـبَحَتْ مُسـتَعبَدةً لِأمْريكـا. انتهى. وقـالَ الشـيخُ مُقْبِـلٌ الـوادِعِيُّ أيضًـا في (المَخْـرَج مِن الفِتنة): الحُكومةُ [السُّعُودِيَّةُ] لا يَهُمُّهـا الـدِّينُ، لا يَهُمُّهـا إلَّا الحِفاظُ على الكُرْسِيِّ. انتهى باختصار. ونَقَلَ الشـيخُ أحمد بن يحيى النجمي (المُحاضِرُ بكلية الشريعة وأصول الدين، بفرع جامعـة الإمـام محمـد بن سـعود الإسـلامية بأبهـا) في كِتابِـه (نَسْـفُ الـدَّعاوي) عن الشـيخ محمـد سـرور زين العابـدين (مُؤَسِّـسِ تَيَّارِ الصَّـحْوَةِ "أَكْبَـرِ

التَّيَّاراتِ الدِّينِيَّةِ في السُّعُودِيَّةِ") أنَّه قالَ: إنَّ السُّلطةَ في السُّعُودِيَّةِ تَتَكَوَّنُ مِن شَكْلِ هَرَمِيٍّ يَتَرَبَّعُ على رَأسِها الأعلَى رَئيسُ أَمْريكا... ثم قالَ -أي الشيخُ النجمي-: وهذا مَعْنَى ما قَرَّرَه المغراوي [أستاذ الدراسات العليا بجامعة القرويين، والذي يُوصَفُ بِأنَّه (شَيْخُ السَّلَفِيين بِالمَغْرِبِ)] هُنَا، أنَّ وُلاةَ المُسلِمِين في السُّعُودِيَّةِ -أو غَيرها- لا يَتَصَرَّفون بِإراداتِهم، ولا يُقَرِّرون قَرارًا مِن تِلقاءِ أنفُسِهم، وإنَّما يَتَصَرَّفُ فيهم غَيرُهم، ويُقَرِّرُ لهم غَيرُهم، والمَسئولون فيها مُجَرَّدُ كمبيوتراتٍ. انتهى]... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسي-: وَهَا هُنَا شُبهةٌ يَطرَحُها كَثِيرٌ مِنَ المُتَسَرِّعِين، وهي قَولُهم {إنَّ مِلَّةَ إبراهِيمَ هذه إنَّما هي مَرحَلةٌ أخِيرةٌ مِن مَراحِلِ الدَّعوةِ، يَسبِقُها البَلاغُ بالحِكمةِ والجِدالُ بالتي هي أحسَنُ، ولا يَلجَأُ الداعِيَةُ إلى مِلَّةِ إبراهِيمَ هذه، مِنَ البَراءةِ مِن أعداءِ اللهِ ومَعبوداتِهم والكُفر بها وإظهارِ العَداوةِ والبَغضاءِ لهم، إلَّا بَعْدَ اِستِنفاذِ جَمِيع أسالِيبِ اللِّينِ والحِكمةِ}؛ فَنَقولُ وباللهِ التوفيقُ، إنَّ هذا الإشكالَ إنَّما حَصَلَ بِسَبَبِ عَدَمِ وُضوحِ مِلَّةِ إبراهِيمَ لَدَى هؤلاء الناس، وبِسَبَبِ الخَلْطِ بَيْنَ طَرِيقةِ الدعوةِ للكُفَّار اِبْتِدَاءً و[بَيْنَ] طَرِيقَتِها مع المُعانِدِين منهم، وأيضًا [بِسَبَبِ عَدَمِ] الفَرْق بَيْنَ ذلك كُلِّه وبَيْنَ مَوقِفِ المُسلِم مِن مَعبُوداتِ ومَناهِجِ وشَرائع الكُفَّار الباطِلةِ نَفْسِها؛ فَمِلَّةُ إبراهِيمَ مِن حيث أنَّها إخلاصٌ لِلعِبادةِ للهِ وَحْدَه وكُفْرٌ بِكُلِّ مَعبودٍ سِوَاهُ، لا يَصِحُّ أنْ تُؤَخَّرَ أو تُؤَجَّلَ، بَلْ يَنبَغِي أنْ لا يُبْدَأَ إلَّا بِها، لِأنَّ ذلك هو تَمَامًا ما تَحوِيه كَلِمةُ (لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ) مِنَ النَّفي والإثباتِ، وهو أصلُ الدِّين وقُطْبَ الرَّحَى في دَعوةِ الأنبياءِ والمُرسَلِين، وَلِأجْلِ أنْ يَزولَ عنك كُلُّ إشكال فَهَا هُنَا قَضِيَّتان؛ (أ)القَضِيَّةُ الأُولَى، وهي الكُفرُ بِالطَّواغِيتِ التي تُعبَدُ مِن دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، سَوَاءٌ أكَانَتْ هذه الطَّواغِيتُ أصنامًا مِن حَجَرٍ، أو شَمسًا أو

قَمَرًا، أو قَبرًا أو شَجَرًا، أو تَشريعاتٍ وقَوانِينَ مِن وَضْعِ البَشَر، فَمِلَّةُ إبراهِيمَ ودَعوةُ الأنبياءِ والمُرسَلِين تَستَلزِمُ إظهارَ الكُفرِ بهذه المَعبوداتِ كُلِّها وإبداءَ العَداوةِ والبَغضاءِ لها، وَتَسفِيهَ قَدرِها والحَطَّ مِن قِيمَتِها وشَأنِها وإظهارَ زَيفِها ونَقائصِها وعُيوبِها مُنْذُ أَوَّلِ الطَّرِيق، وَهَكَذَا كانَ حالُ الأنبياءِ حين كانوا يَبدَأُون دَعوَتَهم لِأقوامِهم بِقَولِهم {اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، ومِن هذا قَولُ اللهِ تَعالَى عن الحَنِيفِ إبراهِيمَ عليه السَّلامُ {قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ، أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}، وَقَولُه {قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}، وَقَولُه {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِين}، وَكَذَا قَولُه سُبْحانَهُ عن قَوم إبراهِيمَ {قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} قالَ المُفَسِّرون {(يَذْكُرُهُمْ) أَيْ يَعِيبُهم وَيَستَهزِئُ بهم وَيَتَنَقَّصُهم}، والكِتابُ والسُّنَّةُ يَمتَلِئان بالأدِلَّةِ على ذلك، ويَكفِينا مِن ذلك هَدْيُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ وكَيفَ كانَ يُسَفِّهُ آلِهةَ قُرَيش ويُظهِرُ البَراءةَ منها والكُفرَ بها حتى كانوا يُلَقِّبونه بالصابِئ [وهو مَن ارتَدَّ عن دِينِه واعتَنَقَ دِينًا آخَرَ]، وإنْ شِئتَ أنْ تَتَأَكَّدَ مِن ذلك وتَتَيَقَّنَه فارجِعْ وتَدَبَّر القُرآنَ المَكِّيَّ [الْمَكِّيُّ مَا نَزَلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَإِنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ، وَالْمَدَنِيُّ مَا نَزَلَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَإِنْ كَانَ بِمَكَّةَ] الذي ما كانَتْ تَتَنَزَّلُ على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم منه بِضعُ آيَاتٍ حتى تُضْرَبَ بها أَكْبَادُ الْمَطِيِّ شَرقًا وغَربًا وشَمالًا وجَنوبًا وتَتَناقَلَها الألْسِنةُ في الأسواق والمَجالس والنَّوادِي، وكانَتْ هذه الآياتُ تُخاطِبُ العَرَبَ بِلُغَتِهم العَرَبِيَّةِ المَفهومةِ بِكُلِّ وُضوحٍ وجَلاءٍ، تُسَفِّهُ آلِهَتَهم وعلى رَأسِها اللّاتُ والعُزَّى ومَنَاةُ الثالِثَةِ الأُخرَى -أعظَمُ الآلِهةِ عند القَومِ في ذلك

الزَّمــان- وتُعلِنُ البَــراءةَ منهــا وعَــدَمَ الالتِقــاءِ معهــا أو الرِّضَا بها، وما كانَ النَّبِيُّ صلى اللـه عليـه وسـلم لِيَكْتُمَ شَيئًا مِن ذلك إنْ هو إلَّا نَذِيرٌ، فالذِين يُصَدِّرون أنْفُسَــهم للدَّعوةِ في هذا الزَّمانِ بِحاجةٍ إلى تَدَبُّر هــذا الأمــر جَيِّدًا ومُحاسَبةِ أنْفُسِهم عليه كَثِيرًا، لِأنَّ دَعوةً تَسْـعَى لِنُصْـرةِ دِينِ اللــهِ ثم تُلْقِي بهــذا الأَصْـلِ الأَصِـيلِ [وهــو إظهــارُ الكُفر بهذه المَعبوداتِ كُلِّها وإبداءُ العَداوةِ والبَغضاءِ لها، وَتَسـفِيهُ قَـدرِها والحَـطُّ مِن قِيمَتِهـا وشَـأنِها وإظهــارُ زَيفِهــا ونَقائصِــها وعُيوبِهــا] وَرَاءَهــا ظِهْرِيًّا لا يُمْكِنُ أنْ تَكونَ على مَنهَجِ الأنبِياءِ والمُرسَـلِين، وهــا نحن نُعــايِشُ في هذا الزَّمــانِ اِنتِشــارَ (شِـرِكِ التَّحـاكُم إلى الدَّسـاتِير والقَوانِين الوَضعِيَّةِ) بين ظَهْرَانَيْنا، فَيَلزَمَ هذه الـدَّعَواتِ -ولا بُدَّ- التَّأَسِّي بِنَبِيِّها في اِتِّبــاع مِلَّةِ إبــراهِيمَ، بِتَسـفِيهِ قَـدْر هــذه الدَّسـاتِير وتلــك القَـوانِين، وذِكْـر نَقائصِــها لِلنَّاس، وإبداءِ الكُفر بهــا، وإظهــار وإعلانِ العَـداوةِ لهــا، ودَعوةِ الناس إلى ذلك، وبَيَانِ تَلبيس الحُكومــاتِ [لِلْحَـقِّ بالْبَاطِــلِ] وضِـــحْكِها على النـــاس، وإلَّا فَمَتَى يَظْهَـــرُ الحَــقُّ؟!، وكَيــفَ يَعــرفُ النــاسُ دِينَهم حَــقَّ المَعرفــةِ، ويُمَيِّزُون الحَـقَّ مِنَ الباطِـلِ والعَـدُوَّ مِنَ الـوَلِيِّ؟، ولَعَـلَّ الغالِبِيَّةَ [مِمَّن يُصَـدِّرون أنْفُسَــهم للــدَّعوةِ] يَتَعَــذَّرون بِمَصلَحةِ الـدَّعوةِ وبِالفِتْنـةِ، وأَيُّ فِتْنـةٍ أَعْظَمُ مِن كِتْمـانِ التَّوحِيــدِ و[مِنَ] التَّلْبِيس على النــاس في دِينِهم؟، وَأَيُّ مَصلَحةٍ أَعْظَمُ مِن إقامةِ مِلَّةِ إبــراهِيمَ وإظهــار المُـوالاةِ لِدِين اللهِ والمُعاداةِ للطَّواغِيتِ التي تُعبَدُ ويُدانُ لهــا مِن دُونِ اللهِ؟، وإذا لم يُبْتَلَ المُسـلِمون لِأجْـلِ ذلـك وإذا لم تُقَـدَّم التَضْـحِيَاتُ في سَــبِيلِه فَلِأيِّ شَــيءٍ إذَنْ يَكــونُ البَلاءُ؟، فالكُفرُ بالطَّواغِيتِ كُلِّها واجِبٌ على كُـلِّ مُسـلِم بِشَطر شَهَادَةِ الإسـلام، وإعلانُ ذلـك وإبـداؤه وإظهـارُه واجِبٌ عَظِيمٌ أيضًـــا لا بُـــدَّ وأنْ تَصْـــدَعَ بِـــه جَماعـــاتُ المُسلِمِين أو طائفةٌ مِن كُـلِّ جَماعـةٍ منهم على الأقَـلِّ،

حتى يَشتَهرَ ويَنتَشِرَ ويَكونَ هو الشِّعارَ والصِّفةَ المُمَيِّزةَ لهذه الدَّعواتِ كما كانَ حالُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ليس في زَمَن التَّمكِين وَحَسْــــبُ، بَــــلْ وفي زَمَن الاستِضـعافِ حيث كـانَ يُشـارُ إليـه [صـلى اللـه عليـه وسلم] بالأصابِع ويُحَذَّرُ منه ويُوصفُ بعَداوةِ الآلِهةِ، وإنَّنا لَنَعْجَبُ! أَيُّ دَعوةٍ هذه الـتي يَتَبـاكَى أولئـك الـدُّعاةُ على مَصلَحتِها؟ وَأَيُّ دِين هذا الذي يُريدون إقامتَه وإظهـارَه؟ وأكـثرُهم يَلهَجُ بِمَـدح القـانونِ الوَضـعِيِّ -ويَـا لَلْمُصِـيبَةِ- وبَعضُهم يُثْنِي عليه ويَشهَدُ بنَزاهَتِه وكَثِـيرٌ منهم يُقسِـمُ على اِحتِرامِه والالْتِزام بِبُنُودِه وَحُـدودِه، عَكْسًـا لِلقَضِـيَّةِ والطَّريق، فبَدَلًا مِن إظهار وإبداءِ العَداوةِ له والكُفـر بـه يُظهـرون الـوَلاءَ لـه والرِّضـا عنـه، فهَـلْ مِثْـلُ هـؤلاء يَنشُرون تَوحِيدًا أو يُقِيمـون دِينًـا؟! إلى اللـهِ المُشـتَكَى، وإبـداءُ هـذا الأمـر [وهـو الكُفـرُ بِالدَّسـاتِير والقَـوانِين الوَضـعِيَّةِ] وإظهـارُه ليس لـه عَلَاقـةٌ بِتَكفِـير الحـاكِم أو إصـراره على الحُكْم بِغَـير شَـريعةِ الـرَّحمَن، [بَـلْ] إنَّه مُتَعَلِّقٌ بالدُّستُور أو التَّشريع أو القانونِ القائم المُحتَـرَم المُطَبَّق المُبَجَّلِ المُحَكَّم بَيْنَ الناس؛ (ب)القَضِيَّةُ الثانِيَةُ، وهي البَـــراءةُ مِنَ المُشـــركِين والكُفـــرُ بهم وإظهـــارُ العَداوةِ والبَغضاءِ لَهُمْ هُمْ أَنْفُسِـهم، يَقـولُ العَلَّامـةُ اِبْنُ القيم رَحِمَه اللهُ تَعالَى [في (مَـدارجُ السـالِكِين)] {وَمَـا نَجَـا مِنْ شَـرَكِ هَـذَا الشِّـرْكِ الأَكْبَـر [أَيْ مِصـيَدةِ] إِلَّا مَنْ جَـرَّدَ تَوْحِيـدَهُ لِلَّهِ، وَعَـادَى الْمُشْـرِكِينَ فِي اللَّهِ، وَتَقَـرَّبَ بِمَقْتِهِمْ إِلَى اللَّهِ}، وهـــذه القَضِــيَّةُ (أي البَـــراءةُ مِنَ المُشـــــــركِين) أهَمُّ مِنَ الأُولَى (أعنِي البَـــــــراءةَ مِن مَعبوداتِهم)، يقولُ الشـيخُ حَمَـدُ بنُ عَتِيـق [ت1301هــ] رَحِمَه اللهُ تَعالَى في (سبيل النجاة والفكاك) عِند قَولِـه تَعالَى (إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُـدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) {وهَـا هُنَا نُكتـةٌ بَدِيعـةٌ، وهي أنَّ اللـهَ تَعـالَى قَـدَّمَ البَـراءةَ مِنَ المُشرِكِين العابِدِين غيرَ اللـهِ، على الـبرَاءةِ مِنَ الأوثـانِ

المَعبودةِ مِن دُون اللـهِ، لِأنَّ الأوَّلَ أَهَمُّ مِنَ الثـانِي، فإنَّه إنْ تَبَرَّأَ مِنَ الأوثانِ ولم يَتَبَـرَّأْ مِمَّن عَبَـدَها لا يَكـونُ آتِيًـا بـالواجِبِ عليـه، وأمَّا إذا تَبَـرَّأَ مِنَ المُشـركِين فـإنَّ هـذا يَستَلزِمُ البَراءةَ مِنَ مَعبـوداتِهم، وَكَـذَا قَولُـه (وَأَعْتَـزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ...) الآيَةَ، فَقَدَّمَ اِعتِـزالَهم على اِعتِـزالِ مـا يَـدعون مِن دُونِ اللـهِ، وَكَـذَا قَولُـه (فَلَمَّا اعْتَـزَلَهُمْ وَمَـا يَعْبُـدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ)، وقَولُـه (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَـا يَعْبُـدُونَ إلا اللَّهَ)، فَعَلَيـكَ بهـذه النُّكتـةِ فإنَّهـا تَفتَحُ لـك بابًـا إلى عَـداوةِ أعـداءِ اللـهِ، فَكَمْ مِن إنسانٍ لا يَقَعُ منه الشِّركُ ولَكِنَّه لا يُعادِي أهلَـه [أَيْ أهـلَ الشِّـركِ]، فلا يكـونُ مُسـلِمًا بـذلك إذْ تَـرَكَ دِينَ جَمِيـع المُرسَلِين}، وسُئِلَ الشيخُ حسين والشيخُ عبداللـه، اِبْنـا الشيخ محمد بن عبدالوهاب [كما في (الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ في الأَجْوبةِ النَّجْدِيَّةِ)] عن رَجُلٍ دَخَلَ هذا الدِّينَ وأَحَبَّه وأَحَبَّ أَهْلَـه، ولكنْ لا يُعـادِي المُشـركِين، أو عـاداهم ولم يُكَفِّرْهم؟، فكـانَ مِمَّا أجابـا بـه {مَن قـالَ لا أُعـادِي المُشركِين، أو عاداهم ولم يُكَفِّرْهم، فهـو غَـيرُ مُسـلِم، وهو مِمَّن قالَ اللهُ تَعالَى فيهم (وَيَقُولُـونَ نُـؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْض وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَـبِيلًا، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـافِرِينَ عَـذَابًا مُّهِينًـا)}... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسـي-: المُتَجَبِّرون والظـالِمون يُـدعَون إلى طاعـةِ اللـهِ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ اِبْتِدَاءً، فإنِ اِستَجابوا فَهُمْ إخوانُنا نُحِبُّهم بِقَدر طـاعَتِهم وَلَهم مـا لَنـا وعليهم مـا عَلَينـا، وإنْ أَبَـوْا -مـع وُضـوح الحُجَّةِ- واستَكبَروا وأصَرُّوا على ما هُمْ عليه مِنَ الباطِـلِ والشِّـركِ وَوَقَفـوا في الصَّـفِّ المُعـادِي لِـدِين اللـهِ فلا مُجامَلةَ معهم ولا مُداهَنةَ، بَلْ يَجِبُ إظهارُ وإبداءُ البَراءةِ منهم عنـد ذلك؛ ويَنبَغِي التَّفرِيـقُ هنـا بين الحِـرص على هِدَايَةِ المُشـركِين والكُفَّار وكَسـبِ أنصـار لِلـدِّين واللِّين في البَلاغِ وَالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وبين قَضِـيَّةِ

الحُبِّ والبُغض والمُـوالاةِ والمُعـاداةِ في دِين اللـهِ، لِأنَّ كَثِيرًا مِنَ الناسِ يَخْلِطُ في ذلك فَتَستَشـكِلُ عليهم كَثِـيرٌ مِنَ النُّصوص مِثْلِ {اللَّهُمَّ اِهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُـونَ} وما إلى ذلك، وقد تَبَـرَّأَ إبـراهِيمُ مِنِ أقـرَبِ النـاسِ إليـه لَمَّا تَبَيَّنَ له أنَّه مُصِرٌّ على شِركِه وكُفره، قالَ تَعالَى عنه {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} ذلـك بَعْـدَ أنْ دَعـاه بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، فَتَجِدُه يُخاطِبُـه بِقَولِـه {يَـا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَـاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ}، {يَـا أَبَتِ إِنِّي أَخَـافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن}، وَهَكَذَا مُوسَـى مـع فِرعَـونَ بَعْدَ أنْ أرسَلَه اللهُ إليه وقالَ {فَقُولَا لَـهُ قَـوْلًا لَّيِّنًـا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}، فقد بَدَأَ معـه بِـالقَولِ اللَّيِّنِ اِسـتِجابةً لأمـرِ اللـهِ فَقـالَ {هَـل لَّكَ إِلَى أَن تَـزَكَّى، وَأَهْـدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَــى} وَأَراه الآيَــاتِ والبَيِّنــاتِ، فَلَمَّا أظهَــرَ فِرعَونُ التَّكذِيبَ والعِنادَ والإصرارَ على الباطِلِ قـالَ لـه مُوسَى كَما أخبَرَ تَعالَى {لَقَـدْ عَلِمْتَ مَـا أَنـزَلَ هَـؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْض بَصَـائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـا فِرْعَـوْنُ مَثْبُورًا}، بَلْ ويَدعُو عليهم قائلًا {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَـوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَـةً وَأَمْـوَالًا فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا رَبَّنَـا لِيُضِـلُّوا عَن سَبِيلِكَ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْـدُدْ عَلَى قُلُـوبهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَـرَوُا الْعَـذَابَ الأَلِيمَ}، فالـذِين يُدَنـدِنون على نُصـوص الرِّفــق واللِّين والتَّيسِــير على إطلاقِهــا وَيَحْمِلُونَهَــا عَلَى غَيْــر مَحْمَلِهــا ويَضَــعونها في غــير مَوضِعِها، يَنبَغِي لهم أنْ يَقِفوا عند هـذه القَضِـيَّةِ طَـويلًا ويَتَدَبَّروها ويَفهَموها فَهمًا جَيِّدًا إنْ كانوا مُخلِصِين... ثم قــالَ -أي الشــيخُ المقدســي-: وَاعْلَمْ أنْ لَا تَنَـافِيَ بين القِيام بِمِلَّة إبراهِيمَ [يَعْنِي مِن جِهـةِ إظهـار البَـراءةِ مِنَ المُشــركِين ومَعبــوداتِهم الباطِلــةِ، وإعلان الكُفــر بهم وبآلِهَتِهم ومَنـاهِجِهم وقَـوانِينِهم وشَـرائعِهم الشِّـركِيَّةِ، وإبـداءِ العَـداوةِ والبَغضـاءِ لهم وَلِأوضـاعِهم وَلِأحـوالِهم الكُفرِيَّةِ] والأخذِ بأسـبابِ السِّـرِّيَّةِ والكِتمـانِ في العَمَـلِ

الجادِّ لِنُصْرةِ الدِّينِ، إنَّ هذه السِّـرِّيَّةَ يَجِبُ أنْ تُوضَـعَ في مَكانِهـا الحَقِيقِيِّ، وهي سِـرِّيَّةُ التَّخطِيـطِ والإعـدادِ، أمَّا مِلَّةُ إبـراهِيمَ والكُفـرُ بـالطَّواغِيتِ ومَنـاهِجِهم وآلِهَتِهم الباطِلةِ فهذه لا تَدخُلُ في السِّرِّيَّةِ، بَـلْ [هي] مِن عَلَنِيَّةِ الـدَّعوةِ فَيَنبَغِي إعلانُهـا مُنْـذُ أوَّلِ الطَّرِيـقِ، أمَّا إخفاؤها [أَيْ مِلَّةُ إبراهِيمَ] وَكَتْمُها مُداهَنةً لِلطَّواغِيتِ وتَغَلْغُلًا في صُفوفِهم وارتِقـاءً في مَناصِـبِهم فليس مِن هَـدْيِ نَبِيِّنـا محمدٍ صلى الله عليه وسلم، بَـلْ هـو مِن هَـدْيِ وسِـرَّيَّةِ أصـحابِ التَّنظِيمـاتِ الأرضِـيَّةِ الـذِين يَجِبُ أنْ يُقـالَ لهم أيضًا {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}، وَخُلاصةُ الأمرِ أنَّها [أَيْ مِلَّةَ إبراهِيمَ] سِرِّيَّةٌ في الإعدادِ والتَّخطِيطِ عَلَنِيَّةٌ في الدَّعوةِ والتَّبلِيغِ؛ وإنَّما قُلنا ذلك لِأنَّ كَثِيرًا مِنَ النـاسِ سَـوَاءٌ مِنَ المُرجِفِين أو مِمَّن لم يَفهَموا دَعوةَ الأنبِياءِ حَـقَّ الفَهمِ، يَقولون عن جَهلٍ منهم {إنَّ هذه الطَّرِيـقَ الـتي تَـدعون إليها تَكشِفُنا وَتَفْضَـحُ تَخطِيطاتِنـا وتُعَجِّلُ بالقَضـاءِ على الـدَّعوةِ وثَمَراتِهـا} [قـالَ الشـيخُ سـيد قطب في كِتابِـه (في ظلال القرآن): وَمَا حَدَثَ قَـطُّ فِي تَـارِيخِ الْبَشَـرِيَّةِ أَنِ اِسْـتَقَامَتْ جَمَاعَـةٌ عَلَى هُـدَى اللَّهِ إلَّا مَنَحَهَـا الْقُـوَّةَ وَالْمَنَعَةَ وَالسِّيَادَةَ فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ، بَعْدَ إعْدَادِهَا لِحَمْلِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ (أَمَانَةِ الْخِلَافَةِ فِي الْأَرْض وَتَصْرِيفِ الْحَيَاةِ)؛ وَإِنَّ الْكَثِيرينَ لَيُشْفِقُونَ [أَيْ لَيَخَافُونَ] مِن اِتِّبَاعِ شَرِيعَةِ اللَّهِ وَالسَّيْر عَلَى هُدَاهُ، يُشْفِقُونَ مِنْ عَـدَاوَةِ أَعْـدَاءِ اللَّهِ وَمَكْـرِهِمْ، وَيُشْـفِقُونَ مِنْ تَـأَلُّبِ [أَيْ تَجَمُّع واحْتِشَـادِ] الْخُصُوم عَلَيْهِمْ، وَيُشْفِقُونَ مِنَ الْمُضَـايَقَاتِ الاقْتِصَـادِيَّةِ وَغَيْر الاقْتِصَادِيَّةِ، وَإِنْ هِيَ إلَّا أَوْهَامٌ كَأَوْهَامِ قُرَيْش يَوْمَ قَـالَتْ لِرَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ {إن نَّتَّبِـعِ الْهُدَى مَعَـكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِـنَا} فَلَمَّا اِتَّبَعَتْ هُـدَى اللَّهِ سَيْطَرَتْ عَلَى مَشَارق الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فِي رُبْعِ قَـرْنٍ أَوْ أَقَلَّ مِنَ الزَّمَانِ. انتهى]، فَيُقالُ لهم، إنَّ هـذه الثَّمَـراتِ المَزعومةَ لن تَينَعَ ولن يَبدُو صَلاحُها حتى يَكونَ الغِراسُ

على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ، وَواقِعُ هذه الـدَّعواتِ العَصـرِيَّةِ أكبَـرُ دَلِيلٍ وشاهِدٍ على ذلـك -بَعْـدَ الأدِلَّةِ الشَّـرعِيَّةِ المُتَقَدِّمـةِ مِن مِلَّةِ إبراهِيمَ ودَعوةِ الأنبِياءِ والمُرسَلِين صَلَواتُ اللـهِ وسَـلامُه عليهم أجْمَعِين- حيث إنَّ مـا نُعانِيـه اليَـومَ مِن جَهـلِ أبنـاءِ المُسـلِمِين والتِبـاسِ الحَـقِّ عليهم بِالباطِـلِ وعَدَمِ وُضوحِ مَواقِفِ الوَلاءِ والبَراءِ، إنَّما هو مِن سُـكُوتِ وكِتمانِ العُلَماءِ والـدُّعاةِ لِهـذا الحَـقِّ، ولـو أنَّهم صَـرَّحوا وصَدَعوا به وابْتُلُوا كما هو حالُ الأنبِياءِ لَظَهَرَ [أيِ الحَقُّ] وبانَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، ولَتَمَحَّصَ وتَمَيَّزَ بذلك أهلُ الحَـقِّ مِن أهـلِ الباطِـلِ، ولَبُلِّغَتْ رِسـالاتُ اللـهِ، وَلَـزالَ التَّلبِيسُ الحاصِلُ على الناسِ خاصَّةً في الأمُورِ المُهِمَّةِ والخَطِيرةِ في هـذا الزَّمـانِ، وكمـا قِيـلَ {إِذَا تَكَلَّمَ الْعَـالِمُ تَقِيَّةً وَالْجَاهِلُ بِجَهْلِه، فَمَتَى يَظهَرُ الْحَقُّ}، وإذا لم يَظهَرْ دِينُ اللهِ وتَوحِيدُه العَمَلِيُّ والاعتِقادِيُّ لِلنَّاسِ فَأَيُّ ثِمَـار تلـك التي يَنتظرُهـا ويَرجُوهـا هـؤلاء الـدُّعاةُ؟!، أهِيَ [إقامـةُ] الدَّولةِ الإسـلامِيَّةِ؟، إنَّ إظهـارَ تَوحِيـدِ اللـهِ الحَـقِّ لِلنَّاسِ وإخـراجَهم مِن ظُلُمـاتِ الشِّـركِ إلى أنـوارِ التَّوحِيـدِ هي الغايَةُ العُظمَى والمَقصودُ الأهَمُّ وإنِ ابْتُلِيَ الدُّعاةُ، وهَلْ يَظهَرُ الدِّينُ إلَّا بِالمُدافَعةِ والبَلاءِ {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ}، فَبِذلك يَكـونُ إعلاءُ دِينِ اللـهِ وإنقـاذُ النـاسِ وإخـراجُهم مِنَ الشِّـركِ بِـاختِلافِ صُـوَرِه، وهـذه هي الغايَـةُ الـتي يَكـونُ مِن أجلِهـا البَلاءُ وتُنحَـرُ على عَتَباتِهـا التَّضْـحِيَاتُ، ومـا [إقامـةُ] الدَّولـةِ الإسـلامِيَّةِ أصـلًا إلَّا وَسِـيلةٌ مِن وَسـائلِ هـذه الغايَـةِ العُظمَى، وفي قِصَّـةِ أصـحابِ الأُخْـدُودِ عِـبرةٌ لأُولِي الألْبابِ، فإنَّ ذلك الغُلامَ الدَّاعِيَةَ الصادِقَ مـا أقـامَ دَولـةً ولا صَـولةً ولَكِنَّه أظهَـرَ تَوحِيـدَ اللـهِ أيَّمَـا إظهـارٍ وَنَصَـرَ الدِّينَ الحَقَّ نَصرًا مُؤَزَّرًا ونالَ الشَّهادةَ، وما قِيمةُ الحَياةِ بَعْـدَ ذلـك، ومـا وَزنُ القَتـلِ والحَـرقِ والتَّعـذِيبِ إذا فـازَ الدَّاعِيَـةُ بِـالفَوزِ الأكبَـرِ، كـانَتِ الدَّولـةُ أمْ لم تَكُنْ، وإنْ

حُرِّقَ المُؤمِنون وإنْ خُدَّتْ لهم الأَخَادِيدُ فإنَّهم مُنتَصِرون لِأنَّ كَلِمةَ اللهِ هي الظاهِرةُ والعُلْيَا [بِصَبْرِهم وثَبَاتِهم]، أَضِفْ إلى ذلك أنَّ الشَّهادةَ طَرِيقُهم والجَنَّةَ نُزُلُهم، فَأَنْعِمْ بذلك أَنْعِمْ؛ وبهذا تَعلَمُ أنَّ قَولَ أولئك الجُهَّالِ {إنَّ هذه الطَّرِيقَ تَقضِي على الدَّعوةِ وتُعجِّلُ بِبَوارِ ثَمَراتِها} جَهلٌ وإرجافٌ، لِأنَّ هذه الدَّعوةَ هي دِينُ اللهِ الذي وَعَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وذلك كائنٌ لَا رَيبَ فيه، ونُصرةُ دِينِ اللهِ وإعلاؤه لَيسَتْ مُتَعَلِّقةً بِأشخاصِ هؤلاء المُرجِفِين، تَذهَبُ بِذِهابِهم أو تَهْلِكُ بِهَلاكِهم أو تَوَلِّيهم، قالَ تَعالَى {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم}، وهَا هِيَ دَعَواتُ الرُّسُلِ والأنبياءِ وأتباعِهم خَيرُ شاهِدٍ في شِعَابِ الزَّمانِ، وقد كانوا أَشَدَّ الناسِ بَلاءً وامتِحانًا وما أَثَّرَ ذلك البَلاءُ في نُورِ دَعَواتِهم، بَلْ ما زادَها إلَّا ظُهورًا واشتِهارًا وتَغَلغُلًا في قُلوبِ الناسِ وبين صُفوفِهم، وهَا هِيَ إلى اليَومِ ما زالَتْ نُورًا يَهتَدِي به السائرون في طَرِيقِ الدَّعوةِ إلى اللهِ، وهذا هو الحَقُّ الذي لا مِريَةَ فيه؛ ثم ومع ذلك كُلِّه فلا بُدَّ مِن مَعرِفةِ قَضِيَّة أخِيرةٍ هنا، وهي أنَّ هذا الصَّدْعَ بإظهارِ العَداوةِ والبَراءةِ مِنَ الكُفَّارِ المُعانِدِين وإبداءِ الكُفرِ بِمَعبوداتِهم وباطِلِهم المُتَنَوِّعِ في كُلِّ زَمانٍ، وإنْ كانَ هو الأصلَ في حالِ الدَّاعِيَةِ المُسلِمِ، وهو صِفةُ الأنبياءِ وطَرِيقُ دَعوَتِهم المُستَقِيمُ الواضِحُ، ولن تُفلِحَ هذه الدَّعواتُ [العَصرِيَّةُ] ولن يَصلُحَ مُرادُها وحالُها ولن يَظهَرَ دِينُ اللهِ ولن يَعرِفَ الناسُ الحَقَّ إلَّا بِالتِزامِ ذلك واتِّباعِه، مع ذلك يُقالُ بأنَّه إذا صَدَعَتْ به طائفةٌ مِن أهْلِ الحَقِّ سَقَطَ عن الآخَرين (والمُسْتَضْعَفِينَ منهم مِن بابِ أَولَى)، وَذَلِكُمْ [هو] الصَّدْعُ به، أمَّا هو [أي التَّبَرُّؤُ مِنَ الكُفَّارِ ومُعاداتُهم، والكُفرُ بِمَعبوداتِهم وباطِلِهم] بِحَدِّ ذاتِه فَإنَّه واجِبٌ على كُلِّ مُسلِمٍ [فَلا يَسقُطُ بِقِيامِ البَعضِ به،

بِخِلَافِ الصَّدْعِ] في كُلِّ زَمانٍ ومَكـانٍ لِأنَّه مِن (لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ) الـتي لَا يَصِـحُّ إِسـلامُ اِمْـرِئٍ إِلَّا بها، أَمَّا أنْ يُهمَـلَ ويُلْغَى الصَّدْعُ به كُلِّيَّةً مِن حِسـابِ الـدَّعَواتِ [العَصـرِيَّةِ]، مـع أنَّه أصـلٌ أصِـيلٌ في دَعَـواتِ الأنبِيـاءِ، فَـأَمْرٌ غَـرِيبٌ مُحدَثٌ ليس مِن دِينِ الإسلامِ في شَـيءٍ، بَـلْ دَخَـلَ على هؤلاء الدُّعاةِ الذِين يَدعُون بِغَـيرِ هَـدْيِ النَّبِيِّ صلى اللـه عليـه وسـلم بتَقلِيـدِهم ومُحاكـاتِهم لِلأحـزابِ الأرضِـيَّةِ [كالأحزابِ العَلْمَانِيّةِ والشُّـيُوعِيَّةِ والقَومِيّـةِ] وطَرَائقِهـا، التي تَدِينُ بالتَّقِيَّةِ في كُلِّ أحوالِها ولا تُبـالِي بالمُداهَنـةِ أو تَتَحَرَّجُ مِنَ النِّفاق، واستِثناؤنا هذا [يُشِيرُ الشـيخُ هُنَـا إلى قَولِه السابِق {إذا صَدَعَتْ به طائفةٌ مِن أهْـلِ الحَـقِّ سَقَطَ عنِ الآخَرِين}] غَـيرُ نـابِعٍ مِنَ الهَـوَى والتَّكتِيكـاتِ العَقلِيَّةِ، بَـلْ مِنَ النُّصـوصِ الشَّـرعِيَّةِ النَّقلِيَّةِ الكَثِـيرةِ، والمُتَأَمِّلُ لِسِيرةِ النَّبِيِّ صلى الله عليـه وسـلم في عَهـدِ الاستِضعافِ يَتَجَلَّى لَه ذلـك واضِـحًا، وانظُـرْ على سَـبِيلِ المِثالِ لا الحَصرِ قِصَّةَ إِسْلَامِ عَمْـرِو بْنِ عَبَسَـةَ السُّـلَمِيِّ فِي صَـحِيحِ مُسْـلِمٍ، وَمَحَـلُّ الشَّـاهِدِ منهـا قَولُـه {قُلْتُ [الْقَائِلُ هُوَ عَمْرٌو] (إِنِّي مُتَّبِعُكَ)، قالَ [صلى اللـه عليـه وسلم] (إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَـكَ هَـذَا، أَلَا تَـرَى حَـالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ اِرْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَـدْ ظَهَـرْتُ فَـأْتِنِي)...} الحَـدِيثَ، قَـالَ النَّوَوِيُّ [في شَـرحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ] {مَعْنَاهُ، قُلْتُ لَهُ (إِنِّي مُتَّبِعُكَ عَلَى إِظْهَـارِ الإِسْلَامِ هُنَا، وَإِقَـامَتِي مَعَـكَ)، فَقَـالَ (لَا تَسْـتَطِيعُ ذَلِـكَ لِضَعْفِ شَـوْكَةِ الْمُسْـلِمِينَ، وَنَخَـافُ عَلَيْـكَ مِنْ أَذَى كُفَّارِ قُـرَيْشٍ، وَلَكِنْ قَـدْ حَصَـلَ أَجْـرُكَ، فَـابْقَ عَلَى إِسْـلَامِكَ وَارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ وَاسْـتَمِرَّ عَلَى الإِسْـلَامِ فِي مَوْضِـعِكَ، حَتَّى تَعْلَمَنِي ظَهَرْتُ فَـأْتِنِي)}، فهـذا واحِـدٌ قَـدْ أَذِنَ لـه النَّبِيُّ صلى اللـه عليـه وسـلم في عَـدَمِ إعلانِ وإظهـارِ الدِّينِ، لِأنَّ دِينَ اللهِ ودَعوةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسـلم كانَتْ مُشتَهِرةً مَعروفةً ظاهِرةً في ذلـك الـوَقتِ ويَـدُلُّكَ

على ذلك قَولُه صلى الله عليه وسلم في الحَدِيثِ نَفْسِه {أَلَا تَـرَى حَـالِي وَحَـالَ النَّاسِ}، و[انظُـرْ أيضًـا] قِصَّـةَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ في الْبُخَارِيِّ، وَمَحَـلُّ الشَّـاهِدِ منهـا قَولُـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لـه {يَـا أَبَـا ذَرٍّ اكْتُمْ هَـذَا الأَمْـرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ...} الحَدِيثَ، ومع هذا فقد صَدَعَ به أَبُو ذَرٍّ بين ظَهْرَانَيِ الكُفَّارِ مُتابَعةً منه لِهَدْيِ النَّبِيِّ صـلى اللـه عليـه وسـلم وطَرِيقَتِـه في ذلـك، ومـع أنَّهم ضَـرَبوه لِيَمُـوتَ كَمـا جـاءَ في الحَـدِيثِ [يَعْنِي قَولَ أَبِي ذَرٍّ {فَقَامُوا، فَضُربْتُ لِأَمُوتَ، فَـأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ، فَـأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَـلَ عَلَيْهِمْ فَقَـالَ (وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ وَمَتْجَـرُكُمْ وَمَمَـرُّكُمْ عَلَى غِفَـارَ)، فَأَقْلَعُوا عَنِّي}]، ومع تِكْـرارِه لـذلك الصَّـدْعِ، فَـإنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لم يُنكِرْ عليه فِعْلَه ذلك، ولا خَذَّلَه، ولا قالَ له كما يَقولُ دُعاةُ زَمانِنـا [مِن أَدْعِيَـاءُ السَّـلَفِيَّةِ (الـذِين يَحمِلُـون فِكْـرَ المُرْجِئَةِ) وجَمَاعَـةِ الإخـوان المُسـلِمِين (الـذِين يَحمِلُـون فِكْـرَ المَدْرَسَـةِ العَقْلِيَّةِ الاعْتِزالِيَّةِ)] {إنَّك بِفِعلِكَ هـذا سَـتُبَلبِلُ الـدَّعوةَ وسَـتُثِيرُ فِتنـةً وتَضُـرُّ مَصـلَحةَ الـدَّعوةِ} أو {أَخَّرْتَ الـدَّعوةَ مِائَةَ سَنَةٍ}، حاشاه مِن أنْ يَقولَ مِثلَ ذلك فهو قُـدوةُ النـاس كافَّةً وأُسوَتُهم إلى يَوم القِيامةِ في هـذا الطَّرِيـقِ... ثم قالَ -أيِ الشـيخُ المقدِسـي-: فائـدةٌ أُخـرَى مُهِمَّةٌ، وهي جَـوازُ مُخادَعـةِ الكُفَّارِ وتَخَفِّي بَعضِ المُسـلِمِين بين صُـفوفِهم أثنـاءَ المُواجَهـةِ والقِتـالِ إذا مـا كـانَ الـدِّينُ ظاهِرًا وأصلُ الدَّعوةِ مُشتَهِرًا، فَفِي هذه الأحـوالِ يَصِـحُّ الاستِشهادُ بِحادِثةِ قَتلِ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ [يَعْنِي الحادِثـةَ الـتي فيهـا قـامَ الصَّـحابةُ (أَبُـو نَائِلَـةَ "أَخُـو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَـاعَةِ"، ومُحَمَّدُ بْنُ مَسْـلَمَةَ "ابْنُ أُخْتِ كَعْبٍ"، وأَبُـو عَبْس بْنُ جَبْـر، وَالْحَـارِثُ بْنُ أَوْس، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْـر) رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِـدُخولِ بَنِي النَّضِـير والاحتِيـالِ على كَعْبٍ لاغْتِيالِه. وقَدْ قالَ الشـيخُ سـيد إمـام في (العمـدة

في إعداد العدة): إنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ومَن معه أَوْهَموا كَعْبًا بِضَيْقِهم بـالنَّبِيِّ صـلى اللـه عليـه وسـلم واحتـالوا عليـه حـتى قَتَلـوه. انتهى. وقـالَ الشـيخُ أبـو سـلمان الصومالِي في (هَتكُ أسـتار الإفـكِ عن حَـدِيثِ "الإيمَـانُ قَيَّدَ الْفَتْكَ"): ويَقـولُ الإمـامُ الْبَغَـوِيُّ [ت516هـ] رَحِمَـه اللهُ [في (شَرْحُ السُّنَّةِ)] في اِغتِيَال اِبْن الأَشْرَفِ {وفِي الْحدِيثِ دَلِيلٌ على جَوَاز قَتل الْكَافِر الّذِي بَلَغَتْـه الـدَّعْوَةُ بَغْتَـــةً وعَلى غَفلَـــةٍ مِنْـــهُ}... ثم قـــالَ -أي الشـــيخُ الصـــومالي-: إنَّ دَمَ الحَـــربيِّ إنَّمـــا يَحـــرُمُ بِالتَّأمِين، لا بِـــاغتِراره وغَفلَتِه، وهـــو قَـــولُ العُلَمـــاءِ قاطِبـــةً، فاللَّهُ المُستَعانُ فَقَـدِ اُبتُلِينـا في هـذا العَصـر بِمَن يُلجِئُك إلى تَقرير البَدِيهيَّاتِ وشَرح الضَّروريَّاتِ! [قالَ الشَّيخُ محمـدُ بنُ شمس الدين في (مَن كَفَّرَ الأشعَريَّةَ؟): ولِكَونِنـا في زَمـــانٍ نَحتـــاجُ فيـــه إلى بَيَـــانِ مـــا يَـــراه العُقَلاءُ مِنَ البَدَهِيَّاتِ.... انتهى. وقالَ الشـيخُ عبدُاللـه الخليفي في (تَقـويمُ المُعاصِـرين): النَّاسُ اليَـوْمَ يُنـازعون حـتى في البَدِيهيَّاتِ... ثم قالَ -أي الشَّيخُ الخليفي-: يَحتـاجُ المَـرْءُ في هـذا الزَّمـانِ إلى إنفـاق وَقْتٍ طَويـل في تَوضِـيح الواضِـحاتِ، وذلـك أنَّ البَلادةَ قَـدِ اِسـتَولَتْ على عُقـولِ الكَثِـيرين. انتهى. وقـالَ الشَّـيخُ حسـام الحفنـاوي في مَقالةٍ له على هـذا الرابط: فَـإنَّ تَوضِـيحَ الواضِـحاتِ مِن أَعْضَـــلِ المُعْضِـــلاتِ، وتَـــبيِينَ المُسَـــلَّماتِ مِن أَشْـــكَلِ المُشْـــكِلاتِ، وَكَمْ مِنَ الواضِـــحاتِ تَمَسُّ الحاجـــةُ إلى تَوضِيحِها عنـد فُشُـوِّ الجَهـلِ! وَكَمْ مِنَ المُسَـلَّماتِ يَلْـزَمُ أهلَ الحَقِّ تَبيِينُها إذا رُفِـعَ العِلْمُ!. انتهى. وقـالَ الشَّـيخُ محمـــد تقي الـــدين الهلالي في مَقالـــةٍ لـــه على هـــذا الرابط: وتَوضِـيحَ الواضِـحاتِ مِنَ الفاضِـحاتِ!. انتهى]. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ أبو سلمان الصومالي أيضًا في (اِسـتِيفاءُ الأقـوالِ في المَـأخوذِ مِن أهـلِ الحَـربِ تَلَصُّصًـا، مِنَ الأنفُسِ والأمـوالِ): فالمُخادَعـةُ بِالأفعـالِ

والأقوال، ثم القَتلُ أو الاستِيلاءُ على الأمـوالِ، لا يُعتَبَـرُ غَـدْرًا، إذا لم تَكُنْ [أي الأفعـالُ والأقـوالُ] صَـريحةً في التَّأْمِين؛ فَـإنَّ اِبنَ مَسْـلَمَةَ ومَن معـه رَضِـيَ اللـهُ عنهم خَدَعوه [أيْ خَدَعوا كَعْبَ بْنَ الأَشْرَفِ] فَأَظهَروا لـه غَيْـرَ ما أَخْفَوْه فتَـوَهَّمَ الأمـانَ بِتَأنِيسِـهم واستِقراضِـهم [أيْ بِمُلاطَفَتِهم لـه، ومُطـالَبَتِهم إيَّاه بِإقراضِـهم] ولم يَـرَ النَّبِيُّ صـلى اللـه عليـه وسـلم ذلـك [أيْ قَتـلَ كَعْبِ بْن الأَشْـرَفِ بَعْـدَ إيهامِـه بالأمـانِ] غَـدْرًا بَـلْ أقَـرَّه وأثنَى عليهم؛ والْبُخَاريُّ في كِتـابِ (الجِهـادِ) بـابِ (الكَـذِبِ في الحَـربِ) عَـدَّ مـا فُعِـلَ بالأَشْـرَفِ كَـذِبًا وخِـداعًا لا تَأمِينًـا وغَـدْرًا؛ ويَقـولُ الحافِـظُ اِبْنُ حَجَـر [في (فَتْحُ البـاري)] {وَلَمْ يَقَـعْ لِأحَـدٍ مِمَّنْ تَوَجَّهَ إلَيْـهِ تَـأْمِينٌ لَـهُ بِالتَّصْـريح، وَإنَّمَـا أَوْهَمُـوهُ ذَلِـكَ وَآنَسُـوهُ حَتَّى تَمَكَّنُـوا مِنْ قَتْلِـهِ}؛ وقالَ الحافِـظُ بـدرُ الـدين العيـني [في (عمـدة القـاري شـرح صـحيح البخـاري)] {فَـإنْ قُلْتَ (أَمَّنَـهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْـلَمَةَ)، قُلْتُ (لَمْ يُصَـرِّحْ لَـهُ بِأَمَـان فِـي كَلَامِـهِ، وَإنَّمَـا كَلَّمَـــهُ فِـي أَمْـــر الْبَيْـــع وَالشِّـــرَاءِ، وَالشِّـــكَايَةِ إلَيْـــهِ، وَالاسْتِينَاس بِـهِ، حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِـهِ)}... ثم قـالَ -أي الشيخُ الصومالي-: وعَبْدُاللَّهِ بْنُ أُنَيْس الجُهَنِيُّ قَتَلَ خَالِدَ بْنَ سُـفْيَانَ الْهُـذَلِيِّ بَعْـدَ مـا اِستَضـافَه [أيْ بَعْـدَ مـا اِستَضــافَه خالِــدٌ] ورَحَّبَ بــه... ثم قــالَ -أي الشـــيخُ الصــومالي-: طَلَبَ اِبْنُ أُنَيْس رَضِــيَ اللــهُ عنــه المَبِيتَ والضِّيَافةَ فَـرَحَّبَ [أي الْهُـذَلِيُّ] بـه، وقَصـدُه [أيْ وكـانَ قَصدُ اِبْنِ أُنَيْسٍ] اِغتِيالُه. انتهى باختصـار] وأمثالِهـا، أمَّا أنْ يُضَـــيِّعَ كَثِـــيرٌ مِنَ الـــدُّعاةِ أَعْمـــارَهم في جُيـــوشِ الطَّواغِيتِ مُوَالِينَ مُـدَاهِنِينَ يَحْيَـوْنَ وَيَمُوتُـونَ وَهُمْ في خِدْمَتِهم وخِدْمةِ مُؤَسَّساتِهم الخَبِيثةِ بِحُجَّةِ الدَّعوةِ ونَصْـرِ الـدِّينِ فيُلَبِّسُـوا على النـاسِ دِينَهم ويَقْبُـروا التَّوحِيـدَ، فهذه السُّبُلُ في المَغرِبِ ودَعوةُ النَّبِيِّ صلى اللـه عليـه وسلم وهَدْيُه عنها في أقاصِي المَشـرِقِ، فَمِلَّةُ إبـراهِيمَ

هي طَرِيقُ الدَّعوةِ الصَّحِيحةِ، التي فيها مُفارَقةُ الأحبابِ وقَطـعِ الرِّقـابِ، أمَّا غَيرُهـا مِنَ الطَّرائـقِ والمَنـاهِجِ المُلتَوِيَـةِ والسُّـبُلِ المُعْوَجَّةِ المُنحَرِفـةِ تلـك الـتي يُرِيـدُ أصحابُها إقامـةَ دِينِ اللـهِ دُونَ أنْ يَسـتَغنوا عنِ المَراكِـزِ والمَناصَـبِ ودُونَ أنْ يُغضِـبوا أصـحابَ السُّـلطانِ أو يَفقِدوا القُصورَ والنِّسوانَ والسَّعادةَ في الأهلِ والبُيوتِ والأوطـانِ، فَلَيسَـتْ مِن مِلَّةِ إبـراهِيمَ في شَـيءٍ وإنِ اِدَّعَى أصـحابُ هـذه الـدَّعواتِ أنَّهم على مَنهَجِ السَّـلَفِ ودَعوةِ الأنبِياءِ والمُرسَلِين، فَواللهِ لقد رَأَيْناهُمْ، رَأَيْناهُمْ كَيـفَ يَبَشُّـون في وُجـوهِ المُنـافِقِين والظـالِمِين بَـلْ والكُفَّارِ المُحـادِّين للـهِ ورَسـولِه، لا لِـدَعَوتِهم ورَجـاءِ هِـدايَتِهِم، بَـلْ يُجالِسـونهم مُداهَنـةً وإقـرارًا لِبـاطِلِهم ويُصَـفِّقون لهم ويَقُومـون لهم إكرامًـا يُبَجِّلـونهم ويَدعُونهم بِألْقابِهم، نَحْوِ صاحِبِ الجَلَالةِ والمَلِكِ المُعَظَّمِ والرَّئِيسِ المُؤْمِنِ وصاحِبِ السُّمُوِّ، بَلْ وإمام المُسـلِمِين وأمِـير المُـؤْمِنِين [قـالَ الشـيخُ المقدسـي هُنَـا مُعَلِّقًـا: فائدةٌ مُهِمَّةٌ [هُنَا] تَفضَحُ عُلَماءَ الحُكومـاتِ، اِعْلَمْ عافانـا اللهُ وإيَّاكَ مِن تَلبِيس المُلَبِّسِـين أنَّ مـا يَفعَلُـه كَثِـيرٌ مِنَ الجُهَّالِ -وإنْ لُقِّبوا بالمَشـايِخ وتَمَسَّـحوا بالسَّـلَفِيَّةِ- مِن تَلقِيبِ كَثِـير مِن طُغـاةِ هـذا الزَّمـانِ بِلَقَبِ (أمِـير المُؤمِنِين) أو (إمام المُسلِمِين)، إنَّما يَنهَجون بـذلك نَهْجَ الخَوارج والمُعتَزلةِ في عَدَم اِعتِبار شَـرطِ القُرَشِـيَّةِ في الإمـام، و[قَـدْ] نَقَـلَ الحافِـظُ اِبْنُ حَجَـر في الفَتح عَن الْقَاضِي عِيَاض قَولَه {اشْتِرَاطُ كَوْنِ الإمَام [المـرادُ هنـا الإمَامَـةُ العُظمَى (أي الخِلَافـةُ)، وليس إمامـةَ العِلْم] قُرَشِـيًّا مَـذْهَبُ الْعُلَمَـاءِ كَافَّةً، وَقَـدْ عَـدُّوهَا فِي مَسَـائِلِ الإِجْمَـاع، وَلَمْ يُنْقَـلْ عَنْ أَحَـدٍ مِنَ السَّـلَفِ فِيهَـا خِلَافٌ وَكَذَلِكَ مَنْ بَعْدَهُمْ فِي جَمِيع الأَمْصَار، وَلَا اعْتِـدَادَ بِقَـوْلِ الْخَـوَارِج وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَـةِ}؛ [وَقَـدْ] رَأَيْتُ الشيخَ عبدَاللهِ أبا بُطَين [مُفْتِي الدِّيَارِ النَّجْدِيَّةِ، الْمُتَوَفَّى

عامَ 1282هـ]، وهو مِن عُلَماءِ الدَّعوةِ النَّجدِيَّةِ، يَـرُدُّ على بَعض المُعارضِـين المُنكِـرين لِتَلقِيبِ الشـيخ محمـد بن عبدالوهاب [ت1206هـ] وعبدِالعزيز بن محمد بن سـعود [ثانِي حُكَّامِ الدَّولـةِ السُّعودِيَّةِ الأُولَى، وقـد تُـوُفِّيَ عـامَ 1218هـ] بِلَقَبِ (الإمام) وَهُمَا غَيرُ قُرَشِيَّين، يَقـولُ [أي الشيخُ أبو بُطَين] {ومحمد بْنُ عبدالوهاب رَحِمَه اللهُ مـا اِدَّعَى إمامَةَ الأُمَّةِ، وإنَّما هو عالِمٌ دَعَا إلى الهُدَى وقاتَـلَ عليه، ولم يُلَقَّبْ في حَيَاتِه بِـ (الإمام) ولا عبـدُالعزيز بنُ محمد بن سـعود، مـا كـانَ أَحَـدٌ في حَيَاتِـه منهم يُسَـمَّى (إمامًـا)، وإنمـا حَـدَثَ تَسـمِيَةُ مَن تَـوَلَّى (إمامًـا) بَعْـدَ مَوْتِهما}، فَانظُرْ إلى هذا العالِمِ الرَّبَّانِيِّ كَيفَ يَتَبَـرَّأُ مِن ذلك ويُنكِرُه رَغْمَ أنَّ المَـذكورَين كانـا مِن دُعـاةِ الهُـدَى، ولا يُكـابِرُ مُكـابَرةَ كَثِـير مِن مَشـايخِ الحُكومـاتِ في هـذا الزَّمانِ الذِين يُصِرُّون على تَسمِيَةِ طَواغِيتِهم بـ (الإمام) و(أمِير المُؤمِنِين)، فَبُشْـراهم بِـأَنَّهم على نَهْجِ الخَـوارِجِ سائرون، ذلك الوَصْفُ الذي طالَما رَمَوْا بـه طَلَبـةَ العِلْم ودُعاةَ الحَقِّ الـذِين يُنابِـذون طَـواغِيتَهم، وهـذا بالنِّسـبةِ لِشَـرطِ القُرَشِـيَّةِ، فَكَيـفَ إذا اِنضَـمَ إلى ذلـك اِنعِـدامُ العَدالةِ والعِلْمِ والحِكمةِ وغير ذلك مِن شُروطِ الإمامةِ؟!، وكَيفَ إذا عُدِمَ الإسلامُ والإيمانُ؟!. انتهى باختصار] مـع أنَّهم حَربٌ على الإسلامِ والمُسـلِمِين!، نَعَمْ، واللـهِ لقـد رَأيْناهُمْ يَغْدُو أحَدُهم ويَرُوحُ [أيْ يَذهَبُ أحَـدُهم ويَجِيءُ]، يَبِيعُ دِينَه بأقَلِّ مِن جَناحِ بَعوضـةٍ، يُمْسِـي مُؤمِنًـا يَـدْرُسُ التَّوحِيـدَ ورُبَّمـا دَرَّسَـه، ويُصْـبِحُ يُقسِـمُ على اِحتِـرامِ الدُّسـتُورِ بِقَوانِينِـه الكُفرِيَّةِ ويَشـهَدُ بِنَزاهـةِ القـانونِ الوَضعِيِّ وَيُكَثِّرُ سَوادَ الظالِمِين ويَلقـاهُمْ بِوَجـهٍ مُنبَسِـطٍ ولِسانٍ عَذْبٍ، مع أنَّهم [أيْ دُعـاةَ زمَانِنـا] يَمُـرُّون بِآيَـاتِ اللـهِ اللَّيـلَ والنَّهـارَ تَنْهـاهُمْ عنِ الرُّكـونِ لِلظالِمِين أو طاعَتِهم والرِّضَـا عن بَعضِ بـاطِلِهم، فَهُمْ يَقـرَأون هـذه الآيَـاتِ كَقَولِـه تَعـالَى {وَلَا تَرْكَنُـوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُـوا

فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}، وقَولِه عَزَّ وجَلَّ {وَقَـدْ نَـزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَـا وَيُسْـتَهْزَأُ بِهَـا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُـوا فِي حَـدِيثٍ غَيْـرِهِ، إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ...} الآيَةَ، يَقُولُ الشيخُ سليمانُ بنُ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب [في رسالَتِه (فُتْيَا في حُكمِ السفرِ إلى بِلادِ الشركِ)] في مَعنَى قَولِه تَبَـارَكَ وتَعـالَى (إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ) {الآيَةُ على ظاهِرِها، وهو أنَّ الرَّجُلَ إذا سَمِعَ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْـتَهْزَأُ بِهَـا فجَلَسَ عنـد الكـافِرين المُسـتَهزِئين مِن غَـير إكـراهٍ ولا إنكـار ولا قِيَـام عنهم حتى يَخوضوا في حَدِيثٍ غَيرِه، فهو كافِرٌ مِثْلَهُمْ وإنْ لم يَفعَلْ فِعْلَهم} [قالَ الشيخُ أبـو سـلمان الصـومالي في (الفتاوي الشرعية عن الأسئلة الجيبوتية): الجُلوسُ في مَجـالِسِ الاسـتِهزاءِ والكُفـر بآيَـاتِ اللـهِ كُفـرٌ. انتهى]، ويَزعُمـون [أَيْ دُعـاةُ زمَانِنـا] أنَّهم على مَنهَجِ السَّـلَفِ، والسَّلَفُ كانوا يَفِرُّون مِن أبوابِ السَّـلاطِينِ ومَناصِـبِهم في عَهْـدِ أربـابِ الشَّـرِيعةِ والهُـدَى لا في عُهـودِ الجَـوْرِ والظُّلُماتِ!، وَوَاللـهِ مـا وُضِـعَ السَّـيْفُ على رِقـابِهم ولا عُلِّقـوا مِن أرجُلِهم ومـا أُجْبِـرُوا على ذلـك، بَـلْ فَعَلـوه مُخْتـارِين ومُنِحـوا عليـه الأمـوالَ الطائلَـةَ والحَصـاناتِ الدِّبْلُوماسِـيَّةَ، فَنَعـوذُ بِاللـهِ مِن هَـوَى النُّفـوسِ وطَمْسِ البَصائرِ، وَلَيتَهُمْ أعلَنوهـا وقـالوا {فَعلَناهـا حِرصًـا على الدُّنْيَا}، بَـلْ يَقولـون {مَصلَحةُ الـدَّعوةِ ونَصْـرُ الـدِّينِ}، فَعَلَى مَن تَضحَكون يَا مَسـاكِين؟!، أعَلَينـا نحن الضُّـعَفاءِ (فإنَّنا وأمثالَنا لا نَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ولا نَفعًـا)، أمْ على جَبَّارِ السَّمَواتِ والأرْضِين (الذي لا تَخفَى عليـه خافِيَـةٌ، ويَعلَمُ سِرَّكُمْ ونَجواكُمْ)؟!، ولقد سَمِعناهم يَرمُون مَن خالَفَهم أو أنكَرَ عليهم ذلك، بِضَـحالةِ الفِكْـرِ وقِلَّةِ الخِـبرةِ وأنَّهم ليس عنـدهم حِكمـةٌ في الـدَّعوةِ ولَا صَـبْرٌ في اِقتِطـافِ الثَّمَــرِ أو بَصِــيرةٌ في الواقِــعِ والسُّــنَنِ الكَونِيَّةِ وأنَّهم يَنقُصُهم عِلْمٌ بِالسِّيَاسةِ وعندهم قُصورٌ في التَّصَــوُّراتِ،

وما دَرَى هؤلاء المَساكِينُ أنَّهم لا يَرمُون بذلك أشخاصًا مُحَدَّدِين، وإنَّما يَرمُون بذلك دِينَ جَمِيعِ المُرْسَلِين ومِلَّةَ إبراهِيمَ التي مِن أَهَمِّ مُهِمَّاتِها إبداءُ البَراءةِ مِن أعداءِ اللهِ والكُفرِ بهم وبِطَرائقِهم المُعْوَجَّةِ وإظهارُ العَداوةِ والبَغضاءِ لِمَناهِجِهم الكافِرةِ، وما دَرَوْا أنَّ كَلامَهم ذلك يَقتَضِي أنَّ إبراهِيمَ والذِين معه لم يَكُنْ عندهم حِكمةٌ بالدَّعوةِ ولا دِرايَةٌ بالواقِعِ وأنَّهم كانوا مُتَطَرِّفِين مُتَسَرِّعِين، مع أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قد زَكَّاهم وأَمَرَنا بالتَّأَسِّي بهم فَقالَ {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}، وقالَ سُبْحانَهُ {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}، ونَزَّهَ سُبْحانَهُ إبراهِيمَ مِنَ السَّفَهِ فَوَصَفَه بالرُّشدِ فَقالَ {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ}، [وَ]بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ مِلَّةَ إبراهِيمَ لا يَرغَبُ عنها إلَّا السَّفِيهُ [فَقالَ تَعالَى {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ}]، وأنَّى لِلسَّفِيهِ حِكْمةُ الدَّعوةِ ووُضوحُ التَّصَوُّراتِ وصِحَّةُ المَنهَجِ واستِقامةُ الطَّرِيقِ المَزعومةُ؟!... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسي-: واعْلَمْ ثَبَّتنا اللهُ وإيَّاكَ على صِراطِه المُستَقِيم أنَّ البَراءةَ والعَداوةَ التي تَقتَضِي مِلَّةُ إبراهِيمَ إعلانَها وإبداءَها لِأهلِ الكُفر وَمَعبوداتِهم، تُكَلِّفُ الكَثِيرَ الكَثِيرَ، فَلا يَظُنُّ ظانٌّ أنَّ هذه الطَّرِيقَ مَفروشةٌ بالوَرْدِ والرَّيَاحِين أو مَحفوفةٌ بالراحةِ والدَّعةِ، بَلْ هي واللهِ مَحفوفةٌ بالمَكارِهِ والابتِلاءاتِ ولَكِنَّ خِتَامَها مِسْكٌ وَرَوحٌ وَرَيْحَانٌ ورَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانَ، ونحن لا نَتَمَنَّى البَلاءَ لأنْفُسِنا ولا لِلمُسلِمِين، ولَكِنَّ البَلاءَ هو سُنَّةُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ في هذه الطَّرِيق، لِيَمِيزَ به الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، فهي الطَّرِيقُ التي لا تُرْضِي أصحابَ الهَوَى و[أصحابَ] السُّلطانِ لِأنَّها مُصادَمةٌ صَرِيحةٌ لِواقِعِهم؛ أمَّا غَيرُ هذه الطَّرِيقِ، فإنَّك تَجِدُ أصحابَها في الغالِبِ مُترَفِين ولِلدُّنْيَا

راكِنِين، لا يَبدو عليهم أَثَــرُ البَلاءِ، لِأن المَـرءَ إنَّمـا يُبتَلَى على قَـدْر دِينِـه؛ فَأَشَـدُّ النـاس بلاءً الأنبيـاءُ ثم الأمْثَـلُ فالأمْثَلُ، وأَتْباعُ مِلَّةِ إبراهِيمَ مِن أشَـدِّ النـاس بَلاءً لأنَّهم يَتَّبِعـون مَنهَجَ الأنبيـاءِ في الـدَّعوةِ إلى اللـهِ، كمـا قـالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلِ لِلنَّبِيِّ صلى اللـه عليـه وسـلم {لَمْ يَـأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَـا جِئْتَ بِـهِ إِلَّا عُـودِيَ}؛ فـإنْ رَأَيْتَ في زَمانِنا مَن يَزعُمُ أنَّه يَدعو لِمِثلِ ما كانَ يَـدعو إليـه النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وبِمِثلِ طَرِيقَتِـه، ويَـدَّعِي أنَّه على مَنهَجِه، ولا يُعادَى مِن أهْـلِ الباطِـلِ و[أهْـلِ] السُّـلْطانِ، بَلْ هو مُطمَئنٌّ مُرْتَاحٌ بين ظَهْرَانَيْهِمْ، فـانظُرْ في حالِـه، إمَّا أنْ يَكونَ ضالًّا عن الطَّريق (لم يَأْتِ بِمِثلِ ما جـاءَ بـه النَّبِيُّ صـلى اللـه عليـه وسـلم، واتَّخَـذَ سُـبُلًا مُعْوَجَّةً) أو يَكـونَ كاذبًا في دَعـواه يَتَزَيَّا بِمـا ليس هـو أهلًا أنْ يَتَزَيَّا به، إما لِهَوًى مُطاع وإعجابِ كُلِّ ذِي رَأْي بِرَأْيه، أو لِـدُنْيَا يُصِيبُها (كأنْ يَكونَ جاسوسًـا وعَيْنًـا لِأصـحابِ السُّـلْطانِ على أهلِ الدِّين)؛ فارْجِعْ إلى نَفْسِكَ واعْرِضْ عليها هــذا الطَّريــقَ، فإمَّا أنْ تَكُـونَ مِن قَـوم يَصـبِرون على ذلــك فَخُذْهَا بِحَقِّهَا واسـأَلِ اللـهَ عَـزَّ وجَـلَّ أنْ يُثَبِّتَـكَ على مـا يَعقُبُهـا مِن بَلاءٍ، أو إنَّكَ مِن قَـوم يَخـافون مِن أنْفُسِـهم خِيفةً ولا تَرَى مِن نَفْسِـكَ القُـدرةَ على القِيـام والصَّـدْع بهذه المِلَّةِ فَذَرْ عنـك التَّزَيِّيَ بِـزيِّ الـدُّعاةِ وأَغْلِـقْ عليـك بَيْتَكَ وأَقْبِلْ على خاصَّةِ أمْـرِكَ ودَعْ عنـك أمْـرَ العامَّةِ، أو اِعْتَــزِلْ فِي شِــعْبِ [وَهُــوَ مَــا انْفَــرجَ بَيْن جَبَلَيْن] مِنَ الشِّعَابِ بِغُنَيْمَاتٍ لك، فإنَّه واللهِ أَعْذَرُ لك عند اللهِ، نَعَمْ، إنَّ ذلك أَعْـذَرُ لـك عنـد اللـهِ مِن أنْ تَضحَكَ على نَفْسِـكَ وعلى الناس -إذْ لا تَقْوَى [أَيْ لا تَقْدِرُ] على القِيام بِمِلَّةِ إبراهِيمَ- فَتَتَصَـدَّرُ لِلـدَّعوةِ بطُـرُق مُعْوَجَّةٍ وتَهتَـدِي بِغَـير هَـدْي النَّبِيِّ صـلى اللـه عليـه وسـلم مُجـامِلًا مُـداهِنًا لِلطَّواغيتِ كاتِمًا غَيرَ مُظهِـر لِلعَـداوةِ لهم ولا لِبـاطِلِهم، فَواللهِ ثم واللهِ، إنَّ الذي يَعتَزِلُ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّــعَابِ

بِغُنَيْمَاتٍ لَهُوَ خَيْرٌ وأهْدَى سَبِيلًا مِنْكَ سَاعَتَئِذٍ... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسي-: ولقد رَأَيْنَاهُمْ [أَيْ دُعاةَ زمَانِنا] كَثِيرًا يَسْخَرون مِمَّن تَبَيَّنَتْ لهم انحِرافاتُهم وسُبُلُهم المُعْوَجَّةُ فأعرَضوا عنهم [أَيْ عن دُعاةِ زَمَانِنا] وعن دَعَواتِهم تلك التي على غَير مِنهاج النُّبُوَّةِ، رَأَيْنَاهُمْ [أَيْ دُعاةَ زمَانِنا] يَسْخَرون منهم لِاعتِزالِهم، ويَلْمِزونهم بالقُعودِ والرُّكونِ إلى الدُّنْيَا والتَّقصِير في الدَّعوةِ إلى اللهِ، وإذا كانَ الأمرُ كذلك، فَأَيَّةُ دَعوةٍ هذه التي قَصَّرَ فيها هؤلاء [الذِين اِعْتَزَلُوا]؟، دَعوَتُكم هذه التي تَلِجُون بها الجَيْشَ والشُّرطَةَ ومَجالِسَ الأُمَّةِ والبَرْلَماناتِ الشِّركِيَّةَ وغيرَ ذلك مِنَ الوَظائفِ [قالَ الشيخُ الألباني في فتوى صَوتِيَّةٍ مُفَرَّغةٍ لـه على هـذا الرابط: الشَّبَابُ اليَومَ في كُلِّ بِلَادِ الإسلامِ إلَّا ما نَدَرَ إعتادُوا أنْ يَعِيشوا عَبِيدًا لِلحُكَّام... ثم قالَ -أي الشيخُ الألباني-: أنْ يُصبِحَ المُسلِمُ مُوَظَّفًا في الدَّولةِ، فمَعْنَى ذلك أنْ يَصِيرَ عَبْدًا لِلدَّولةِ... ثم قالَ -أي الشيخُ الألباني-: نَنْصَحُ الشَّبَابَ المُسلِمَ أنْ يَبْتَعِدَ عن وَظائفِ الدَّولةِ. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ أبو محمد المقدسي في (الرِّسالةُ الثَّلاثِينِيَّةُ): (جُهَيْمانُ) رَحِمَه اللهُ ومَن كانوا معه، فَقَدْ خالَطْتُ جَماعَتَه مُدَّةً، وقَرَأْتُ كُتُبَهم كُلَّها، وعِشْتُ معهم وعَرَفْتُهم عن قُربٍ، فَـ (جُهَيْمانُ) رَحِمَه اللهُ لم يَكُنْ يُكَفِّرْ حُكَّامَ اليَوم لِقِلَّةِ بَصِيرَتِه في واقِع قَوانِينِهم وكُفرِيَّاتِهم، وكذلك كانَ أَمْرُ الحُكَّام السُّعودِيِّين عنده، وقد صَرَّحَ بِذلك في كِتاباتِه، ولَكِنَّه كانَ بِالفِعْلِ سَخْطَةً عليهم وغُصَّةً في حُلُوقِهم وأشَدَّ عليهم مِن كَثِير مِمَّن يُكَفِّرونهم، فَكانَ يَطْعَنُ في بَيْعَتِهم ويُبطِلُها، ولا يَسكُتُ عن شَيءٍ مِن مُنكَراتِهم التي يَعرفُها، حتى خَرَجَ في آخِرِ أمْرِه عليهم وقاتَلَهم هو ومَن كانوا معه في عام 1400هـ، والذي أُرِيدُ قَولَه هنا، أنَّ الرَّجُلَ مع أنَّه لم يَكُنْ يُكَفِّرُهم، فَهو لم يَكُنْ يُوالِيهم أو يُحِبُّهم، بَلْ كانَ

يُعـــادِيهم ويُبغِضُـــهم ويُنـــازِعُهم ويَطعَنُ في بَيْعَتِهِم، ويَعتَـزِلُ هـو وجَماعَتُـه وظـائفَهم الحُكومِيَّةَ كُلَّهـا، كَمـا اِعتَزَلـوا مَدارسَـهم وجامِعـاتِهم، ثم قـاتَلوهم في آخِـرِ الأَمْـر. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ محمـد بن سـعيد الأندلسـي في (الكَواشِـفُ الجَلِيَّةُ): فالنَّاسُ اليَـوْمَ قـد دَخَلوا في دِين الدِّيمُقْراطِيَّةِ عن بَكرةِ أبيهم إلَّا مَن رَحِمَ اللـهُ، وأظهَـروا المُوافَقـةَ والاتِّبـاعَ لِأوضـاعِه والانقِيـادَ لِقَوانينِـه وأحكامِــه، والتَحَقــوا بِمَدارسِــه وجامِعاتِــه، وتَوَظَّفــوا في مُؤَسَّســاتِه وقِطاعاتِه، وانتَسَــبوا إلى الوَطَن فَلَهُمْ حُقوقُ المُواطَنـةِ وعليهم واجِباتُهـا ومنهـا الـدِّفاعُ عن الـوَطَن والإعـدادُ لِـذلك بِالخِدمـةِ الإلزامِيَّةِ والمُشــارَكةُ في العَمَلِيَّةِ السِّيَاسِــيَّةِ وإقامــةُ أركــانِ الطَّاغوتِ في الأرض ويُسَــــمُّونها (بِنــــاءَ الـــــوَطَن) فالمُواطَنـةُ هي اِنتِسـابٌ إلى الجاهِلِيَّة ودُخـولٌ في دِين الدِّيمُقْراطِيَّةِ. انتهى. وقـالَ الشَّـيخُ جُهَيْمـانُ في (رَفْـعُ الالتِبــاس عن مِلَّةِ مَن جَعَلَــه اللــهُ إمامًــا لِلنَّاس): إنَّ الطائفةَ الناجِيَةَ التي ذَكَرَها النَّبِيُّ صلى الله عليـه وآلـه وسـلم، مِن صِـفاتِها أنَّهـا ظـاهِرةٌ على الحَـقِّ ولَيسَـتْ مُختَفِيَةً مُستَتِرةً، والرَّسولُ صلى الله عليه وآلـه وسـلم كـانَ مُظهِـرًا لِدَعوَتِـه مُجـاهِرًا بِدِينِـه، ومُصَـرِّحًا بِمُعـاداةِ الكُفَّار والتَّبَــرَّؤ منهم عَلَنًــا، وهي مِلَّةُ إبــراهِيمَ عليــه السَــلامُ، ولِــذلك أُوذِيَ وأصــحابُه وأُخرِجــوا، أمَّا أنتم فَتُقْبِلون مُوَظَّفِين ودُعاةً ومُدَرِّسِـين وجُنـودًا وخُبَـراءَ... إلى آخِره؛ فَلَوْ أنَّكم صَرَّحْتُمْ بِالعَداوةِ لهم، ونَهَجْتُمْ مَبْدَأَ البَراءةِ منهم عَلَنًـا، لَنَابَـذُوكم وآذوكم أشَـدَّ الإيـذاءِ، ولم يُقَلِّدوكم المَناصِــبَ والمَراكِـزَ، بَـلْ لَأخرَجُـوكم وقَتَلـوا خِيَارَكم كَما حَصَـلَ لِلنَّبِيِّ صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم وأصحابِه، فَمَبْدَأُ [أيْ بِدَايَـةُ] دَعـوَتِهم كـانَ ذلـك. انتهى. وقـالَتِ اللَّجنـةُ الشَّـرعِيَّةُ في موقـع الشـيخ أبي محمـد المقدسي (مِنبَـرُ التَّوحِيـدِ والجِهـادِ) في كِتـابِ (إجابـاتُ

أسئلةِ مُنْتَدَى "المِنبَر") رَدًّا على سُؤالِ (ما حُكْمُ العَمَلِ كَمُدَرِّس في مَدارس حُكومةِ الطَّاغوتِ في العِراق وحُكْمُ الانتِسابِ إليها؟): إنَّ حُكْمَ العَمَلِ في الوَظائفِ الحُكومِيَّةِ الطَّاغُوتِيَّةِ، سَوَاءٌ أكَانَ ذلك في العِراق أو في غَيرِها مِن بِلادِ المُسلِمِين التي عَلَتْ فيها أحكامُ الكُفرِ، لا يَخرُجُ عن إحْدَى ثَلاثةِ أحكام، إمَّا أنْ يَكونَ كُفرًا، وإمَّا أنْ يَكونَ مُحَرَّمًا، وإمَّا أنْ يَكونَ مَكروهًا، كُلُّ حُكمٍ بِحَسَبِ تَحقِيق مَناطِه؛ فَإذا كانَتِ الوَظِيفةُ تَتَضَمَّنُ تَوَلِّيًا لِتلك الحُكوماتِ، ومُناصَرةً ومُظاهَرةً لَهم ولِتَشريعاتِهم وقَوانِينِهم، سَوَاءٌ كانَ ذلك بِالدَّعوةِ إليها، أو بِالحُكمِ بها، أو بِالتَّحاكُمِ إليها عن رضًا أو قُبولٍ بها، فَلا شَكَّ أنَّ العَمَلَ في مِثْلِ هذه الوَظائفِ هو كُفرٌ بَوَاحٌ وشِركٌ صُراحٌ ورِدَّةٌ سافِرةٌ عن دِينِ اللهِ سُبحانَه وتَعالَى، ومَن عَمِلَ في مِثْلِ هذه الوَظائفِ فَقَدْ نَقَضَ أصلَ اِجتِنابِ الطَّاغوتِ الذي لا يَصِحُ إسلامُ أحَدٍ إلَّا بِتَحقِيقِه؛ وإذا كانَتِ الوَظِيفةُ تَتَضَمَّنُ إعانةَ تلك الحُكوماتِ الطَّاغوتِيَّةِ على ظُلم النَّاس وأكْلِ أموالِهم بِالباطِلِ (كَمِثْلِ جُبَاةِ المَكْس والضَّرائبِ وما يُسَمَّى بِـ "الجَمَارك" في بَعض بِلادِ المُسلِمِين)، أو إعانَتَها على أكْلِ الرِّبَا مِن خِلالِ ما تُقَدِّمُه مِن قُروض ربَوِيَّةٍ لِلتُّجار والمُزارِعِين وغَيرِهم بَعْدَ التَّضيِيق عليهم بحيث يُصبِحون مُجبَرين على ذلك فَيَكونُ المُوَظَّفُ كاتِبًا لِتلك المُعامَلاتِ الرِّبَوِيَّةِ أو شاهِدًا عليها، فَإنَّ العَمَلَ في مِثْلِ هذه الوَظائفِ حَرامٌ قَطْعًا وكَبِيرةٌ مِنَ الكَبائر، ومَن عَمِلَ في مِثْلِ هذه الوَظائفِ فَإنَّه لم يُحَقِّق الاجتِنابَ الواجِبَ لِلطَّاغوتِ؛ وأمَّا إذا كانَتِ الوَظِيفةُ لا تَتَضَمَّنُ أحَدَ مَناطَي الحُكمَين السابِقَين أو كِلَيْهِمَا، كَأئمَّةِ الأوقافِ وخُطَبائهم ومُؤَذِّنِيهم، وكالمُدَرِّسِين أو المُوَظَّفِين في وزاراتِ التَّربِيَةِ والتَّعلِيم، ومُوَظَّفِي وزاراتِ الصِّحَّةِ ومُوَظَّفِي البَلَدِيَّاتِ، وغَيرِها مِنَ الوَظائفِ التي يَكونُ أقَلُّ أحوالِ

العامِل فِيها أنَّه مُكَثِّرٌ لِسَوادِ تلك الحُكوماتِ وذَلِيلٌ صاغِرٌ تحت وَطْأَتِها، فَمِثْلِ هذه الوَظائفِ -إنْ لم يَتَخَلَّلْها شَيءٌ مِنَ المَعاصِـي- تَنـدَرِجُ تحت الحُكم الثَّالِثِ مِنَ الأحكـام التي ذَكَرْناها آنِفًا وهو الكَراهةُ، والـتي لا يَكـونُ العامِـلُ فيهـا قـد حَقَّقَ الاجتِنـابَ المُسـتَحَبَّ لِلطَّاغوتِ؛ قـالَ شَـيخُنا أبـو محمـد المقدسـي حَفِظَـه اللـهُ في رسالَتِه (الإشراقة في سؤالات سواقة) {فالذي قُلْنـاه ونَقولُـه، أنَّنا نُحِبُّ لِلْأخ المُوَحِّدِ أنْ يَكونَ بَعِيدًا عن هذه الحُكومـاتِ مِن بابِ كَمالِ إجتِنابِه لَها، ولا شَكَّ أنَّ مِنهـاجَ حَيَـاةِ كُـلِّ مُوَحِّدٍ هـو قَولُـه تَعـالَى (أَنِ اعْبُـدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُـوا الطَّاغُوتَ)، فَـذلك مَعْنَى (لَا إلَـهَ إلَّا اللَّهُ)، لَكِنْ مِنـه [أيْ مِن هذا المِنهـاج] مـا هـو شَـرطٌ لِلإيمـانِ وتَركُـه نـاقِصٌ لِلإيمانِ، كاجتِنابِ عِبادةِ الطَّاغوتِ، واجتِنابِ التَّحاكُمِ إليه مُختَارًا، واجتِنابِ حِراسةِ تَشـريعاتِه وقَوانِينِـه الكُفريَّةِ أو القَسَم على اِحتِرامِها ونَحو ذلك، ومنـه مـا تَركُـه نـاقِصٌ لِلإيمان وليس بِناقِضٍ لِلإيمان}. انتهى باختصـار. وقـال الشـيخ أبـو محمـد المقدسـي في (حسـن الرفاقـة في أجوبـة سـؤالات سـواقة): نَكْـرَهُ لِلْمُوَحِّدِ العَمَـلَ في أيِّ وَظِيفــةٍ حُكُومِيَّةٍ، لَكِن الكَراهــةُ شَــيءٌ، والحُرمــةُ (أو الكُفرُ) شَيءٌ آخَرُ... ثم قالَ -أي الشـيخُ المقدسـي-: ... مع كَرَاهِيَّتِنَا لِأيِّ وَظِيفةٍ في هـذه الحُكومـاتِ حـتى وإنْ لم يَكُنْ فيها شَـيءٌ مِن مُنكَـر، ونُحِبُّ لِلْمُوَحِـدِّ أنْ يَكـونَ بَعِيدًا عنها مُجتَنِبًا لَها مُتَحَرِّزًا مِن قُيُودِهم. انتهى. وقالَ أحمـد حافـظ في مقالـة بعنـوان (قـانونٌ مِصـريٌّ يُـتيحُ فَصلَ المُنتَمِي "فِكريًّا" للإخوانِ مِنَ الوَظِيفةِ العُمومِيَّةِ) على مَوقِـع صَـحِيفةِ العَـرَبِ (الـتي تَصدُرُ عن مُؤسَّسـةِ العَـرَبِ العالَمِيَّةِ لِلصَّـحافةِ والنَّشـر): أكَّدَ إقـرارُ مَجلِس النُّوَّابِ المِصـريِّ مَشـروعَ قـانون يَقضِـي بِعَـزل جَمِيـع المُـوَظَّفِين المُنتَمِين لِجَماعـةِ الإخـوانِ عن العَمَـلِ في المُؤسَّسـاتِ التابِعـةِ لِلدَّولـةِ، أنَّ مَعرَكـةَ الحُكومـةِ مـع

جَماعــاتِ الإســلام السِّيَاسِــيِّ تَأخُــذُ مُنْحَنًى مُختَلِفًــا، باستِهدافِ أهَمِّ ثُغْرةٍ يَنفُذون منها لِتَـألِيبِ الشـارع ضِـدَّ السُّـلطةِ في مِصـرَ... ثم قـالَ -أيْ أحمـد حافـظ-: وَلَا يَتَطَلَّبُ إقصاءُ مُوَظَّفِي الإخوانِ مِنَ الجِهـاز الحُكُـومِيِّ -وَفْقًــا لِقــانونِ أعَــدَّه البَرْلَمــانُ- تَحقِيقــاتٍ إدارِيَّةً أو إجــراءاتٍ تَأدِيبِيَّةً، بَــلْ عَــزلًا مُباشِــرًا طالَمــا أنَّ تُهمــةَ الانتِمــاءِ لِلجَماعــةِ مُثبَتــةٌ. انتهى باختصــار. وجــاء على موقـع صـحيفة (المصـري اليـوم) تحت عنـوان (قـانونٌ جَدِيدٌ يَحْظُرُ تَحَدُّثَ مُوَظَّفِي الحُكومةِ في السِّيَاسـةِ أثنـاءَ العَمَل) في هذا الرابط: ويَحْظُـرُ القـانونُ الجَدِيـدُ إبـداءَ الآراءِ السِّيَاسِــيَّةِ لِلْمُوَظَّفِ أثنــاءَ ســاعاتِ العَمَــلِ، أو التَّرويجَ لِأخبار سِيَاسِـيَّةٍ... أضـافَ العـربى [هـو أشـرف العـربى وَزيـرُ التَّخطِيـطِ والإصـلاح الإدارِيِّ والمُتابَعـةِ] {المُوَظَّفُ العـامُّ رَجُـلٌ مُحايِـدٌ ليس لـه أيُّ اِنتِمـاءاتٍ أو اِنحِيَازاتٍ}. انتهى باختصار. وجاءَ على الموقع الرَّسْمِيِّ لِجَريدةِ الـوَطَن المِصـريَّةِ تحت عُنْـوان (فَحْصُ مُـوَظَّفِي الدَّولــةِ لِاســتِبعادِ الإخوانجِيَّةِ والمُحَرِّضِــين "عُقوبــاتٌ بِالفَصْلِ") في هذا الرابط: وحَـذَّرَتْ وزارةُ الأوقـافِ مِنَ الانضِـــمام إلى أيِّ جَماعـــةٍ إرهابِيَّةٍ أو تَبَنِّي أفكارِها، وأكَـدَّتْ أنَّه لا مَكـانَ في وزارةِ الأوقـافِ لِصـاحِبِ فِكـر مُتَطَـرِّفٍ، أو مُنتَمٍ لِأيِّ جَماعـةٍ مُتَطَرِّفـةٍ. انتهى. وقـالَ أحمـــد شوشـــة في مَقَالـــةٍ بِعُنْـــوانِ (قـــانونُ فَصْـــلِ المُـوَظَّفِين في مِصـرَ) على شَـبَكةِ بي بي سـي العَرَبِيَّةِ في هذا الرابط: في وَقتٍ سـابِقٍ مِن هـذا العـام أعلَنَتْ وزارةُ التَّربِيَـةِ والتَّعلِيم المِصـرِيَّةُ فَصْـلَ ألْـفٍ وَسَـبعِينَ مُعَلِّمًـــا مِمَّن قـــالَتْ عنهم {إنَّهم يَنتَمـــون لِجَماعـــاتٍ إرهابِيَّةٍ}، مُضِـيفةً أنَّهـا تُعِـدُّ قَـوائمَ أُخـرَى لِلمَفصـولِين لِتَنقِيَةِ المَـدارس مِنَ الأفكـار المُتَطَرِّفـةِ. انتهى. وقـالَ الشيخُ أبو محمد المقدسي في (إعدادُ القادةِ الفـوارِس بهجرِ فسادِ المدارسِ): إنَّ مِن أهدافِ طَـواغِيتِ الحُكّامِ،

ووَسائلِهم في تَثْبِيتِ عُرُوشِهِم وكَرَاسِيِّهِم أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الزَّمـانِ، اِسـتِغلالُ التَّربيَـةِ والتَّعلِيم، فمِن ذلـك إعـدادُ وتَخـريجُ المُدَرِّسِـين المُـوالِين لهم ولِحُكوماتِهِم وقَوانِينِهم وطُغْيانِهم، سَوَاءٌ اِعْتَقَدَ أولئك المُدَرِّسون ذلك وتَحَمَّسوا لـه حَمَاسًـا حَقِيقِيًّا، أو بِشِـراءِ الـذِّمَم والـوَلَاءِ عن طَريـقِ الـرَّواتِبِ والـدَّرَجاتِ والإغـراءاتِ المُختَلِفةِ، أو عن طَريـق التَّرهِيبِ والتَّخْويـفِ بـالقَوانِين وزيَاراتِ المَسؤولِين وإشرافِهم ورَقَابَتِهم الدائمةِ ونَحو ذلك. انتهى] التي تُكَثِّرُ سَوَادَ الظـالِمِين؟! أَمْ تلـك الـتي تَدخُلون بها مَجالسَ الفاحِشـةِ مِنَ الجامِعـاتِ المُخْتَلَطـةِ والمَعاهِدِ والمَدارس الفاسِـدةِ وغَيرهـا؟! بِحُجَّةِ مَصـلَحةِ الدَّعوةِ فلا تُظْهِرون دِينَكم الحَقَّ وتَـدْعُون فيها [أَيْ في الجامِعاتِ والمَعاهِدِ والمَدارس] بِغَـير هَـدْيِ النَّبِيِّ صـلى الله عليـه وسـلم؟!؛ ويَحتَجُّون [أَيْ دُعـاةُ زمَانِنـا] بقَـوْلِ النبيِّ صـلى اللـه عليـه وسـلم فيمـا رَواه الإمـامُ أَحْمَـدُ والتِّرْمِذِيُّ وغَيرُهما {الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْـبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِـطُ النَّاسَ وَلَا يَصْـبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ}، ونحن نَقـولُ، إنَّ هـذا الحَـدِيثَ في الشَّرق وأنتم عنـه في الغَـربِ، حيث إنَّ المُخالَطـةَ يَجِبُ أنْ تَكونَ على هَدْيِ النَّبِيِّ صلى الله عليـه وسـلم وليس تَبَعًا لآرائكم وأهـوائكم وأسـالِيبِ دَعْـوَتِكم البِدعِيَّةِ، فـإنْ كانتْ [أَيِ المُخالَطـةُ] كـذلك، أَيْ على هَدْيِـه صـلى اللـه عليه وسـلم، حَصَـلَ الأذَى [يُشِـيرُ إلى قَولِـه صـلى اللـه عليه وسـلم {وَلَا يَصْـبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ}] والأَجْـرُ مَعًـا، وإلَّا فَأَيُّ أَجْر هذا الذي يَنتَظِرُه مَن لا يَدعُو بهَدْيِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وقد أَهْمَـلَ شَـرْطًا عَظِيمًـا مِن شُـروطِ قُبول العَمَل وهو (الاتِّباعُ)، وَأَيُّ أذًى ذلك الذي سَـيُلَاقِيه مَن لا يُظهِرُ العَداوةَ لِأهـلِ الفِسـقِ والفُجـور والعِصـيَانِ ولا يُعلِنُ البَراءةَ مِن شِركِيَّاتِهم وطَرائقِهم المُعْوَجَّةِ بَـلْ يُجالِسُهم ويُقِـرُّ بـاطِلَهم ويَبَشُّ في وُجُـوهِهم ولا يَتَمَعَّرُ

أو يَغضَبُ لِلَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ إذا اِنتَهَكوا حُرُماتِ اللــهِ، بِحُجَّةِ اللِّينِ والحِكمةِ والمَوعِظـةِ الحَسَـنةِ وعَـدَمِ تَنفِـيرِ النَّاسِ عن الـدِّينِ ومَصلَحةِ الـدَّعوةِ وغَـيرِ ذلـك، ويَهْـدِمُ الـدِّينَ عُرْوَةً عُرْوَةً بِمَعـاوِلِ لِينِهِمْ وحِكْمَتِهم البِدْعِيَّةِ... ثم قـالَ -أي الشيخُ المقدسي-: كَثِيرٌ مِن دُعـاةِ زَمانِنـا، يُدَنْـدِنون على أحـاديثِ الـرُّخَص والإكـراهِ والضَّـروراتِ طَـوَالَ حَيَاتِهم، وكُـلَّ أيَّامِهم في غَـيرِ مَقامِها [أيْ غَـيرِ مَوضِـعِ التَّرَخُّص والإكراهِ والضَّرورةِ]، وَيَلِجُون بِحُجَّتِهـا في كُـلِّ باطِلٍ، ويُكَثِّرون سَوادَ حُكوماتِ الكُفر والإشراكِ، دُونَمـا إكراهٍ أو إضْـطِرارٍ حَقِيقَين، فَمَتَى يُظهـرون الـدِّينَ؟!... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسي-: النـبيُّ صـلى اللـه عليـه وسـلم في مَكَّةَ زَمَنَ الاستِضـعافِ كـانَ مُتَّبِعًـا لِمِلَّةِ إبراهِيمَ أشَدَّ الاتِّبـاعِ آخِـذًا بهـا بِقُـوَّةٍ، فَمـا دَاهَنَ الكُفَّارَ لَحظةً واحِدةً وما سَكَتَ عن بـاطِلِهم أو عن آلِهَتِهم، بَـلْ كانَ هَمُّه وشُغْلُهُ الشَّاغِلُ في تلك الثَّلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً هو {اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، فَلا يَعنِي كَوْنُـه جَلَسَ بينهـا [أيْ بين الأصْـنام] تلـك الثَّلَاثَ عَشْـرَةَ سَـنَةً أنَّه مَدَحَها أو أثْنَى عليها أو أقسَمَ على اِحتِرامِها كَما يَفعَـلُ كَثِـيرٌ مِنَ الجُهَّالِ المُنتَسِـبِين إلى الـدَّعوةِ مـع الْيَاسِـقِ العَصْـرِيِّ في هـذا الزَّمـانِ، بَـلْ كـانَ يُعلِنُ بَراءَتَـه مِنَ المُشـرِكِين وأعمـالِهم ويُبـدِي كُفـرَه بـآلِهَتِهم رَغْمَ اِستِضـعافِه واستِضـعافِ أصـحابِه... ثم قـالَ -أي الشـيخُ المقدسي-: وَهَا هُنَا مَسـألةٌ قـد يَـرِدُ فيهـا إشـكالٌ على البَعض، وهي كَيفِيَّةُ الجَمـع بين عَيْبِـه صـلى اللـه عليـه وسـلم آلِهَتَهم ودِينَهم، وبين قَولِـه تَعـالَى {وَلَا تَسُـبُّوا الَّذِينَ يَـدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُـبُّوا اللَّهَ عَـدْوًا بِغَيْـرِ عِلْمٍ}، فَنَقولُ وباللـهِ التَّوفِيـقُ أنَّ عَيْبَ الآلِهـةِ الباطِلـةِ وتَسـفِيهَها والحَـطَّ مِن قَـدْرِها وإنْ سَـمَّاه البَعضُ سَـبًّا فإنَّه ليس سَبًّا مُجَرَّدًا وإنَّما أصلُ المَقصودِ بِه [مـا يَلِي]؛ (أ)بَيَـانُ التَّوحِيـدِ لِلنَّاسِ، وذلـك بإبطـالِ أُلُوهِيَّةِ هـذه

الأربابِ المُتَفَرِّقةِ المَزعومـةِ والكُفـر بهـا وبَيَـان زَيْفِهـا لِلْخَلْـق، كَقَولِـه تَعـالَى {إِنَّ الَّذِينَ تَـدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَـادٌ أَمْثَـالُكُمْ، فَـادْعُوهُمْ فَلْيَسْـتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا، أَمْ لَهُمْ أَيْـدٍ يَبْطِشُـونَ بِهَـا، أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِـرُونَ بِهَـا، أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْـمَعُونَ بِهَـا، قُـلِ ادْعُـوا شُـرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيـدُون فَلَا تُنظِـرُون، إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَـزَّلَ الْكِتَـابَ، وَهُـوَ يَتَـوَلَّى الصَّـالِحِينَ، وَالَّذِينَ تَـدْعُونَ مِن دُونِـهِ لَا يَسْـتَطِيعُونَ نَصْـرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ}، وقَولِ إبراهِيمَ عليه السَّلامُ {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُـدُ مَـا لَا يَسْـمَعُ وَلَا يُبْصِـرُ وَلَا يُغْنِي عَنـكَ شَـيْئًا}، وقَولِـه تَعـالَى {أَفَـرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُـزَّى، وَمَنَـاةَ الثَّالِثَـةَ الْأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى، تِلْـكَ إِذًا قِسْـمَةٌ ضِـيزَى، إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَـاؤُكُم مَّا أَنـزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ، وَلَقَدْ جَـاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُـدَى}، وَكَـذَا كُـلُّ مـا جـاءَ في وَصـفِ هـذه الآلِهـةِ كَبَيَـان أَنَّهـا لا تَسـتَحِقُّ العِبَـادةَ أو تَسمِيَتِها بالطـاغوتِ أو جَعْـلِ عِبادَتِهـا طاعـةً لِلشَّـيطانِ وإنَّها وإيَّاهم حَصَبُ جَهَنَّمَ وغَير ذلك؛ (ب)وَكَذَلك القِيـامُ بهذا التَّوحِيـدِ عَمَلِيًّا بإِظهـار عَـداوَتِها وبُغْضِـها والبَـراءةِ مِنهـا والكُفـر بهـا، كَقَولِـه تَعـالَى عن إبـراهِيمَ {قَـالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ، أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ، فَإِنَّهُمْ عَـدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَـالَمِينَ}، وقَولِـه {قَـالَ يَـا قَـوْمِ إِنِّي بَـرِيءٌ مِّمَّا تُشْـركُونَ}؛ فـذلك كُلُّه لا يَـدخُلُ في السَّـبِّ المُجَرَّدِ الذي نَهَتْ عنه الآيَةُ المَذكورةُ [وهي قَولُه تَعالَى {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْـر عِلْم}]، والـذي مِن طَبِيعَتِـه أنْ يَسـتَثِيرَ الخَصْـمَ ويُهِينَه ويُعَيِّرَه فَقَطْ دُونَ فائدةٍ أو بَيَان، فَيَسُبَّ اللهَ عَـزَّ وجَلَّ عَدْوًا وجَهْلًا؛ وَكَذَلِكَ الحالُ بالنِّسبةِ لِعَبِيـدِ الياسِـق، فإنَّ مِلَّةَ إبراهِيمَ تَقتَضِي أنْ يُحَذَّرَ مِن ياسِـقِهم ويُعـادَى [أَيِ الْيَاسِـقُ] ويُبْغَضَ ويُـدْعَى النـاسُ إلى الكُفـرِ بـه

والبَــراءةِ منــه ومِن أولِيائــه وعَبيــدِه المُصِــرِّين على تَحكِيمِه، بذِكْر فَضائحِه، وكَشـفِ زُيُوفِـه وبُطْلانِ أحكامِـه ومُصادَمَتِها الصَّريحةِ لِدِين اللـهِ (بِإباحَتِهـا لِلـرِّدَّةِ والرِّبَـا، وتَسهيلِها لِلفاحِشةِ والفُجور، وتَعطِيلِها لِحُدودِ اللهِ كَحَدِّ الزِّنَى والقَذفِ والسَّرقةِ وشُـرْبِ الخَمْـر، ومـا إلى ذلـك وهو كَثِيرٌ جِدًّا)، فهذا كُلُّه [أَيِ الكُفرُ بالْيَاسِـق، والبَـراءةُ مِنه ومِن أولِيائـه] لا يَـدخُلُ فِيمـا نَهَتْ عنـه الآيَـةُ [وهِي قولُــه تَعــالَى {وَلَا تَسُــبُّوا الَّذِينَ يَــدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}] وإنْ سَـمَّاه عَبِيـدُ الْيَاسِـق وسَدَنَتُهم سَـبًّا (أو إطالـةَ لِسـانٍ)؛ أمَّا سَـبُّهم [أَيْ سَـبُّ عَبِيدِ الْيَاسِـق] وسَـبُّ حُكومـاتِهم وحُكَّامِهم ودَسـاتِيرهم سَبًّا مُجَرَّدًا، هَكَذَا للاستِثارةِ المُجَـرَّدةِ، فهـو المَنْهيُّ عنه لِما يَتَرَتَّبُ عليه مِن سَـبِّ أولئـك الجُهَّالِ لِلسَّـابِّ وَلِدِينِـه وطَرِيقَتِــه وإنْ كــانوا [أَيْ عَبِيــدُ الْيَاسِــق وحُكومــاتُهم وحُكَّامُهم] يَنتَسِبون إلى الإسلام زُورًا وبُهتانًا وَيَشهَدون بِرُبوبيَّةِ اللـهِ ورُبَّمـا يُوَحِّدونـه بِبَعض أنـواع أُلُوهِيَّتِـه دُونَ الحُكْم والتَّشريع؛ فالاستِثارةُ المُجَرَّدةُ تُعْمِي الخَصْمَ عن التَّفكِــير والتَّدَبُّر وتَحْمِلُــه على السَّــبِّ، بِخِلافِ تَــدخِيل العَقْـلِ والـدَّعوةِ إلى إعمالِـه ومُخاطَبَتِـه ولَفْتِ اِنتِباهِـه إلى زَيْفِ هذه الآلِهةِ وكَونِها لا تَسمَعُ ولا تُبْصِرُ ولا تَضُــرُّ ولا تَنفَــعُ ولا تُقَــرِّبُ ولا تَشــفَعُ ولا تُغنِي عن أنْفُسِــها وأتْباعِها شَـيئًا، وتَأَمَّلْ قِصَّـةَ إبـراهِيمَ مـع قَومِـه وكَيـفَ يَلْفِتُ فيها اِنتِبـاهَهم إلى زَيْـفِ تلـك الآلِهـةِ المَزعومـةِ، ويَستَثِيرُهم لا لِمُجَـرَّدِ الاسـتِثارةِ أو الإهانـةِ بَـلْ لِيُفَكِّروا ويَتَصـادَموا مـع عُقـولِهم في ذلك، وتَأَمَّلْ كَيـفَ يَفْتَضِـحُ أَمْرُهم بـذلك ويَنتَكِسـوا ويَتَناقَضـوا ويَتَخَبَّطـوا، فيَقُـولُ لهم عِنـد ذلـك مُعَنِّفًـا {أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَـا تَعْبُـدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، أَفَلَا تَعْقِلُــونَ}، والخُلاصــةُ أنَّ ذلــك لا يَــدخُلُ في السَّبِّ المُجَرَّدِ الذي نَهَى اللهُ عنه في الآيَـةِ [وهِي قولُـه تَعـالَى {وَلَا تَسُـبُّوا الَّذِينَ يَـدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُـبُّوا

اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}]، ولا هو مَقصودٌ بها، حتى ولو تَرَتَّبَ على مِثْلِه أنْ يَسُبَّ الكافِرُ اللهَ أو الدِّينَ عَدْوًا فَلَيسَ للمُسلِمِ أنْ يَتْرُكَ لِأجْلِه ما أَوْجَبَ اللهُ عليه مِنَ الصَّدْعِ بالتَّوحِيدِ وإظهارِ الدِّين، فالسَّبُّ هنا لا يَكونُ إلَّا عَدْوًا بِعِلْم، لِوُرودِ الحُجَّةِ والبَيَانِ، وإلَّا لو حَسَبْنا حِسابًا لِمِثْلِ ذلك لَتَرَكْنا دِينَنا كُلَّه وتَنَازَلْنا عنه لِسَوادِ عُيُونِ الكُفَّارِ لِأنَّه كُلَّه قائمٌ على أصْلِ الإيمانِ بِاللهِ والكُفرِ بكُلِّ طاغوتٍ [يُشِيرُ إلى قَولِه تَعالَى {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}]، فَتَنَبَّهْ، وقِسْ على ذلك ما يُقالُ في هذه الطَّواغِيتِ العَصريَّةِ مِن دَساتِيرَ ومَناهِجَ وقَوانِينَ وحُكَّام وغيرِهم ولا تُقْصِرُ المَعْنَى على الأصْنام الحَجَريَّةِ فتُحَجِّرَ واسِعًا... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسي-: وهو صَلَّى اللهُ عليه وسلم لم يَكُنْ لِيَرْبطَه بعَمِّهِ [أبِي طَالِبِ] الكافِرِ وُدٌّ ولا حُبٌّ، كَيفَ وهو صلى اللهِ عليه وسلم قُدْوَتُنا ومَثَلُنا الأعْلَى في قَولِه تَعالَى {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ...} الآيَةَ، مع حِرْصِه [صلى الله عليه وسلم] على هِدَايَتِه، فذلك [أي الحِرْصُ على الهدَايَةِ] شَيْءٌ والحُبُّ والوُدُّ شَيْءٌ آخَرُ، وما كانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَغْمَ إيواءِ عَمِّهِ وحِمَايَتِه له ودِفاعِه عنه لِيُصَلِّيَ عليه يَوْمَ أنْ ماتَ، بَلْ نَهاه اللهُ عَزَّ وجَلَّ عن مُجَرَّدِ الاستِغفار له يَومَ أُنْزِلَ عليه {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِين...َ} الآيَةَ، وما كانَ منه صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه عليه عندما جاءَه عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عنه فَقالَ له {إنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَّ مَاتَ، فَمَنْ يُوَارِيهِ [أيْ فَمَنْ يُغَطِّيه بِالتُّرابِ]؟} غَيْرَ أنْ يَقُولَ [صلى الله عليه وسلم] له {اذْهَبْ فَوَارِهِ} [قالَ الْبَغَوِيُّ في (معالِمِ التنزيل) عند تَفسِيرِ قَولِه تَعالَى (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ): قَوْلُهُ تَعَالَى {إِنَّكَ

لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} أَيْ أَحْبَبْتَ هِدَايَتَـهُ، نَـزَلَتْ فِي أَبِي طَـالِبِ. انتهى باختصـار. وقَـالَ الطَّبَـرِيُّ في (جـامع البيان): يَقُولُ تَعَالَى ذِكْـرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ [مَـا مَعْنَـاهُ] {إِنَّكَ يَـا مُحَمَّدُ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ هِدَايَتَهُ}. انتهى. وقالَ الشيخُ ابنُ بـاز في (شـرحِ كتـاب التوحيـد) على موقِعِـه في هـذا الرابط: قـالَ عَـزَّ وجَـلَّ {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} يَعنِي (يَـا مُحَمَّدُ، لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ هِدَايَتَـهُ) كَأَبِيـه وأُمِّه وعَمِّهِ ونَحـو ذلـك. انتهى. وقالَ الشيخُ ابنُ عثيمين في (مجمـوع فتـاوى ورسـائل العـثيمين): قَولُـه تَعـالَى {إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}، الخِطابُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وكانَ يُحِبُّ هِدايَـةَ عَمِّهِ أَبِي طَـالِبِ أو مَن هـو أَعَمُّ. انتهى. وقـالَ الشـيخُ محمد صالح المنجد على موقِعِـه في هذا الرابط: عنـدما قَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْـهُ قَبْـلَ أَنْ يُسْـلِمَ، وكـانَ كافِرًا، قَدِمَ الْمَدِينَةَ يُرِيدُ أنْ يُمَدِّدَ العَهْدَ، عَهْـدَ الْحُدَيْبِيَـةِ، دَخَلَ عَلَى اِبْنَتِـهِ أُمِّ حَبِيبَـةَ، وهي رَمْلَـةُ بِنْتُ أَبِي سُـفْيَانَ زَوجُ النَّبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاش رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -أَبُوهـا يُرِيدُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى فِـرَاش زَوجِهـا- طَوَتْـهُ عَنْـهُ، فَقَـالَ {يَا بُنَيَّةُ، مَا أَدْرِي أَرَغِبْتِ بِي عَنْ هَذَا الْفِـرَاش أَمْ رَغِبْتِ بِهِ عَنِّي؟} [يَعْنِي] أَنَا أَقَلُّ مِنَ الْفِـرَاش فَطَوَيْتِـهِ عَنِّي؟، أَم الْفِرَاشُ أَقَلُّ مِن مُسْتَوَايَ فَطَوَيْتِهِ عَنِّي؟، قَالَتْ {بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْـرِكٌ نَجَسٌ، وَلَمْ أُحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِـرَاش رَسُـولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ}، تَقـولُ لأَبِيهـا {أَنْتَ رَجُـلٌ مُشْـرِكٌ نَجَسٌ}، هَكَـذَا كـانَ شُـعُورُهم، ومَن كـانَ هـذا شُعُورُه كَيـفَ يُقَلِّدُ الكـافِرَ؟! كَيـفَ يُحِبُّ الكـافِرَ؟! كَيـفَ يَتَـأَثَّرُ بالكـافِر؟!، ولَكِنْ خُـذِ الآنَ مـاذا يَفعَلـون، وانظُـرْ إليهم ماذا يَفعَلـون، لِأَنَّهم لا يَشـعُرون أنَّ الكُفَّارَ نَجَسٌ، ولــذلك يُحِبُّونهم ويُقَلِّدُونهم؛ وقِصَّــةُ رَمْلَــةَ عنــد أَبِي

إسْحَاقَ بِإسْنَادٍ حَسَن. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ سعد فيـاض (عضـو المكتب الـدعوي والعلمي بالجبهـة السلفية) في مَقالـةٍ بِعُنـوانِ (مَقاصِـدُ الكُفـر العـالَمِيِّ) على هذا الرابط: تَكَفَّلَ اللهُ تَعالَى بِـالرَّدِّ على [عَبْدِاللَّهِ بْن أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ بِآياتٍ تُتلَى إلى يَـوم القِيامـةِ، فَـأنزَلَ قَولَه تَعالَى {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَـا إِلَى الْمَدِينَـةِ لَيُخْـرِجَنَّ الأَعَـزُّ مِنْهَـا الأَذَلَّ، وَلِلَّهِ الْعِـزَّةُ وَلِرَسُـولِهِ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُـونَ}، بَـلْ وَقَـدَّرَ سُـبحانَه إذلالَ اِبْنِ أُبَيٍّ [بْن] سَـلُولَ على يَـدِ اِبنِـه الصَّـحابِيِّ الجَلِيـلِ عَبْدِاللَّهِ بْن عَبْدِاللَّهِ بْن أُبَيِّ بْنِ سَـلُولَ الـذي قـالَ لِأبِيـه {وَاللَّهِ لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ الْعَزِيـزُ} أخرَجَـه التِّرْمِـذِيُّ، وصَـحَّحَه الألبانِيُّ في صَحِيح سُنَن التِّرْمِـذِيِّ [قـالَ الشـيخُ أسـامة سليمان (مديرُ إدارة شؤون القرآن بجماعة أنصار السُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ) في (شـرح صـحيح البخـاري): ثم وَقَـفَ على بابِ المَدِينةِ إلى أنْ جـاءَ أبـوه، فَقَـالَ {دَعْنِي أدخُلْهـا}، قالَ {لِن تَدخُلَ المَدِينةَ إلَّا أنْ تَقولَ (أنَا الأَذَلُّ، وَرَسُـولُ اللَّهِ الأَعَزُّ)}، فقال عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ {أنَا الأَذَلُّ، وَرَسُـولُ اللَّهِ الأَعَزُّ}، فَسَمَحَ له بِدُخولِها؛ ومَوقِفُ الابنِ هُنَـا عِـزَّةٌ وكَرامـةٌ لِلإسـلامِ {وَلِلَّهِ الْعِـزَّةُ وَلِرَسُـولِهِ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ}، واليَومَ العِزَّةُ والكَرامةُ ضاعَتْ في بِلادِ المُسـلِمِين لِأنَّهم تَخَلَّوْا عن دِينِهم وعن عَقِيـــــــدَتِهم. انتهى]. انتهى باختصار. وقالَ الشيخُ أبـو فيصـل البـدراني في (بسـط القول والإسهاب في بيانِ حكم مودة المـؤمن للكـافر): قالوا [أَيْ بَعضُ العُلَماءِ] أنَّه لا يَجـوزُ مَـودَّةُ الكـافِر أبَـدًا، ولـو كـانَتْ [أي المَـوَدَّةُ] جِبِلِّيَّةً، ولـو كـانَ الكـافِرُ غَـيرَ مُحـارِبٍ، ولـو كـانَ الكـافِرُ زَوجـةً كِتابِيَّةً... ثم قـالَ -أي الشيخُ البدراني-: قالَ فَرِيقٌ [أَيْ مِنَ العُلَماءِ] {إنَّه يَجوزُ مَحَبَّتُهم [أَيْ مَحَبَّةُ الوالِـدِ الكـافِرِ والزَّوجـةِ الكِتابِيَّةِ] بِمُقتَضَى الجِبِلَّةِ البَشَرِيَّةِ والطَّبعِ إلَّا أنَّه يَجِبُ أنْ يُصاحِبَ

مَحَبَّتَهم المَحَبَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ البُغضُ لهم في الـــــــدِّين}، وقـــالوا {لا مُنافـــاةَ بين بُغْضِـــهم في اللـــهِ وبُغْض أشخاصِـــــهم لِكُفْـــرهم، و[بين] مَحَبَّتِهم بِمُقتَضَـــــى الطَّبع}... ثم قالَ -أَي الشيخُ البدراني-: قــالَ [أَيْ بَعضُ العُلَماءِ] تَعلِيقًا على بَعض الآيَاتِ والأحـادِيثِ الـتي يَحتَجُّ بهـا المُخـالِفُ لهم مِثْـلِ قَولِـه تَعـالَى {أَنِ اشْـكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِن جَاهَـدَاكَ عَلَى أَن تُشْـرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِـهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَـا، وَصَـاحِبْهُمَا فِي الـدُّنْيَا مَعْرُوفًا} ومِثْلِ قَولِـه تَعـالَى {لا يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ فِي الـدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُـوكُمْ مِنْ دِيَـاركُمْ أَنْ تَبَــرُّوهُمْ وَتُقْسِــطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِــطِينَ} وغير ذلك، بِأَنَّ البِرَّ والإحسانَ لِلكُفَّار لا يَســتَلزمُ المَحبَّةَ والمَوَدَّةَ كَما أَنَّ البُغضَ والكَراهِيَةَ لا تَســتَلزمُ عَـدَمَ البِـرِّ والإحسانِ، وقالوا أَنَّ الصِّلةَ والمُكافـأةَ الدُّنْيَوِيَّةَ وحُسـنَ المُعامَلةِ شَيءٌ، والمَوَدَّةَ شَيءٌ آخَرُ، وقـالوا أَنَّ البِـرَّ هـو إيصالُ الخَير إلى الغَير مـع قَطـع النَّظَـر عن مَحَبَّتِـكَ لـه مِن عَدَمِها، واســتَدَلُّوا بِمـا وَرَدَ في صَـحِيح الْبُخَـاريِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قَـالَ {قَـالَ النَّبِيُّ صـلى اللـه عليه وسلم (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ [أَيْ يَدُورُ بِبِئْر] كَـادَ يَقْتُلُــهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْــهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَــا بَنِي إِسْــرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا [المُوقُ جِلْـدٌ يُلْبَسُ فَـوْقَ الْخُـفِّ لِحِفْظِـهِ مِنَ الطِّين وَغَيْرهِ] فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِـهِ)}... ثم قــالَ -أَي الشيخُ البدراني-: وقالَ صاحبُ (أضواء البيان) الإمامُ الشـنقيطي رَحِمَـه اللـهُ {قَوْلُـهُ تَعَـالَى (وَصَـاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)، هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَـةُ تَـدُلُّ عَلَى الأَمْـر بِبِـرِّ الْوَالِـدَيْن الْكَـافِرَيْن، وَقَـدْ جَـاءَتْ آيَـةٌ أُخْـرَى يُفْهَمُ مِنْهَـا خِلَافُ ذَلِكَ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى (لَّا تَجدُ قَوْمًا يُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْم الآخِر يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ...) الآيَـةَ، ثُمَّ نَصَّ عَلَى دُخُولِ الآبَاءِ فِي هَذَا بِقَوْلِـهِ (وَلَـوْ كَـانُوا آبَـاءَهُمْ)، وَالَّذِي يَظْهَــرُ لِي أَنَّهُ لَا مُعَارَضَــةَ بَيْنَ الآيَتَيْنِ، وُوَجْــهُ الْجَمْــعِ

بَيْنَهُمَـا أَنَّ الْمُصَـاحَبَةَ بِـالْمَعْرُوفِ أَعَمُّ مِنَ الْمُـوَادَّةِ، لِأَنَّ الإنْسَانَ يُمْكِنُهُ إسْدَاءُ الْمَعْرُوفِ لِمَنْ يَوَدُّهُ وَمَنْ لَا يَـوَدُّهُ، وَالنَّهْيُ عَنِ الأَخَصِّ لَا يَسْـتَلْزِمُ النَّهْيَ عَنِ الأَعَمِّ، فَكَـأَنَّ اللَّهَ حَــذَّرَ مِنَ الْمَـــوَدَّةِ الْمُشْـــعِرَةِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْمُـــوَالَاةِ بِالْبَاطِنِ لِجَمِيعِ الْكُفَّارِ، يَدْخُلُ فِي ذَلِـكَ الآبَـاءُ وَغَيْـرُهُمْ، وَأَمَرَ الإنْسَانَ بِأَنْ لَا يَفْعَلَ لِوَالِدَيْهِ إلَّا الْمَعْـرُوفَ، وَفِعْـلُ الْمَعْـرُوفِ لَا يَسْـتَلْزِمُ الْمَـوَدَّةَ لِأَنَّ الْمَـوَدَّةَ مِنْ أَفْعَـالِ الْقُلُـوبِ لَا مِنْ أَفْعَـالِ الْجَـوَارِحِ}... ثم قـالَ -أَيِ الشـيخُ البدراني-: ورَدُّوا [أَيْ بَعضُ العُلَمـاءِ] على مَن قـالَ بِـأَنَّ {مَسألةَ (المَيلُ القَلْبِيُّ لا اِختِيارَ لِلشَّخص فيـه)}، قـالوا {نَعَمْ، المَحَبَّةُ والبُغضُ أمْران بيَدِ اللهِ، لَكِنْ لهما أسبابٌ، وبإمكانِ المُسلِمِ رَفْعُه [أَيْ رَفْـعُ المَيـلِ القَلْبِيِّ] بِقَطـعِ أسبابِ المَوَدَّةِ التي يَنشَأُ عنها مَيلُ القَلبِ}... ثم قـالَ -أي الشــيخُ البــدراني-: أوجَبَ [أَيْ بَعضُ العُلَمــاءِ] هَجْــرَ وقَطعَ أسبابِ المَوَدَّةِ مع كُلِّ مَن يَغْلِبَ على ظَنِّكَ مَحَبَّتُه [أَيْ مِنَ الكُفَّارِ] بِسَبَبِ صِلَتِه ولو حَمَلَكَ ذلك على رَدِّ مـا ثَبَتَ بالشـــرعِ جَـــوازُه كالهَدِيَّةِ [ذَكَـــرَ الشـــيخُ ريـــاض المسيميري (عضو هيئـة التـدريس بجامعـة الإمـام) في مقالةٍ له على هـذا الرابط أنَّ مِن ضَـوَابِطِ قُبـولِ هَـدَايَا المُشركِين والإهْداءِ إليهم: أَلَّا يَتَرَتَّبَ على قُبــولِ الهَدِيَّةِ أو إهدائِها مَـوَدَّةٌ أو مَحَبَّةٌ، لِقَولِـه تَعـالَى {لَّا تَجِـدُ قَوْمًـا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِـيرَتَهُمْ}. انتهى]... ثم قالَ -أَيِ الشيخُ البدراني-: ورَدُّوا [أَيْ بَعضُ العُلَمـاءِ] على مَن اِسـتَدَلُّوا بِقَـولِ اللـهِ تَعـالَى {إنَّكَ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْـدِي مَن يَشَـاءُ} على أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كانَ يُحِبُّ عَمَّه وهو مُشركٌ، فَ[قالوا]، الجَوابُ أنَّ المَعنَى (مَن أَحْبَبْتَ هِدَايَتَـهُ لا مَن أَحْبَبْتَ شَخصَه)، كما جَاءَ ذلـك مُوَضَّـحًا فِي قَوْلِـهِ تَعَـالَى {إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِـلُّ...}

الآيَةَ... ثم نَقَلَ -أَي الشيخُ البدراني- عن بَعض العُلَماءِ قَولَهم: لو حَصَلَ مَيْلٌ طَبيعِيٌّ إليها [أَيْ إلى الزَّوجةِ الكِتابِيَّةِ] بلا قَصدٍ ولا إرادةٍ، وفيه نَوعُ مَوَدَّةٍ لها طَبيعِيَّةٍ وفِطْرِيَّةٍ مِن أَجْلِ إحسانِها إليه ولِمَا بينهما مِنَ العِشْرةِ والأولادِ، فهذا لا يُلامُ عليه الإنسانُ بشرطِ مُدافَعةِ مَحَبَّتِها وعَدَم الرُّكونِ إلى مَحَبَّتِها ويَجِبُ عليه أنْ يُبْغِضَها لِمَا فيها مِنَ الكُفْرِ... ثم نَقَلَ -أَي الشيخُ البدراني- عن بَعضِ العُلَماءِ أنَّهم: يَرَوْنَ أنَّ المُسلِمَ إذا رَأَى مِن نَفسِه مَيلًا ومَحَبَّةً طَبيعِيَّةً لِلكافِرِ بِسَبَبِ هَدِيَّتِه أو إحسانِه أو صِلَتِه، فإنَّه يَجِبُ عليه في هذه الحالِ قَطعُ أسبابِ هذه المَوَدَّةِ، ولو أدَّى ذلك إلى رَدِّ الهَدِيَّةِ وعَدَم قُبولِها، والامتِناع مِنَ الزِّيَارةِ، وعليه [أَيْ على المُسلِمِ] هَجْرُ الأقارِبِ الكُفَّارِ هَجرًا جَمِيلًا إذا آنَسَ مِن نَفسِه إضمارَ المَحَبَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ تِجاهَهم باستِثناءِ هَجْرِ الوالِدَينِ والزَّوجةِ الكِتابِيَّةِ فإنَّه لا يَجوزُ هَجْرُهم لِهذا السَّبَبِ [أَيْ إينَاسِ إضمارِ المَحَبَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ تِجاهَهم]... ثم قالَ -أَي الشيخُ البدراني-: يَقولُ الشيخُ عبدُالرحمن البرَّاك [أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية] {المَحَبَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ قد تَكونُ مع بُغض دِينِيٍّ، كَمَحَبَّةِ الوالِدَين المُشرِكين فإنَّه يَجِبُ بُغضُهما في اللهِ ولا يُنافِي ذلك مَحَبَّتَهما بِمُقتَضَى الطَّبِيعةِ، ومِن هذا الجِنس مَحَبَّةُ الزَّوجةِ الكِتابِيَّةِ فإنَّه يَجِبُ بُغضُها لِكُفرِها بُغضًا دِينِيًّا ولا يَمنَعُ ذلك مِن مَحَبَّتِها المَحَبَّةَ التي تَكونُ بين الرَجُلِ وزَوجِه}... ثم قالَ -أَي الشيخُ البدراني-: جاءَ في تَفسِيرِ ابْنِ كَثِيرِ {قِيلَ فِي قَوْلِهِ (وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ) نَزَلَتْ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ [هو عَامِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ، أَحَدُ الْعَشَرَةِ المُبَشَّرين بالجَنَّةِ]، قَتَلَ أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ؛ (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ) فِي الصِّدِّيق، هَمَّ يَوْمَئِذٍ بِقَتْلِ ابْنِهِ عَبْدِالرَّحْمَن؛ (أَوْ إِخْوَانَهُمْ) فِي مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَتَلَ أَخَاهُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَوْمَئِذٍ؛ (أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)

فِي عُمَرَ قَتَـلَ لَـهُ يَوْمَئِذٍ قَرِيبًا أَيْضًـا، وَفِي حَمْـزَةَ وَعَلِيٍّ وَعُبَيْـدَةَ بْنِ الْحَـارِثِ، قَتَلُـوا عُتْبَـةَ، وَشَـيْبَةَ، وَالْوَلِيـدَ بْنَ عُتْبَةَ، يَوْمَئِذٍ [حيث قَتَلَ حَمْزَةُ شَـيْبَةَ (أَخَـا عُتْبَـةَ)، وَقَتَـلَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَـةَ، وأَمَّا عُتْبَـةُ فقـد جَرَحَـه عُبَيْـدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وأَجْهَزَ عليـه عَلِيٌّ وحَمْـزَةُ]؛ وَمِنْ هَـذَا الْقَبِيـلِ، حِينَ اسْتَشَـارَ رَسُـولُ اللَّهِ -صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- الْمُسْلِمِينَ فِي أَسَارَى بَدْر فَقَـالَ عُمَـرُ (يَـا رَسُـولَ اللَّهِ، هَلْ تُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ -قَرِيبٍ لِعُمَرَ- فَأَقْتُلَهُ؟، وَتُمَكِّنُ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ [هو عَقِيـلُ بْنُ أَبِي طَـالِبٍ، أَخُـو عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ]؟، وَتُمَكِّنُ فُلَانًـا مِنْ فُلَانٍ؟، لِيَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَـتْ فِي قُلُوبِنَـا هَـوَادَةٌ لِلْمُشْـرِكِينَ)}. انتهى باختصـار. وسُـئلَ الشَّـيخُ اِبنُ عـثيمين، كَمـا جـاءَ في (مجمـوع فتـاوى ورسـائل العـثيمين)، عن حُكم إقامـةِ حَفلِ تَودِيـعٍ لِلْكـافِرِ عنـد اِنتِهـاءِ عَمَلِـه؛ فَأَجـابَ بِقَولِـه: إقامـةُ حَفـلِ تَودِيـعٍ لِهـؤلاء الكُفَّار، لا شَـكَّ أنَّه مِن بـابِ الإكرامِ أو إظهار الأَسَفِ على فِراقِهم، وكُلُّ هـذا حَـرامٌ في حَقِّ المُسلِمِ، قالَ النَّبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ {لَا تَبْـدَءُوا الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى بِالسَّـلَام، وَإِذَا لَقِيتُمُـوهُمْ فِي طَرِيق فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ}، والإنسانُ المُؤْمِنُ حَقًّا لا يُمكِنُ أنْ يُكـرِمَ أحَـدًا مِن أعـداءِ اللـهِ تَعـالَى، والكُفَّارُ أعداءُ اللهِ بِنَصِّ القُرآنِ، قالَ اللهُ تَعالى {مَن كَانَ عَـدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِـهِ وَرُسُـلِهِ وَجِبْرِيـلَ وَمِيكَـالَ فَـإِنَّ اللَّهَ عَـدُوٌّ لِّلْكَـافِرِينَ}. انتهى. وسُـئلَتِ اللَّجنـةُ الدائمـةُ لِلبُحـوثِ العِلمِيَّةِ والإفتـاءِ (عبـدُالعزيز بن عبداللـه بن بـاز وعبدُالرزاق عفيفي وعبدُالله بن غـديان)، كَمـا جـاءَ في كِتابِ (فَتاوَى اللَّجنةِ الدائمةِ)، عن حُكم اللـهِ في حُضـور جَنائز الكُفَّار، الذي أصبَحَ تَقلِيدًا سِيَاسِـيًّا وعُرفًـا مُتَّفَقًـا عليـه؛ فَأجـابَتِ اللَّجنـةُ: إذا وُجِـدَ مِنَ الكُفَّار مَن يَقـومُ بِـدَفن مَوتـاهم فَلَيْسَ لِلْمُسـلِمِين أنْ يَتَوَلَّوْا دَفْنَهم، ولا أنْ يُشارِكوا الكُفَّارَ ويُعاوِنوهم في دَفنِهم، أو يُجامِلُوهم

في تَشييعِ جَنائزِهم، فَإنَّ ذلك لم يُعرَفْ عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن الخُلَفاءِ الرَّاشِدِين؛ وأمَّا إذا لم يُوجَدْ منهم مَن يَدفِنُه دَفَنَه المُسلِمون كَما فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَمِّه أبِي طالِبٍ لَمَّا تُوُفِّيَ، قالَ لِعَلِيٍّ {اِذْهَبْ فَوَارِهِ [أَيْ فَغَطِّه بِالتُّرابِ]}. انتهى باختصار. وقالَتِ اللَّجنةُ الدائمةُ لِلبُحوثِ العِلمِيَّةِ والإفتاءِ (عبدُالعزيز بن عبدالله بن باز وعبدُالرزاق عفيفي وعبدُالله بن غديان) أيضًا، كَما جاءَ في كِتابِ (فَتاوَى اللَّجنةِ الدائمةِ): الأصلُ في الكافِرِ إذا ماتَ أنْ يُواريَه أقارِبُه في حُفرةٍ حتى لا يَتَأَذَّى به النَّاسُ. انتهى. وقالَ الإمامُ مالِكُ في (الْمُدَوَّنَةُ): لَا يُغَسِّلُ الْمُسْلِمُ وَالِدَهُ إذَا مَاتَ الْوَالِدُ كَافِرًا، وَلَا يَتْبَعُهُ وَلَا يُدْخِلُهُ قَبْرَهُ إلَّا أَنْ يَخْشَى أَنْ يَضِيعَ فَيُوَارِيهِ. انتهى. وقالَ مركزُ الفتوى بموقع إسلام ويب التابع لإدارة الدعوة والإرشاد الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر في هذا الرابط: قالَ صاحِبُ الإقناع (وهو أحَدُ أئمَّةِ الحَنابِلةِ) {وإنَّما مُنِعَ المُسلِمُ مِنِ اِتِّباعِ جِنازةِ الكافِرِ، وإدخالِه في قَبرِه، لِمَا فيه مِنَ التَّعظِيمِ له}. انتهى. وقالَ الشَّيخُ عَلِيُّ بنُ شَعبانَ في (السُّنَّةُ التَّرْكِيَّةُ): النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُعَزِّ حتى في عَمِّه الذي كانَ يَمنَعُه مِنَ الكُفَّارِ وكانَ يُعِينُه على تَبلِيغِ الرِّسالةِ، [فَ]لم يَثبُتْ أنَّه عَزَّى عَلِيَّ بنَ أبِي طالِبٍ، وكذلك لم يَثبُتْ أنَّه عَزَّى أحَدًا مِنَ الصَّحابةِ في مَوتِ أُمِّه أو أبِيه أو أيِّ قَرِيبٍ لِلْمُسلِمِين مِنَ الكُفَّارِ. انتهى باختصار. وقالَ الشَّيخُ عَلِيُّ بنُ شَعبانَ في (السُّنَّةُ التَّرْكِيَّةُ) أيضًا تَحْتَ عُنوانِ (قاعِدةِ السُّنَّةِ التَّركِيَّةِ الأُصولِيَّةِ): كُلُّ ما كانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادِرًا أنْ يَفْعَلَه ولم يَفْعَلْه مع وُجودِ الدَّافِعِ لِذلك الفِعل وانتِفاءِ المانِعِ مِن ذلك الفِعْلِ، لا يَجوزُ لَنا أنْ نَفْعَلَه؛ فَمِن سُنَنِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (السُّنَّةُ التَّرْكِيَّةُ)، يَعنِي أنَّه تَرَكَ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشيَاءً فَيَكونُ الإقتِداءُ بـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والائتِساءُ به في (تَرْكِها)، لِأنَّ مِنَ الأمور ما تَرَكَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قِيَام المُقتَضَى لِفِعْلِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَدَم المانِعِ مِن فِعْلِه في وَقتِه وحَيَاتِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمُقتَضَى هو الدَّافِعُ لِلْفِعْلِ أو سَبَبٌ يُحِثُّ النَّبِيَّ والصَّحابةَ على فِعْلِ هذا الأمر ويَدفَعُهم لِلْمُسارَعةِ في تَنفِيذِه، والمانِعُ هو أمرٌ ما يَعتَرضُ النَّبِيَّ والصَّحابةَ مِن فِعْلِ العِبادةِ أو اِتِّخاذِ وَسِيلةِ لِلْعِبادةِ فَيَمْنَعُهم مِن تَأدِيَةِ تلك العِبادةِ أو اِتِّخاذِ هذه الوَسِيلةِ لِلْعِبادةِ... ثم قالَ -أي الشَّيخُ عَلِيٌّ- تحت عُنوان (تَعزيَةُ الكُفَّار بِجَمِيع أصنافِهم "المُحارِب، المُعَاهَد، الذِّمِّيّ، المُستَأمَن"): فالدَّافِعُ لِتَعزيَةِ الكُفَّار [هو] مِن بابِ (الدَّعوةِ إلى اللهِ) رَجاءُ إسلامِهم، تَبيينُ سَماحةِ الاسلام، مِن بابِ صِلةِ الأرحام لِأنَّه قَريبٌ لي؛ [وأمَّا] المانِعُ مِن تَعزيَةِ الكُفَّار بِجَمِيع أصنافِهم، ليس [هناك] مانِعٌ يَمْنَعُنا مِن تَعزيَةِ الكُفَّار، فالنَّبِيُّ لم يَنْهَ عن هذا؛ وإليكم تَطبِيقُ قاعِدةِ (السُّنَّةِ التَّركِيَّةِ) على هذا الفِعْلِ [الذي هو تَعزيَةُ الكُفَّار بِجَمِيع أصنافِهم]، فَهذه الدَّوافِعُ التي مَضَتْ كانَتْ مَوجودةً عند النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحابَتِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واعتِبارُ تَعزيَةِ الكُفَّار مَصْلَحةً كَرجاءِ إسلامِهم هي وَسِيلةٌ لِلدَّعوةِ ولَكِنَّها مُحدَثةٌ لا تَصِحُّ، لِأنَّ وَسائلَ الدَّعوةِ إلى اللهِ تَوقِيفِيَّةٌ على قاعِدةِ (السُّنَّةِ التَّرْكِيَّةِ)، وهَلْ كانَ أحَدٌ أحرَصَ على إسلامِ الكُفَّار مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!، اللَّهُمَّ لا، اللَّهُمَّ لا، وهَلْ كانَ أحَدٌ أحرَصَ على إسلام الكُفَّار مِنَ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِين؟!، اللَّهُمَّ لا، اللَّهُمَّ لا، وهَلْ كانَ أحَدٌ أحرَصَ على إسلام الكُفَّار مِن صَحابةِ رَسولِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟!، اللَّهُمَّ لا، اللَّهُمَّ لا، فالدَّافِعُ مِنَ التَّعزيَةِ مَوجودٌ عند النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحابَتِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وليس هناك أيُّ مانِعٍ يَمْنَعُه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَاءٌ وهو مُستَضعَفٌ بِمَكَّةَ أو وهو مُمَكَّنٌ بالمَدِينةِ، و[مع ذلك] لم يُعَزِّ حتى في عَمِّه الذي كانَ يَمنَعُه مِنَ الكُفَّار وكانَ يُعِينُه على تَبلِيغ الرِّسالةِ، وكذلك الخُلَفاءُ الراشدون لم يَقُمْ أحَدٌ منهم بِتَعزيَةِ الكُفَّار، وكانَ أيَّامَهم جَمِيعُ أصنافِ الكُفَّار سَوَاءٌ (المُحارب، المُعاهَد، الذِّمِّيّ، المُستَأمَن)، ولا ثَبَتَ عن واحِدٍ مِنَ الأصحابِ ذلك، فَفِيما الحَيْرةُ يا قَومُ؟!، فالدَّافِعُ مَوجودٌ والمانِعُ مُنْتَفٍ، فَتَعزيَةُ الكُفَّار هي عَينُ البِدعةِ ومُحَرَّمةٌ، ولا تَجوزُ سَوَاءٌ لِمَصْلَحةٍ أو لِغَير مَصْلَحةٍ، فهي مَصْلَحةٌ مُلغاةٌ لم يَنظُرْ لَها الشَّرعُ بِعَينِ الاعتِبار، فَلَيْسَتْ مَصْلَحةً مُعتَبَرةً ولا مَصْلَحةً مُرسَلَةً، بَلْ هي مِن بابِ المُوالاةِ لِأعداءِ اللهِ، ومَن عَزَّى الكُفَّارَ فَقَدِ اِتَّهَمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحابَتَه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالتَّقصِير في الدَّعوةِ، اللَّهُمَّ أُشهدُك أنِّي أَبرَأُ مِن هذا، فَمَن فَعَلَ مِنَ التَّعَبُّدِيَّاتِ والقُرُباتِ ما تَرَكُوه (النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحابَتُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) مع وُجودِ الدَّافِعِ وانتِفاءِ المانع، فَقَدْ واقَعَ البِدعةَ وتَلَبَّسَ بِها... ثم قالَ -أي الشَّيخُ عَلِيٌّ-: فَتَمامُ اِتِّباعِ السُّنَّةِ يَكونُ بِتَرْكِ ما وَرَدَ تَرْكُه، وفِعْلِ ما وَرَدَ فِعلُه، وإلَّا فَبابُ البِدعةِ يُفتَحُ علي مِصْرَاعَيْهِ عِيَاذًا بِاللهِ تَعالَى... ثم قالَ -أي الشَّيخُ عَلِيٌّ-: ولِابْنِ القَيِّم رَحِمَه اللهُ تَفصِيلٌ بَدِيعٌ ماتِعٌ فِيما نَقَلَه الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِتَرْكِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ رَحِمَه اللهُ [في (إعْلَامُ الْمُوَقِّعِينَ)] {أَمَّا نَقْلُهُمْ لِتَرْكِهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] فَهُوَ نَوْعَانِ، وَكِلَاهُمَا سُنَّةٌ؛ أَحَدُهُمَا، تَصْرِيحُهُمْ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ كَذَا وَكَذَا وَلَمْ يَفْعَلْهُ؛ وَالثَّانِي، عَدَمُ نَقْلِهِمْ لِمَا لَوْ فَعَلَهُ لَتَوَفَّرَتْ هِمَمُهُمْ وَدَوَاعِيهِمْ أَوْ أَكْثَرُهُمْ أَوْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى نَقْلِهِ، فَحَيْثُ لَمْ يَنْقُلْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمُ البَتَّةَ وَلَا حَدَّثَ بِهِ فِي مَجْمَعٍ أَبَدًا عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ}... ثم قالَ [أي اِبْنُ القَيِّمِ] {إِنَّ تَرْكَهُ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّةٌ، كَمَا أَنَّ فِعْلَهُ سُنَّة، فَإِذَا اسْتَحْبَبْنَا فِعْلَ مَا تَرَكَهُ كَانَ نَظِيرَ اسْتِحْبَابِنَا تَرْكَ مَا فَعَلَهُ، وَلَا فَرْقَ}... ثم قالَ -أي الشَّيخُ عَلِيٌّ-: ولا يَسْلَمُ الشَّخصُ مِنَ الوُقوعِ في الاضْطِرابِ، إلَّا بِمُتابَعةِ السُّنَّةِ وتَرْكِ الابتِداعِ في الدِّينِ؛ ولن يَتِمَّ لَنا مَعرفةُ ذلك إلَّا بِقاعدة (السُّنَّةِ التَّركِيَّةِ)، ولن يَتِمَّ التَّفريقُ بَيْنَ البِدعةِ والمَصْلَحةِ المُرسَلةِ إلَّا بِهذه القاعِدةِ أيضًا... ثم قالَ -أي الشَّيخُ عَلِيٌّ-: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ {كُلُّ عِبَادَةٍ لَمْ يَتَعَبَّدْهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَعَبَّدُوهَا}، وقالَ ابْنُ مَسْعُودٍ {اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ، عَلَيْكُمْ بِالأَمْرِ العَتِيقِ [أَي الْقَدِيمِ الأَوَّلِ]}... ثم قالَ -أي الشَّيخُ عَلِيٌّ-: وأَخِيرًا، نَصِيحتِي لِلْمُسلِمِ الصادِقِ في الاتِّباعِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اِجعَلْ نُصْبَ عَيْنَيْكَ هذه القاعِدةَ [السُّنَّةَ التَّرْكِيَّةَ] في التَّعَرُّفِ على البِدعةِ، واعرِضْ أيَّ عَمَلٍ تَرَكَه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَحابَتُه على قاعِدةِ (السُّنَّةِ التَّرْكِيَّةِ)، وانظُرْ في وُجودِ الدَّافِعِ وانتِفاءِ المانِعِ؛ فَإنْ وُجِدَ الدَّافِعُ وانتَفَى المانِعُ فَلا يَجوزُ لك أنْ تَفْعَلَ لِقِيامِ المُقتَضَى لِلْفِعْلِ وعَدَمِ المانِعِ مِنَ الفِعْلِ، فَإنْ فَعَلْتَ، فَإنْ كانَتْ في العِباداتِ فَتَكونُ بِدعةً (كَقِراءةِ الفاتِحة على الأمواتِ)، وإنْ كانَتْ في وَسائلِ العِباداتِ فَتَكونُ مَصْلَحةً مُلغاةً (كاتِّخاذِ الخَطِّ [أيْ في المَساجِدِ] لِتَسويَةِ الصُّفوفِ، وإخراجِ زَكاةِ الفِطْرِ قِيمةً)؛ وإنْ وُجِدَ الدَّافِعُ ووُجِدَ المانِعُ فَيَجوزُ لك أنْ تَفْعَلَ لِقِيَامِ المُقتَضَى لِلْفِعْلِ ووُجودِ المانِعِ مِنَ الفِعْلِ، فَإنْ فَعَلْتَ، فَإنْ كانَتْ في العِباداتِ فَتَكُونُ سُنَّةً (كَجَمعِ النَّاس على التَّراويح أيَّامَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ [قالَ الشَّيخُ عَلِيُّ بنُ شَعبانَ في (السُّنَّةُ التَّركِيَّةُ): تَرَك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَامَ رَمَضانَ مع أصحابِه في جَماعةً بَعْدَ لَيَالٍ، وعَلَّلَ ذلك بِخَشيَتِه أنْ تُفرَضَ عليهم، فَزالَ المانِعُ بِمَوتِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انتهى باختصار])، وإنْ

كـانَتْ في وَسـائلِ العِبـاداتِ فَتَكُـونُ مَصْـلَحةً مُرسَـلةً (كَجَمـعِ المُصحَـفِ أيَّامَ أبِي بَكـر [قـالَ السُّـيُوطِيُّ في (الإتقان): قَالَ الْخَطَّابِيُّ {إِنَّمَا لَمْ يَجْمَعْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي الْمُصْحَفِ، لِمَا كَـانَ يَتَرَقَّبُـهُ مِنْ وُرُودِ نَاسِـخٍ لِبَعْضِ أَحْكَامِـهِ أَوْ تِلَاوَتِـهِ، فَلَمَّا اِنْقَضَـى نُزُولُـهُ بِوَفَاتِـهِ أَلْهَمَ اللَّهُ الْخُلَفَـاءَ الرَّاشِـدِينَ ذَلِـكَ وَفَـاءً بِوَعْـدِهِ الصَّادِقِ بِضَمَانِ حِفْظِهِ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ، فَكَانَ اِبْتِدَاءُ ذَلِكَ عَلَى يَـدِ الصِّـدِّيقِ بِمَشُـورَةِ عُمَـرَ}. انتهى. وقـالَ مركـزُ الفتـــوى بموقـــع إســـلام ويب التـــابع لإدارة الـــدعوة والإرشاد الديني بـوزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية بدولة قطر في هذا الرابط: لَمَّا تَوافَرَتْ دَواعِي الكِتابةِ، مُتَمَثِّلةً بِوَفاتِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما تَرَتَّبَ بَعْدَ ذلك مِن حُروبِ الرِّدَّة التي اِستَنفَدتْ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الصَّحابةِ الحَفَظـةِ، لَمَّا حَـدَثَ مـا حَـدَثَ بـادَرَ الصَّـحابةُ إلى جَمعِـه وتَدوينِه. انتهى. وقـالَ الشَّـيخُ عَلِيُّ بنُ سـليمان العبيـد (الأسـتاذ بقسـم القـرآن وعلومـه بكليـة أصـول الـدين بجامعـة الإمـام محمـد بن سـعود الإسـلامية) في (جَمـعُ القُرآنِ الكَريم حِفظًـا وكِتابـةً): إنَّه لم يُوجَـدْ مِن دَواعِي الجَمعِ في مُصحَفٍ واحِدٍ مِثلَ ما وُجِدَ في عَهـدِ أبي بَكـر الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عنه، فَقَدْ كـانَ المُسـلِمون في عَهـدِ النَّبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ بِخَـير وأمن، والقُـرَّاءُ كَثِيرون، والفِتنةُ مأمونةٌ، وفَوْقَ هذا، الرَّسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ بينهم، بِخِلافِ مـا حَصَـلَ في عَهـدِ أبي بَكـر الصِّـدِّيق رَضِـيَ اللـهُ عنـه مِن مَقْتَـلِ الحُفَّاظِ. انتهى]). انتهى باختصار. وَسُئلَ الشَّيخُ اِبنُ عثيمين، كَما جـاءَ في (مجمـوع فتـاوى ورسـائل العـثيمين)، عن حُكم تَعزيَـةِ الكـافِرِ؛ فَأجـابَ بِقَولِـه: تَعزيَـةُ الكـافِرِ إذا مـاتَ لـه مَن يُعَـزَّى بـه مِن قَـريبٍ أو صَـدِيق، في هـذا خِلافٌ بَيْنَ العُلَمـاءِ، فَمِنَ العُلَمـاءِ مَن قـالَ {إنَّ تَعـزيَتَهم حَـرامٌ}، ومنهم مَن قـالَ {إنَّهـا جـائزةٌ}، ومنهم مَن فَصَّـلَ في

ذلك فَقالَ {إنْ كانَ في ذلك مَصْلَحةٌ كَرَجاءِ إسلامِهم، وكَفِّ شَرِّهم الذي لا يُمكِنُ إلَّا بِتَعزيَتِهم، فَهو جائزٌ وإلَّا كانَ حَرامًا}؛ والراجِحُ أنَّه إنْ كانَ يُفهَمُ مِن تَعزيَتِهم إعزازُهم وإكرامُهم كانَتْ حَرامًا وإلَّا فَيُنظَرُ في المَصْلَحةِ [قالَ الشَّيخُ عَلِيُّ بنُ شَعبانَ مُعلِّقًا على هذه الفَتوى: سُبحانَ اللهِ!، رَغْمَ أنَّ الشَّيخَ لا يَقولُ بِالبِدعةِ الحَسَنةِ، إلَّا أنَّه قالَ بِها دُونَ أنْ يَشعُرَ في مَسألةِ التَّعزيَةِ، فَقَدِ اِستَحسَنَ التَّعزيَةَ لِأنَّها فِيها مَصْلَحةً كَرَجاءِ إسلامِهم على حَدِّ قَولِه رَحِمَه اللهُ!، وهَلْ كانَ أحَدٌ أحرَصَ على إسلام الكُفَّار مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخُلَفاءِ الرَّاشِدِين؟!. انتهى من السُّنَّةُ التَّركِيَّةُ]. انتهى]... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسي-: إنَّنا مُكَلَّفون في مُعامَلاتِنا وأحكامِنا في الدُّنْيَا بالظاهِر دُونَ الباطِن، وهذا مِن فَضلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ عَلَينا، وإلَّا لَأمْسَى الإسلامُ وأهلُه أُلْعُوبةً وأُضْحُوكةً لِكُلِّ جاسُوس وخَبِيثٍ وزِنْدِيق... ثم قالَ -أي الشيخُ المقدسي-: إنَّ هؤلاء الطَّواغِيتَ أشَدُّ خُبْثًا وأعظَمُ مَكْرًا مِن فِرْعَوْنَ، فَهُمْ لا يَلْجَأُونَ إلى أسْلُوبه في تَقتِيلِ الأبناءِ، إلَّا في آخِر الأمْر حِينَ تَعْجِزُ أسالِيبُهم الخَبِيثةُ الأُخْرَى، فيُحاولون جاهِدِين قَبْلَ ذلك أنْ يَقْتُلوا هذه المِلَّةَ في نُفوسِهم، فبَدَلًا مِن أنْ يُهْلِكوا الأجْيالَ حِسِّيًّا كما فَعَلَ فِرْعَوْنُ، يَقْتُلون فيهم هذه المِلَّةَ فيُهْلِكونهم أيَّما إهلاكٍ، وذلك بتَرْبيَتِهم على حُبِّهم والوَلاءِ لهم ولِقَوانِينِهم وحُكوماتِهم عَبْرَ مَدارسِهم الفاسِدةِ هذه، ووَسائلِ إعلامِهم الأُخْرَى التي يُدْخِلُها ويَنْقُلُها كَثِيرٌ مِن جُهَّالِ المُسلِمِين إلى بُيُوتِهم، فبَدَلًا مِن أنْ يُثِيرَ هؤلاء الطَّواغِيتُ الناسَ باستِعجالِ القَتْلِ الحَقِيقِيِّ، يَتَّبِعون هذه السِّياسةَ الخَبِيثةَ لِيُسَبِّحَ الناسُ بحَمْدِهم وبأفْضالِهم على أنَّهم ماسِحو الأُمِّيَّةِ وناشِروا العِلْم والحَضَارةِ، وفوقَ ذلك كُلِّه وتَحْتَ هذا الغِطاءِ يُرَبُّون مِن ذَرارِيِّ [(ذَرارِيّ) جَمْعُ (ذُرِّيَّة)، والذُّرِّيَّةُ هُمُ

الصِّبْيَانُ أو النِّسَاءُ أَوْ كِلَاهُمَـا] المُسـلِمِين أَتْباعًـا أَوْفِيَـاءَ وخَــدَمًا مُخلِصِــين لِحُكومــاتِهم ولِقَــوَانِينِهم وأَسَــرهم الحاكِمةِ، أو على أقَلِّ الأحـوالِ يُرَبُّون جِيلًا مائِعًـا جـاهِلًا مُنحَرِفًا راغِبًا عن هـذه الـدَّعوةِ الصُّـلْبةِ والمِلَّةِ القَويمـةِ مُداهِنًا لأهلِ الباطِلِ لا يَقْوَى بَـلْ ولا يَصْـلُحُ لِمُـواجَهَتِهم أو يُفَكِّرُ فيها... ثم قالَ -أي الشـيخُ المقدسـي-: أَمَـا آنَ لهم [أيْ لــدُعاةِ زمَانِنـــا] أنْ يَســتَيقِظوا مِنَ الغَفَلاتِ ويُقَوِّموا الانحِرافاتِ؟، أَوَ مَا كَفَاهُمْ سُقُوطًا في ألاعِيبِ الطُّغـاةِ وكِتْمانًـا لِلحَـقِّ وتَلْبيسًـا على النـاس ومَضْـيَعةً لِلْجُهودِ والأعْمار؟، فإنَّه واللهِ اختِيـارٌ واحِـدٌ (إمَّا شَـريعةُ اللهِ، وإمَّا أَهْواءُ الذِين لا يَعْلَمـون)، وليس هنـاك طَرِيـقٌ وَسَــطٌ بين الشَّــرِيعةِ المُســتَقِيمةِ والأهْـواءِ المُتَقَلِّبــةِ. انتهى باختصار.

(10)وقالَ الشـيخُ عبدُاللـه التهـامي في (مجلـة البيـان، الــتي يَــرْأسُ تحريرَهــا الشــيخُ أحمــد بن عبــدالرحمن الصويان "رئيس رابطة الصـحافة الإسـلامية العالميـة") تحت عنوان (ضوابط الضرورة في الشريعة الإسـلامية): فقد استسلمَ مُعظَمُ الناس إلى نِعمـةِ التَّرَخُّص، ورَغِبَـوا في إستِبقاءِ هذه النِّعمـةِ وعَـدَم زَوالِهـا، مـع أنَّ مسـألةَ التَّرَخُّص تُعتَبَرُ مِنَ الأُمور العارضةِ والقَضايَا الطارئةِ، إلَّا أنَّها صارَتْ في كثير مِنَ الأحْيانِ عند بعض الناس ذَريعـةً إلى التَّخَلُّص والتَّفَلُّتِ مِنَ الالتِــــزام بقُيــــودِ هــــذه الشريعةِ... ثم قالَ -أي الشيخُ التهامي-: إنَّ أَهْـلَ الزَّيْـغ والهَوَى، كَثِيرًا ما يَتَعَلَّقون بسِتَار الضـرورةِ في تحقيـق مَآربهم ونَيْلِ أغراضِهم، فيُحَمِّلون هـذه الشـريعةَ باطِـلَ صَنِيعِهم وسُوءَ مَكْرِهِمْ، بَلْ ورُبَّمـا يَنسَـلِخون مِنَ الـدِّين كُلِّه باسم الضرورةِ أو الحِكمـةِ أو المَصلَحةِ... ثم قـالَ -أي الشيخُ التهامي-: المرادُ بحالـةِ الضـرورةِ عنـد علمـاءِ الشَّرِيعةِ في مِثْلِ قولِهم {يَجوزُ كـذا عنـد الضـرورةِ (أو

لِأجْلِ الضرورةِ)} تلك الحالةُ التي يَتَعَرَّضُ فيها الإنسـانُ إلى الخَطَـرِ في دِينِـه أو نَفْسِـه أو عَقْلِـه أو عِرضِـه أو مالِه، فَيَلْجَـأُ -لكي يُخَلِّصَ نَفْسَـه مِن هـذا الخَطَـرِ- إلى مُخالَفةِ الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ الثَّابِتِ، وذلك كمَن يَغَصُّ بِلُقْمَـةِ طَعَام ولا يَجِدُ سِوَى كَأْسٍ مِنَ الخَمْرِ يُزِيـلُ هـذه الغُصَّـةَ؛ وقد تَواتَرَتِ الأدِلَّةُ على أنَّ هذه الشـريعةَ جـاءَتْ لِحِفْـظِ الضَّـرُورِيَّاتِ الخَمْس (الـدِّين والنَّفْس والعَقْـلِ والنَّسـلِ والمـالِ)، والمُـرادُ بالضَّـرُورِيَّاتِ الأمُـورُ الـتي لا بُـدَّ مِنَ المُحافَظةِ عليها حـتى تَسـتَقِيمَ مصـالحُ الـدُّنْيَا والآخِـرَةِ على نَهْجٍ صـــحيح دُونَ اختِلَالٍ، وإنَّمـــا يكـــونُ ذلـــك بالمُحافظـةِ على هـذه الأمُـورِ الخَمْسَـةِ، لـذا تُسَـمَى الضَّـرُوراتِ (أوِ الضَّـرُورِيَّاتِ) الخَمْسَ، وتُسَـمَى بالكُلِّيَّاتِ الخَمْس أيضًا لِكَونِهـا جامِعـةً لجميـع الأحكـام والتكـالِيفِ الشَّــرعِيَّةِ، فهي كُلِّيَّةٌ تَنْــدَرِجُ تحتهــا جميــعُ جُزئِيَّاتِ الشَّـريعةِ، وتُسَـمَى أيضًـا بمَقاصِـدِ الشَّـريعةِ لِمَـا ثَبَتَ -بالاستقراءِ التَّامِّ لهذه الشَّـريعةِ دَقِيقِهَـا وَجَلِيلِهَـا- كَـوْنُ المُحافَظـةِ على هـذه الأمُـور الخَمْسـةِ أمْـرًا مَقصُـودًا للشـارع... ثم قـالَ -أي الشـيخُ التهـامي- تحت عنـوان (الفرق بين الضرورة والحاجة): الضرورةُ حالةٌ تَستَدعِي إنقَاذًا، أمَّا الحاجَةُ فهي حالةٌ تَستَدعِي تَيْسِيرًا وتَسْـهيلًا، فهي مَرْتَبةٌ دُونَ الضَّرُورةِ، إذْ يَتَرَتَّبُ على الضَّرُورةِ ضَرَرٌ عظيمٌ في إحْدَى الكُلِّيَّاتِ الخَمْس. انتهى. وقـالَ الشـيخُ محمد صالح المنجد في خُطْبَةٍ له بِعُنْـوان (التسـاهُل في الاحتجـاج بالضــرورة) مُفَرَّغَــةٍ على موقِعِــه في هــذا الرابط: حَدِيثُنا في هذه الخُطْبَةِ عن موضوع حَصَـلَ فيـه خَلْطٌ كثيرٌ، وحَصَلَ فيه استغلالاتٌ سَيِّئةٌ كثـيرةٌ مِن كثـير مِن أصحابِ النَّوَايَا السَّيِّئةِ، ولذلك كان لا بُدَّ للمُسلم مِن فَهْمِـه وفَهْم مـا يَتَعَلَّقُ بـه، ألَا وهـو القاعـدةُ الشـرعيَّةُ العظيمةُ {الضَّرُوراتُ تُبِيحُ المحظوراتِ}، هـذه القاعـدة التي ظُلِمَتْ ظُلْمًا عَظِيمًا مِن كثيرٍ مِن أبْناءِ المسـلِمِين،

هذه القاعدةُ التي أَصْبَحَ الاستدلالُ بها على ما هَبَّ ودَبَّ مِنَ الأُمُـورِ دَيْـدَنَ عامَّةِ الـذِين يَعْصُـونَ اللـهَ سُـبحانَهُ وتَعالَى، كُلَّمَا أَرادَ أَحَـدُهم أنْ يَفعَـلَ مَعصِـيَةً -أو فَعَلَهـا- فناقَشْـتَه في ذلـك كـان مِن حُجَجِـه {الضَّـرُوراتُ تُبِيحُ المحظوراتِ}!، فما هي حقيقةُ هـذه القاعـدةِ ومـا هي ضَوابِطُها؟؛ قالَ اللهُ تَعـالَى {فَمَنِ اضْـطُرَّ غَيْـرَ بَـاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، وقالَ {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْـهِ، إِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ}، وقـالَ عَـزَّ وَجَلَّ {وَقَدْ فَصَّـلَ لَكُم مَّا حَـرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَـا اضْـطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ}، لِماذا شَرَعَ رَبُّنا جَوَازَ أَكْلِ المَيْتةِ للضَّرُورةِ وجَـوَازَ تَناوُلِ الأَمْرِ المُحَرَّمِ للضَّرُورةِ؟، لأنَّه قالَ عَزَّ وَجَلَّ {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيـدُ بِكُمُ الْعُسْـرَ}، وقـالَ {مَـا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيَجْعَـــلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَـــرَجٍ وَلَكِن يُرِيـــدُ لِيُطَهِّرَكُمْ}، وقالَ {يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ}، وقد أَجْمَـعَ الفُقهـاءُ على أنَّ للجائعِ المُضْطَرِّ الذي لا يَجِدُ شيئًا حَلَالًا يَدْفَعُ بـه الهَلَاكَ عن نَفْسِه أنْ يَتَنـاوَلَ المُحَـرَّمَ إذا لم يَجِـدْ غـيرَه، فيَتَناوَلُ منه بقَدْرِ ما يُزِيلُ ضَرُورَتَه، لأنَّ اللهَ قالَ {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْـرَ مُتَجَـانِفٍ لِّإِثْمٍ، فَـإِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ}؛ وقالَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى مُبَيِّنًا حالةً أُخْـرَى مِن حالاتِ الاِضْطِرارِ {مَن كَفَـرَ بِاللَّهِ مِن بَعْـدِ إِيمَانِـهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَـانِ}، فـإذا كـانَ المُسـلمُ قـد تَعَـرَّضَ لتَهدِيـدٍ حَقِيقِيٍّ وتَعـذِيبٍ وَحْشِـيٍّ، يُـرادُ منـه أنْ يَنْطِـقَ بكلمـةِ الكُفـر، نَطَـقَ بهـا لِسـانُه، وقَلْبُـه مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ؛ فـإذَنْ، هـذه القاعـدةُ في الشَّـريعةِ مَحفُوظـةٌ بِأَدِلَّتِها، قائِمـةٌ، مِن عَلَامـاتِ ومَيْـزاتِ هـذا الـدِّين؛ ولكنْ أَيُّها المسلمون، مَتَى يُصْـبِحُ الشـيءُ ضَـرورةً، مـا مَعْنَى كلمةِ الضَّرورةِ؟، إنَّ كثيرًا مِنَ الناس يُفَسِّرون الضَّرورةَ بـأَيِّ مَشَـقَّةٍ تَعْـرِضُ، بـأَيِّ دَرَجـةٍ تكـونُ، أو يُفَسِّـرون الضَّـرورةَ بحـاجَتِهم إلى التَّوَسُّـعِ في الأمُـور الدُّنْيَوِيَّةِ، ولأجْـلِ ذلـك يَنتَهِكـون حُرْمـةَ الشَّـرِيعةِ... ثم قـالَ -أَيِ

الشيخُ المنجد-: فأمَّا الضَّرورةُ فقد ذَكَرَ العلماءُ تَعريفَها، وقالوا {إذا تَرَتَّبَ على عَدَمِ فِعْلِ الشيءِ المُحَـرَّم هَلَاكٌ، أو إلْحاقُ الضَّرَر الشَّدِيدِ، بأحَدِ الضَّرُورِيَّاتِ الخَمْس (وهي الدِّينُ والنَّفْسُ والعَقْلُ والمالُ والعِرْضُ)، فإنَّه عند ذلـك يَجُوزُ له أنْ يَتَنـاوَلَ المُحَـرَّمَ للضَّـرُورةِ}، فتأمَّلْ كَلَامَهم رَحِمَهم اللهُ في قـولِهم {هَلَاكٌ، أو إلْحـاقُ ضَـرَر شَـدِيدٍ، عند ذلك يَجُـوزُ لـه أنْ يَـرتَكِبَ هـذا المُحَـرَّمَ للضَّـرُورةِ}، وهذا الكلامُ أيضًا فيه تَفْصِيلٌ، ولـذلك فإنَّنـا لا يَجـوزُ لنـا أنْ نَترُكَ الجِهادَ في سبيلِ اللهِ مِن أجْلِ المُحافَظةِ على النُّفُـوسِ ونَقُـولَ {إنَّ تَـرْكَ الجِهـادِ ضَـرورةٌ لأنَّ الجِهـادَ يُسَـبِّبُ قَتْـلَ النَّفْس}، كَلَّا، لأنَّ حِفْـظَ الـدِّين أعْلَى [مِن حِفْظِ النَّفْس] والجِهادُ لا بُدَّ منه لِحِفْظِ الدِّين... ثم قـالَ -أي الشيخُ المنجد-: وهناك أمُورٌ تُقَدَّمُ وتُؤَخَّرُ في أبوابِ الضَّـــرورةِ، فلـو أنَّه غَصَّ بِلُقْمــةٍ [وَ]لم يَجِــدْ إلَّا خَمْــرًا لِيَبتَلِعَها [أي اللُّقْمةَ] وإلَّا لَمَاتَ وهَلَـكَ واخْتَنَـقَ، جـازَ لـه أنْ يَتَناوَلَ ما يُسَلِّكُ به تلك الغُصَّةَ ويَنْجُوَ بــه مِنَ الهَلَاكِ، فَتَنْجُو نَفْسُـه ولـو أدَّى لإلْحـاق ضَـرَر بعَقْلِـه [وذلـك لأنَّ حِفْـظَ النَّفْس أعلى مِن حِفْـظِ العَقْـلِ]... ثم قـالَ -أي الشيخُ المنجد-: لا بُدَّ لَنَا أنْ نَعْلَمَ ونَعْرِفَ ما هي القواعدُ [يَعْنِي ضَـوَابِطَ قاعـدةِ (الضَّـروراتُ تُبِيحُ المحظـوراتِ)] التي ذَكَرَها العُلماءُ، لِنَكُونَ على بَيِّنةٍ عند اِسـتِخدام هـذا الأمـر الخَطِـير، الـذي إنْ لم يُحْسَـن اسـتِخدامُه تَعَـرَّضَ المُســتَخدِمُ للهَلَاكِ في العاجِــل والآجِــل؛ أوَّلًا، يَجِبُ ألَّا يَتَسَـبَّبَ الإنسـانُ لإيقـاعِ نَفْسِـه في الضَّـرورةِ، فلـو أنَّه أتلَفَ مالَه وطَعَامَه الطَّيِّبَ، وهـو يَعْلَمُ أنَّه سيَضْـطَرُّ [أيْ بسَبَبِ ذلك] لِأكْلِ طَعَام مُحَرَّم، كان آثِمًا عند اللهِ بِفِعْلِـه هذا؛ ثانيًا، فإنَّ الضَّرُورَةَ لا بُدَّ أنْ تُقَدَّرُ بِقَـدْرِهَا، إنَّ بـابَ الضَّرُورةِ ليس مَفتُوحًا عَلَى مِصْرَاعَيْهِ يَدخُلُ منه كُلُّ مَن هَبَّ ودَبَّ بأيِّ طَريقةٍ شاءَ، وإنَّما هـو مَضـبُوطٌ بضَـوابِطَ يَعْلَمُها أهلُ العِلمِ الثِّقاتُ، ذَكَروهـا في كُتُبِهم، ويَـذكُرُها

المُفْتُونَ المُخْلِصون للناسِ إذا سُـئِلُوا، فالضَّـرُورَةُ لا بُـدَّ أَن تُقَـدَّرُ بِقَـدْرِهَا، فمَن اُضْـطُرَّ إلى الكَـذِبِ (مَثَلًا) فَـإِنْ أَمْكَنَهُ التَّوْرِيَةُ لا يَجـوزُ لـه أنْ يَكـذِبَ، والتَّوْرِيَـةُ أنْ يَـأْتِي بلَفظٍ له مَعْنًى بَعِيدٌ في نَفْسِه، ومَعْنًى قَرِيبٌ في نَفْس الـوَقْتِ يَفهَمُـه السـامِعُ، فعنـد ذلـك لا يَجـوزُ أنْ يَكـذِبَ، ويَستَخدِمُ [أيْ على سَبِيلِ الوُجوبِ] التَّوْرِيَةَ، وإذا اُضْـطُرَّ إلى الكَذِبِ، كأنْ يكونَ عنده مـالُ إنسـانٍ مَعصُـوم مُخَبَّأً، فَجَاءَ ظـالِمٌ يقـولُ لـه {هَـلْ عنـدك المـالُ؟}، ولمِ يَجِـدْ طَرِيقةً لِلتَّوْرِيَةِ، فيَجوزُ له أنْ يَكْذِبَ في هذا الأمْر فَقَطْ، بجُمْلَـةٍ مُحَـدَّدةٍ لا يَنتَشِـرُ الكَـذِبُ إلى غيرِهـا، ومَن أُكْـرِهَ على النُّطق بكلِمةِ الكُفرِ لا يَجُوزُ له أنْ يَكْفُرَ بقَلْبِـه، لأنَّ الكُفْـرَ على اللِّسـانِ فَقَـطْ إذا اُضْـطُرَّ إلى ذلـك [قـالَ الشيخُ أبو بصير الطرطوسي في كتابِه (شُـروطُ "لَا إلَـهَ إلَّا اللَّهُ"): الإكـراهُ سُـلْطانُه على الجَـوَارح الظـاهِرةِ لا الجَـوَارح الباطِنَـةِ [(جَـوَارِحُ الإنْسَـانِ الظـاهِرةِ) هِي أَعْضَاؤُهُ الظاهِرةِ الَّتِي يَكْتَسِـبُ بِهَـا، وَهِيَ الْعَيْنُ وَالأُذُنُ وَاللِّسَانُ وَالْبَطْنُ وَالْفَـرْجُ وَالْيَـدُ وَالرِّجْـلُ؛ أَمَّا (الجَـوَارِحُ الباطِنةُ) فهي القَلْبُ فَقَـطْ، وقـد غَلَبَ التَّعبِـيرُ بـالجَمْعِ لمُشـاكَلةِ قَـولِهِم {الجَـوَارِحُ الظـاهرةُ}]. انتهى]، ومَن جازَ له التَّيَمُّمُ للضَّرورةِ، فإذا قَـدِرَ على اسـتِعمالِ المـاءِ لا يَجوزُ له أنْ يُوَاصِلَ في التَّيَمُّم، ومَن اُضْـطُرَّ للإفطـار في شَهْرِ رَمَضانَ مِن أَجْـلِ المَـرَض، فـإذا اِشْـتَدَّ وقَـوِيَ وأطاقَ الصِّيَامَ ما جازَ له أنْ يُكْمِلَ في إفطـاره، وكـذلك المُسافِرُ لو أقامَ لا يَجـوزُ لـه الإكْمـالُ في الإفطـار في رَمَضانَ، وخُذْ مَثَلًا مِنَ الأمْثِلةِ التي يَتَعَرَّضَ لها كثـيرٌ مِنَ النَّاس في هـذه الأيَّام بسـببِ عَـدَم الاحتِيَـاطِ في الشَّـريعةِ، وعَـدَم وُجـودِ الجُهـودِ الصَّـحِيحةِ الـتي تُزِيـلُ الحَـرَجَ عن كثـير مِن نِسـاءِ المُسـلِمِين، (كَشْـفُ الطَّبِيبِ على المـرأةِ المَريضـةِ)، [فَ]بِسَـبَبِ تَقصِـيرنا وإهمالِنـا وعَـدَمِ تَخطِيطِنـا وانتِباهِنـا للمُحَرَّمـاتِ، حَصَـلَ تَقصِـيرٌ

شَـدِيدٌ في تنظيم الأمُـور، فصـارَتِ المـرأةُ تُضْـطَرُّ في كثيرٍ مِنَ الأحْيَانِ للكَشْفِ عنـد الطَّبِيبِ الأجْنَبِيِّ، وهنـا لا بُدَّ أنْ نَفهَمَ مَعْنَى تَقدِيرِ الضَّرورةِ بقَدْرِها في مِثْلِ هـذا المَوضِـعِ، فمَثَلًا لا بُـدَّ أنْ تَبحَثَ عن طَبِيبـةٍ مُسـلِمةٍ لِزَوجَتِكَ أو بِنْتِكَ، فإنْ لم يُوجَـدْ طَبِيبـةٌ مُسـلِمةٌ مُؤَهَّلـةٌ، في أيِّ مَكـانٍ تَسـتَطِيعُ الوُصـولُ إليـه، وتَسـتَطِيعُ دَفْـعَ أجْره، جازَ اللُّجوءُ إلى طَبِيبةٍ كافرةٍ، فإنْ لم تُوجَدْ طَبِيبةٌ كـافِرةٌ مُؤَهَّلـةٌ أيضًـا جـازَ اللُّجـوءُ إلى الطَّبِيبِ المُسـلم المُؤَهَّلِ [قلتُ: ويُراعَى هنا تَقدِيمُ الطَّبِيبِ السُّـنِّيِّ على الطَّبِيبِ المُبتَدِع. وقـد قـالَ الشـيخُ صالح الفـوزان في فيـديو لـه بعُنْـوانِ (مـا حُكْمُ مُجالَسـةِ أهْـلِ البِـدَعِ بحُجَّةِ التَّقَرُّبِ إليهم وتَعلِيمِهم الدِّينَ الصّحِيحَ؟): لا تَقْـرَبْ مِن أهْلِ البِدَعِ أبَـدًا، يُـؤَثِّرون عليـك، وتَـأْثَمُ بجُلوسِـك معهم، اِبتَعِدْ عنهم إلَّا إذا دَعَتِ الحاجَةُ إلى مُناظَرَتِهم وبَيَانِ مـا هُمْ عليه مِنَ الباطِلِ وأنتَ عندك أهْلِيَّةٌ لـذلك، فلا مـانِعَ، في حُـدُودٍ. انتهى]، فـإنْ لم يُوجَـدْ جـازَ اللُّجـوءُ إلى الطَّبِيبِ الكافِرِ، فَهَلْ يَتَّبِـعُ النـاسُ هـذا التَّنفِيـذَ؟، ثم إذا جـازَ للطَّبِيبِ الكَشْـفُ عن المـرأةِ الأجنَبِيَّةِ، فيَجِبُ أنْ يكـونَ بـدُونِ خَلْـوَةٍ، وأنْ يَحْضُـرَ مَحْرَمُهـا (مَثَلًا)، وأنْ يَكْشِـفَ على مَوضِـعِ العِلَّةِ فَقَـطْ ولا يَتَعَـدَّاه، وإذا كـانَ النَّظَـرُ إلى مَوضِـعِ العِلَّةِ يَكفِي فلا يَجـوزُ لـه أنْ يَلمِسَ، وإذا كـانَ يَكْفِيـه لَمْسٌ مِن وَراءِ حائـلٍ لا يَجـوزُ لـه أنْ يَلمِسَ بغير حائلٍ، وإذا كانَ يَتَوَجَّبُ أنْ يَلمِسَه بِغير حائلٍ فلا يَلمِسُ مـا حَوْلَـه مِنَ المِنْطَقـةِ الـتي لا عَلَاقـةَ لهـا بالعِلَّةِ، ولا عَلَاقةَ لها بـالعِلَاجِ أيضًـا، وإذا كـانَ يَكفِيـه أنْ يَفْحَصَ لِمُدَّةٍ دَقِيقةٍ (مَثَلًا) فلا يَجـوزُ لـه أنْ يَتَعَـدَّى هـذه الفَتْـرةَ، وكُـلُّ إنسـانٍ مُـؤتَمَنٌ على حَرِيمِـه، وَمَـا أكْثَـرَ التَّفريطَ في هذا الأمر في هذه الأيَّام؛ ثالِثًـا، إنَّ الضَّـرَرَ لا يُـزالُ بِمِثْلِـه أو شـيءٍ أكْبَـرَ مِنْـهُ، فمَثَلًا لـو قـالوا لـه {اُقْتُلْ فُلَانًا وإلَّا سَلَبْنا مالَكَ} فلا يَجوزُ له أنْ يَقْتُلَه، بَلْ

لو قالوا له {اُقْتُلْ فُلَانًا وإلَّا قَتَلْناكَ} وفُلَانٌ هـذا مُسلِمٌ مَعصومٌ، لا يَجوزُ له أنْ يَقْتُلَه لأنَّ النُّفوسَ في الشَّريعةِ سَوَاسِيَةٌ، وكذلك لو أُكْرِهَ جُنْدِيٌّ مُسلِمٌ بالقَتْلِ على أنْ يَدُلَّ الْعَدُوَّ على ثُغْرَةٍ يَنفُذون منها إلى البَلَدِ المُسلِمِ، لِكَيْ يَحتَلُّوه ويُوقِعوا القَتَلَ والتَّشريدَ في أهْلِه، ما جازَ له أنْ يَدُلَّهم ولو قَتَلُوه... ثم قالَ -أي الشيخُ المنجد-: ثم إنَّ كثيرًا مِنَ الناس يقولون لك {نحن مُكْرَهون (أو أكْرِهْنا)}، فما هو الإكراهُ الذي يُبَاحُ به الأمْرُ المُحَرَّمُ؟، هل هو ضَرْبُ سَوْطٍ أو سَوْطَين (مَثَلًا) لِأنْ يَنْتَهكَ حُرْمةَ اللهِ بالزِّنَى (على سَبِيلِ المِثالِ)؟؛ قالَ الفُقَهاءُ {الضَّربُ الذي يُعتَبَرُ إكراهًا هو ما كانَ فيه خَشْيَةُ تَلَفِ النَّفْسِ أو أحَدِ الأعضاءِ، أو ألَمٌ شَدِيدٌ لا يُطِيقُ تَحَمُّلَه} [قالَ اِبنُ الجوزي في (زاد المسير): قَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى {فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ [أَيْ قِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ] دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْخَوْفَ عَلَى الْمَالِ وَالْوَلَدِ لَا يُبِيحُ التَّقِيَّةَ فِي إظْهَارِ الْكُفْرِ، كَمَا يُبِيحُ فِي الْخَوْفِ عَلَى النَّفْسِ، وَيَبِينُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ الْهِجْرَةَ، وَلَمْ يَعْذُرْهُمْ فِي التَّخَلُّفِ لِأجْلِ أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ}. انتهى]، بَلْ إنَّهم ذَكَروا شُروطًا للإكراهِ، كأنْ يكونَ المُكْرِهُ مُتَمَكِّنًا مِنَ التَّنفِيذِ [وإلَّا كان تَهدِيدُه هَذَيَانًا وضَرْبًا مِنَ اللَّغْوِ الذي لا يُلتَفَتُ إليه]، وأنْ يكونَ المُكْرَهُ عالِمًا [أيْ مُتَيَقِّنًا] أو غالِبًا على ظَنِّه أنَّ المُكْرِهَ سيُنَفِّذُ وَعِيدَه [لأنَّ الأحكامَ الشَّرعِيَّةَ تُنَاطُ باليَقِين والظُّنُون الغالِبةِ، لا بالأوهام والظُّنُونِ المَرجوحةِ والاحتِمالاتِ البَعِيدةِ]، وأنْ يكونَ المُكْرَهُ عاجِزًا عن دَفْعِ الإكراهِ عن نَفْسِه (إمَّا بالمُقاوَمةِ أو الفِرَار)، وأنْ يكونَ الإكراهُ بِشيءٍ فيه هَلَاكٌ للمُكْرَهِ أو ضَرَرٌ عَظِيمٌ (كالقَتْلِ أو إتْلَافِ عُضْوٍ مِنَ الأعضاءِ أو التَّعذِيبِ الْمُبَرِّح أو السَّجْنِ الطَّويلِ الذي لا يَخرُجُ منه)، وأنْ يكونَ الإكراهُ فَوْرِيًّا (كأنْ يُهَدِّدَه بالقَتلِ فَورًا إذا لم يُنَفِّذْ) أمَّا إذا قالَ له {إذا لم تَفعَلْ كذا ضَرَبْتُكَ غَدًا (أو

بَعْدَ غَدٍ)} فلا يُعتَبَرُ إكراهًا صَحِيحًا [قالَ ابنُ حجر في (فتح الباري): فَلَوْ قَالَ (إنْ لَمْ تَفْعَلْ كَذَا ضَرَبْتُكَ غَدًا) لَا يُعَدُّ مُكْرَهًا، وَيُسْتَثْنَى مَا إذَا ذَكَرَ زَمَنًا قَرِيبًا جِدًّا أَوْ جَرَتِ الْعَادَةُ بِأَنَّهُ لَا يُخْلِفُ. انتهى]؛ فتأمَّلِ الشُّروطَ التي وضَعَها الفُقَهاءُ لهذا، لِتَعْلَمَ أيُّها المُسلِمُ أنَّ المسألةَ ليستْ أُلْعُوبةً، وأنَّ القَضِيَّةَ ليستْ سَهْلةً، ثم قارنْ بين هذا وبين ما يَقُومُ به كثيرٌ مِن مُفْتِي السُّوءِ بإفتاءِ الناس ببَعض الأمُور بِحُجَّةِ الضَّرُورةِ، في غير مَحَلِّها [قالَ الشيخُ أبو محمد المقدسي في (مِلَّة إبراهيمَ): كَثِيرٌ مِن دُعاةِ زَمانِنا، يُدَنْدِنون على أحاديثِ الرُّخَص والإكراهِ والضَّروراتِ طَوَالَ حَيَاتِهم، وكُلُّ أيَّامِهم في غَيرِ مَقامِها [أيْ غَيرِ مَوضِعِ التَّرَخُّص والإكراهِ والضَّرورةِ]، وَيَلِجُون بِحُجَّتِها في كُلِّ باطِلِ، ويُكَثِّرون سَوادَ حُكوماتِ الكُفر والإشراكِ، دُونَما إكراهٍ أو اِضْطِرار حَقِيقَين، فَمَتَى يُظهرون الدِّينَ؟!. انتهى]... ثم قالَ -أي الشيخُ المنجد-: لماذا يَتَساهَلُ بعضُهم في إفتاءِ الناس في أُمُور بِحُجَّةِ الضَّرُورةِ، وليس فيها ضَرُورةٌ؟؛ (أ)عَدَمُ خَوفِهم مِنَ اللهِ؛ (ب)وعَدَمُ تَمَكُّنِهم مِنَ العِلم؛ (ت)وسَيطَرةُ رُوحِ التَّيسِير -في غير مَحَلِّه- على نُفُوسِهم [قالَ الشيخُ يوسفُ بنُ أحمد القاسم (عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء) في مقالةٍ له بعنوان (موقف العامة من خلاف المفتِين) في هذا الرابط على موقع الشيخ سليمان الماجد (عضو مجلس الشورى السعودي): في زَمَانِنا كَثُرَ المُفْتُون الذِين يَجْرُون وَراءَ رُخَص الفُقَهاءِ بحُجَّةِ المَصلَحةِ أو التَّيسِير على الناس!. انتهى باختصار]، والتَّيسِيرُ أمْرٌ مُعتَبَرٌ في الشَّريعةِ، وهو مِمَّا تَقومُ عليه الشَّريعةُ، لكنَّ التَّيسِيرَ إذا تَعارَضَ مع أحَدِ مَقاصِدِ الشَّريعةِ فلا يُعتَبَرُ تَيْسِيرًا شَرعِيًّا، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ {إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ، قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ

فِي الأَرْضِ، قَـالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِـعَةً فَتُهَـاجِرُوا فِيهَا، فَأُولَئِكَ مَـأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ، وَسَـاءَتْ مَصِـيرًا}، فلمـاذا لم يُعتَبَروا مُكْـرَهِين؟، لأنَّهم كـانوا يسـتطيعون الهجـرةَ مِن بِلَادِ الكُفـر، أقـاموا تحتَ رَايَـةِ الكُفـر يُفتَنُـون في دِينِهم، ويَتَنـــازَلون عن أُمُـــور الـــدِّين، وقـــالوا {مُسْتَضْـعَفِينَ}، لمـاذا لم تُهـاجِروا؟!، وكـذلك لـو قـالَ إنسانٌ {إنَّ مِنَ التَّيسِير ألَّا نَخـرُجَ إلى الجِهـادِ في وَقْتِ الْحَرِّ}، فاسمَعْ ماذا يقـولُ اللـهُ {وَقَـالُوا لَا تَنفِـرُوا فِي الْحَرِّ، قُلْ نَـارُ جَهَنَّمَ أَشَـدُّ حَـرًّا}؛ (ث)ومِنَ الأُمُـورِ الـتي تَجعَلُ بعضَ المُفتِين بالباطِـل يُفْتـون النـاسَ بالضَّـرورةِ الحِـرْصُ على مُوافَقـةِ رَغْبـةِ المُسـتَفْتِي، لإغراءاتِـه أو ضُغُوطِه على المُفْتِي، مِن جِهَـةٍ تَـرغَبُ (مَثَلًا) استِصـدارَ فَتْـوَى تُوافِـقُ مُيولَهـا وأَهْواءَهـا، فـالمُفْتِي إذا لم يَكُنْ عنده خَوفٌ مِنَ اللهِ أَفْتَى بما يُوافِقُ رَغْبةَ القَوم مُستَنِدًا إلى رَفْع الحَرَج، أو التَّيسِـير على الأُمَّةِ، أو أنَّ الضَّـرورةَ تُبِيحُ المحظوراتِ، أو أنَّ اختِلَافَ الأُمَّةِ رَحمـةٌ، أو أنَّ هـذا الزَّمَانَ والعَصْرَ يَختَلِفُ وأنَّ له حُكْمًا خاصًّا، وأنَّ الأحْوالَ قـد تَغَيَّرَتْ، ونحـو ذلـك مِن أبْـوابِ الكَلَام الخَطِـير الـذي يَقـولُ بـه بعضُـهم، كَلَامٌ يَحسَـبونه هَيِّنًـا وهـو عنـد اللـهِ عَظِيمٌ؛ (ج)وقـد يكـونُ الشَّـخصُ الـذي يَقـولُ للنـاس {اِفْعَلوا ولا حَرَجَ، هذه ضَرورةٌ}، قد يكـونُ مُتَوَرِّطًـا في أمْرٍ مُحَرَّم في حَيَاتِـه الشَّخصِـيَّةِ، فَلِكَيْ لَا يَلُومَـه النـاسُ يُفْتِيهم بالجَوَاز [أيْ جَوَاز الأمْر المُحَرَّم المُتَـوَرِّطِ فيـه]؛ (ح)وكــذلك عَــدَمُ العِلم الــدَّقِيق والقُــدرةِ على تَصَــوُّر الواقِـع؛ (خ)وهنـاك أُنَـاسٌ عنـدهم حُسْـنُ نِيَّةٍ، يقولـون للناس {اِفْعَلوا، ضَرورةٌ}، ما هو السَّـبَبُ؟، قـالوا {نحن نُريــدُ أنْ نُحَبِّبَ النــاسَ في الــدِّين، ولــذلك نحن نُيَسِّــرُ عليهم، ونَفْتَحُ المَجَالَاتِ لهم، ونَقولُ (اِعمَلـوا ولا حَـرَجَ، وهذه ضَـرورةٌ)}، لمـاذا؟، [قـالوا] {لِتَحبِيبِ النـاس في الـدِّينِ}!، هـؤلاء -يـا أيُّهـا الإخـوةُ- يُـدخِلون النـاسَ إلى

الدِّينِ مِن بـابِ ثم يُخرجـونهم مِنَ الـدِّين مِن بـابِ آخَـرَ، مُسِيئُون وليسوا بمُحسِنِين، وأَضْرِبُ لكم مَثَلًا، شَـيْخٌ في حَلَقةٍ جاءَه شَخْصٌ -ومع الأسَفِ، أيُّها الإخوةُ، أهلُ العِلم المُتَمَكِّنون مِنَ العِلم قِلَّةٌ جِدًّا، ولـذلك النـاسُ لا بُـدَّ لهم أنْ يَـذهَبوا إلى المَـأمُونِ، وليس لهم أنْ يَسـألوا أيَّ شَخْصٍ، كَلَّا- أَحَدُهم في مَجْلِسٍ مِنَ الناس، جاءَه شَـخْصٌ فقـالَ {يـا شَـيْخُ، أريـدُ أنْ أَنْقُـلَ عَفْشَ بَيْتِي في نَهـار رَمَضـانَ، وهـذا أمْـرٌ مُتْعِبٌ في رَمَضـانَ، هَـلْ يَجـوزُ أنْ أُفْطِرَ؟}، قال {لا بـأسَ، للضَّـرورةِ أَفْطِـرْ}، حـتى قـالَ أحَـدُ الحاضـرين مِنَ النُّبَهـاءِ مِن عامَّةِ النـاس، قـالَ {يـا شَيْخُ، لماذا لا تقولُ له أنْ يَنْقُلَ في اللَّيلِ؟}!... ثم قالَ -أي الشـيخُ المنجـد-: لا بُـدَّ للشـيخِ والمُفْتِي أنْ يُبَيِّنَ للناس إذا وَقَعوا في ضـرورةٍ حَقِيقَـةً أمُـورًا؛ ومِن هـذه الأمُور أنْ يَقولَ {إنَّ الضَّرورةَ حالـةٌ اسـتِثنائِيَّةٌ وليسـتْ هي الأصْلُ -لِكَيْ يَشْعُرَ المُسـتَفتِي أنَّه يَعِيشُ في دائـرةٍ ضَيِّقةٍ وهو يَفعَلُ هذا الأمْرَ المُحَرَّمَ- وأنَّ عليه أنْ يَخـرُجَ منها بأيِّ وَسِـيلةٍ}؛ ثانِيًـا، أنَّ المبـاحَ للضَّـرورةِ ليس مِنَ الطَّيِّباتِ، المَيْتـةُ إذا أُبِيحتْ للضَّـرورةِ لا تُصـبِحُ طَيِّبـةً، لا زالَتْ خَبِيثةً نَتِنَةً، لكنَّ الفَرْقَ أنَّ الذي يَتَناوَلُها للضَّـرورةِ يَسقُطُ عنـه الإثمُ، فلا بُـدَّ أنْ يَشـعُرَ الـذي يَأْكُـلُ المَيْتـةَ للضَّرورةِ أنَّه يَأْكُلُ شَيْئًا مُنْتِنًا حَرَامًا في الأصْلِ، لا يَجـوزُ في الأصْـلِ، لا بُـدَّ أنْ يَستَشـعِرَ هـذا؛ ثالثًـا، أنْ يُحَمِّلَ المُفْتِي المُستَفْتِي المَسئُولِيَّةَ عن كامِلِ التَّفاصِيلِ التي يُقَـدِّمها لـه، وأنَّ فَتْوَاه لـه بالضَّـرورةِ مَبْنِيَّةٌ على صِـحَّةِ المعلوماتِ، فإذا كانَ المُستَفْتِي مُزَوِّرًا ويُقَدِّمُ معلوماتٍ خاطِئـةً ويقـولُ {مـا دَامَ الشـيخُ سَـيُفْتِي فَأنَـا أَخْـرَجتُ نَفْسِي مِنَ العُهْدَةِ ما دَامَ أَخَذْتُها مِن فَمِه}، وهـو يُقَـدِّمُ معلوماتٍ خاطِئةً، يُقَدِّمُ معلوماتٍ لِيُشـعِرَ الشـيخَ أنَّه [أي المُستَفْتِي] في حَرَج، وأنَّ المسألةَ لا مَخرَجَ مِنْها، حـتى يَقـولَ لـه الشـيخُ {اِفْعَـلْ للضَّـرورةِ}؛ رابعًـا: لا يَجـوزُ

الإفتــاءُ بالضَّــرورةِ إلَّا بعــدَ اِنسِــدادِ جَمِيــعِ الأبــوابِ، واستِنفاذِ جَمِيعِ الحُلولِ والبَدائلِ... ثم قـالَ -أي الشـيخُ المنجـد-: إنَّ مِنَ القَواعِـدِ المُهِمَّةِ أنَّه لا بُـدَّ مِنَ السَّـعْيِ لإزالَةِ الضَّرورةِ (على المُضْطَرِّ أنْ يَسعَى بكُـلِّ قُوَّتِـه أنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الضَّــرورةِ، لا أنْ يَستَســلِمَ لهــا، لا بُــدَّ أنْ يَتَخَلَّصَ، كَمْ مِنَ النــاسِ اليــومَ إذا وَقَعــوا في ضَــرورةٍ يُحاولون التَّخَلُّصَ فِعْلًا مِن هذا المَجَالِ الضَّـيِّق، مِن هـذا المَكانِ الحَرجِ الذي وَقَعـوا فيـه؟)، وأنَّ المُضْـطَرَّ إذا لم يَسْعَ للخُروجِ مِنَ الضَّرورةِ فإنَّه يَأْثَمُ؛ فإذا قُدِّرَ مَثَلًا، كما ضَرَبَ العُلَماءُ مَثَلًا حَيًّا في كُتُبِهم، قـالوا في كُتُبِهم {إذا جـازَ للمسـلِمِين في عَصـرٍ مِنَ العُصـورِ مُصـالَحةُ العَـدُوِّ لِضَرورةٍ -مع تَوَفُّرِ الشُّروطِ الشَّرعِيَّةِ- فلا بُـدَّ أنْ يَسـعَى المُسلِمون للخُروجِ مِن هذه الضَّرورةِ التي أَلْجَـأتْهم إلى مُصـالَحةِ العَـدُوِّ}، ومَعْنَى الشُّـروطِ الشَّـرعِيَّةِ أنْ يَتَـوَلَّى عَقْدَ الصُّلْحِ مَثَلًا خَلِيفةُ المُسلِمِين الذي وَكَّلَه المُسلِمون عليهم، أو نائبُه الذي وَكَّلَه الخَلِيفةُ (أَمَّا أنْ يَتَـوَلَّى عَقْـدَ الصُّلْحِ مع العَدُوِّ رَجُلٌ ظـالِمٌ تَسَـلَّطَ على المُسـلِمِين، أو كافِرٌ أو قَومِيٌّ أو عَلْمـانِيٌّ أو نَصْـرانِيٌّ أو مُلْحِـدٌ أو لادِينِيٌّ، يَتَكَلَّمُ باســمُ المُســلِمِين ويُفــاوِضُ عنهم، مَن الــذي وَكَّلَــه؟!، ومَن هي الأُمَّةُ الإســلامِيَّةُ الــتي وَكَّلَتْــه في شُــؤُونِها؟!)، وأنْ يكـونَ هـذا الصُّـلْحُ هـو أفْضَـلَ حَـلٍّ للمسـلِمِين فِعْلًا، وألَّا يُـؤَدِّي إلى مَفاسِـدَ أكْثَـرَ مِنْ تَـرْكِ الصُّــلْحِ، وأنْ يكــونَ بــوَقْتٍ مُعَيَّن، وأكــثرُ مُــدَّةٍ اِشْتَرَطَها الفُقَهاءُ للصُّلْحِ عَشْرُ سِـنِينَ [قـالَ الشـيخُ أبـو سلمان الصومالي في (النصائح المنجية): وقَـدَّرَها أكْثَـرُ الفُقَهاءِ على عَشْرِ سِنِينَ، فَـإنْ تَجـاوَزَتِ المُـدَّةُ العَشْـرَ بَطَلَتْ فِيما زادَ عليها... ثم قالَ -أي الشيخُ الصـومالي-: وحُجَّةُ الجَمهور في ذلك أنَّ مُدَّةَ عَقْدِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَـةِ هـو أبعَدُ أجَلِ عَقَدَه النَّبِيُّ صلى الله عليه وسـلم، فَخَصَّصَـتِ السُّنَّةُ عُمومَ آياتِ السَّيفِ والقِتالِ، فَمـا زادَ عنِ العَشْـرِ

يَبقَى على عُمومِــه. انتهى باختصـــار]، إذا تَـــوَفَّرَتِ الشُّروطُ في الصُّـلْح فِعْلًا فإنَّه يَجبُ على المسـلِمِين أنْ يَسْعَوْا لإزالةِ الضَعْفِ والشُّعور بِأَنَّهم في ذُلٍّ، وأنْ يُعِدُّوا العُدَّةَ للجِهادِ حتى يُنْهُوا هذا الضَّيْمَ والهَـوَانَ المَفـرُوضَ عليهم، وبذلك تَعْلَمُ أنَّ كَثِيرًا مِمَّا يَحـدُثُ في هـذه الأيَّام لا عَلَاقةَ له بِالإسلام أصْلًا... ثم قالَ -أي الشيخُ المنجد-: ومِن قَواعِدِ الشَّريعةِ أنَّ الضَّرورةَ لا بُدَّ أنْ تَكونَ ضَرورةً فِعْلًا، فيهـا حَـرَجٌ عَظِيمٌ على الشَّـخص لا يُطِيـقُ تَحَمُّلَـه فِعْلًا، وليستْ مَسأَلةَ تَوَسُّـع في مَكاسِـبَ وزيَـادةِ أرْبـاح مَثَلًا، أو مَشَــقَّةٍ بَسِــيطةٍ يُمْكِنُ تَحَمُّلُها، فهــذه ليســتْ ضَرورةً، وَلَا دَاعِيَ لِأنْ نُخادِعَ أنْفُسَنا، ونَكْـذِبَ على اللـهِ سُـبحانَهُ وتَعـالَى، وهـو {يَعْلَمُ خَائِنَـةَ الأَعْيُن وَمَـا تُخْفِي الصُّدُورُ}، فَهَلْ عَرَفْنا الآنَ سَبِيلَ المُتَلَاعِبِين، وأنَّه يَجِبُ أنْ نَصْدُقَ مع اللهِ سُبحانَهُ وتَعالَى؟... ثم قالَ -أي الشيخُ المنجـد-: أيُّهـا المسـلمون، لا بَـأسَ أنْ نَـذْكُرَ الآنَ بعضَ الحالاتِ التي فيها ضَرورةٌ صَحِيحةٌ، وبعضَ الحالاتِ التي ليس فيها ضَرورةٌ وإنَّمـا يَسـتَخدِمُ [فيهـا] النـاسُ كَلِمـةَ (الضَّـرورةِ) زُورًا وبُهْتانًـا على الشَّـريعةِ؛ فمَثَلًا، الكَـذِبُ في الحَرْبِ ضرورةٌ مع الكُفار، كما قالَ صَلَى اللـهُ عليـه وسَـلَّمَ {الْحَـرْبُ خُدْعَـةٌ}؛ والكَـذِبُ لأجْـلِ الإصـلاح بين المُتَخاصِمَين ضَرورةٌ مِن أجْلِ التَّوفِيق بين المُتَخاصِمِين مِنَ المُسـلِمِين، إذا لم يَجِـدْ حَلًّا إلَّا ذلـك؛ وكـذلك غِيبـةُ رَجُـل لا يَصْـلُحُ في الـزَّواج تَقَـدَّمَ إلى أنـاس وأنتَ تَعْلَمُ حالَه، يَجُوزُ أنْ تَغتابَه للضَّرورةِ، لا حَرَجَ في ذلك؛ وسَـفْرُ المرأةِ بغَير مَحْرَم يكون ضَـرورةً في حـالاتٍ، كَمَن مـاتَ مَحْرَمُها في الطَّريق، أو أُجْبِـرَتْ -بـالقُوَّةِ- على الخُـروج مِن بَلَدٍ وليس عندها مَحْرَمٌ، أو مُضْطَرَّةٍ للهجـرةِ مِن بِلَادِ الكُفر إلى بِلَادِ الإسلامِ وليس عندها مَحْرَمٌ، لـو شـاهَدْتَ حادِثَ سَيَّارةٍ في الطَّريق -طَريـق سَـفَر- وامْـرَأَةً تَحتـاجُ إلى إسْعافٍ، تَأْخُـذُها للضَّـرورةِ، لا حَـرَجَ في ذلـك؛ تَـرْكُ

[صَلَاةِ] الجَماعةِ في المَسجِدِ لِوُجودِ مَجْنون أو مَريض في البَيْتِ يُخْشَى عليه، يَحْتاجُ إلى مَن يَقِفُ بِجَانِبِه ويَرْعاه لأنَّ حالتَه خَطِرةٌ، هذه ضرورةٌ تُتْرَكُ لأجْلِها صلاةُ الجماعة؛ وَضْعُ النُّقودِ في البُنُوكِ الرِّبَوِيَّةِ لحِفْظِها إذا لم يُوجَدْ إلَّا هي ضرورةٌ، لأنَّ المالَ بالتَّجْربةِ يَضِيعُ أو يُسرَقُ، وهناك مُؤَسَّساتٌ عندها أمْوالٌ كثيرةٌ، وأنَاسٌ أغْنِياءُ مِنَ المسلمِين، أيْنَ يَضَعون نُقُودَهم؟، فيَضَعُونها إذنْ في البُنُوكِ الرِّبَوِيَّةِ إذا لم يُوجَدْ إلَّا هي، مع وُجوبِ السَّعْيِ لإقامةِ البُنوكِ الإسلامِيَّةِ مِنَ القادِرين على السَّعْيِ؛ السَّفَرُ إلى بِلَادِ الكُفَّار لِعِلَاجٍ لا يُوجَدُ إلَّا في بِلَادِ الكُفَّار جائزٌ للضَّرورةِ؛ وذَكَرَ بعضُ أهْلِ العِلم حالةً عَصرِيَّةً (الاِضْطِرارُ إلى عَقْدِ التَّأْمِين -المُحَرَّم- على السَّيَّاراتِ، في بَلَدٍ لا تستطيعُ قِيَادةَ سَيَّارَتِكَ فيه إلَّا بعَقْدِ التَّأمِين [الإجْبارِيِّ])، لا تستطيعُ، يَسحَبُون رُخْصَتَكَ ويَمْنَعونكَ مِن قِيَادةِ السَّيَّارةِ، أنتَ مُكْرَهٌ في هذه الحالةِ، لأنَّكَ لا بُدَّ أنْ تستعملَ سَيَّارَتَكَ، لا تستطيعُ أنْ تَمْشِي المَسافاتِ الطَّويلةَ، ولكنْ ما رَأيُكم بمَن يُؤَمِّنون على سَيَّارَتِهم لغير ضرورةٍ [يَعْنِي التَّأْمِيناتِ الغيرَ إجْبَارِيَّةِ]؟، ما أحَدٌ دَفَعَه إليها، ولا ضَرَبَ يَدَه عليها، ومع ذلك يَقومُ بعَقْدِ التَّأْمِين المُحَرَّم، يقولُ {أَخْشَى أنْ يَحدُثَ حادِثٌ، ولا أستطيعُ كذا، أتَوَقَّعُ...، يُمْكِنُ...}، وبنَاءً على هذه المُمْكِناتِ يَرتَكِبون عَقْدَ التَّأْمِين (المُحَرَّمَ قطعًا، وهو نَوعٌ مِن أنواعِ المَيْسِرِ والقِمَار لا يَجوزُ فِعْلُه)؛ العَمَلُ في البُنوكِ الرِّبَوِيَّةِ حَرامٌ، ليس بضَرورةٍ أبَدًا، ولا يَجوزُ، الأعمالُ الأُخْرَى مَوجُودةٌ، وأرْضُ اللهِ واسِعةٌ، إذا لم تَجِدْ في البَلَدِ فَأَرْضُ اللهِ واسِعةٌ، وإذا لم تَجِدْ يَجوزُ لك أنْ تَمُدَّ يَدَكَ إلى الناس، لو قالَ شَخصٌ {ما وَجَدْتُ}، نقولُ {الشِّحاذَةُ جائزةٌ للضَّرورةِ}، فالعلماءُ أباحُوا التَّسَوُّلَ للضَّرورةِ، فيَجوزُ، لكنَّ العَمَلَ في البُنوكِ لا يَجوزُ؛ الاِسْتِلافُ مِنَ البُنوكِ الرِّبَوِيَّةِ،

لِلمَشـاريعِ التِّجاريَّةِ أو الـزَّواجِ ونحـوه، حَـرامٌ لا يَجـوزُ، وكَذَّابٌ الذي يَدَّعِي أنَّها ضَرورةٌ، لا يَجـوزُ؛ السَّـمَاحُ ببَيـعِ الخُمـور في بِلَادِ المُسـلِمِين، وفَتْحِ المَلَاهِي، ودُخـولِ الكُفَّار إلى المَساجِدِ لِلفُرْجَةِ، بِحُجَّةِ أنَّ البَلَدَ مُضْطَرٌّ إلى العُمْلةِ الصَّعْبةِ التي يَأتِي بها هؤلاء السُّيَّاحُ، سُبْحانَكَ هذا بُهْتـانٌ عَظِيمٌ؛ العِلاجُ بالمُحَرَّمـاتِ، اللَّهُ لَمْ يَجْعَـلْ شِـفَاءَ أُمَّةِ محمد صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهَـا؛ حَلْـقُ اللِّحيَةِ لِمُجَرَّدِ الخَوفِ مِن تَوقِيـفٍ بَسِـيطٍ أو مُسـاءَلةٍ، لا يَجوزُ، وليس بِضَـرورةٍ، لكنْ لـو خـافَ أنَّه يُسـجَنُ سَـجْنًا مُؤَبَّدًا أو يُقْتَلُ [أو] يَلْحَقُ به ضَرَرُ عَظِيمٌ، يَجوزُ له حَلْقُها للضَّرورةِ، أَمَّا لِمُجَرَّدِ كَلِمةٍ أو كَلِمَتَين يَسـمَعُها مِنَ الأذَى يَجِبُ عليه أنْ يَتَحَمَّلَ ذلـك في سَـبِيلِ اللـهِ؛ وزَعَمـوا أنَّ الرِّبـا ضَـرورةٌ عَصـريَّةٌ، {قَـاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَنَّى يُؤْفَكُـونَ}؛ وجَلْبُ عُمَّالِ الكُفَّار إلى جزيـرةِ العَـرَبِ لِفَتح أَعْمـالٍ تِجاريَّةٍ لا يَجوزُ، لا يَجوزُ جَلْبُ الكُفَّار للتَّوَسُّع... ثم قالَ -أي الشيخُ المنجد-: أَيُّها الإخوةُ، إنَّ هذا الموضـوعَ مُـؤْلِمٌ وخَطِيرٌ، لكنَّني أَرْجُو مِنَ اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى أنْ يُفَقِّهَنا وإيَّاكم في دِينِـه، لأنَّ الفِقْـهَ في الـدِّين أَمْـرٌ مُهمٌ جِـدًّا، لكي لا نَقَعَ في هذه المحظوراتِ بِحُجَج واهِيَةٍ لا يَقْبَلُهـا اللـهُ، هـذا دِينٌ، وهـذه أَمَانـةٌ، وهنـاك حِسَـابٌ. انتهى باختصـار. وقـالَ الشـيخُ عبـدُالقادرِ أحنـوت في (مجلـة البيان، التي يَرْأَسُ تحريرَها الشيخُ أحمد بن عبـدالرحمن الصويان "رئيس رابطة الصـحافة الإسـلامية العالميـة") تحت عنوان (أحكام الإكراه في الفقـه الإسـلامي): يُعَـدُّ الإكراهُ حالةً مِن حالاتِ الاِضْـطِرار [قـالَ الشـيخُ طـارق عبدالحليم في مقالة له بعنوان (الضرورة والإكـراه في الشـريعة) على موقعـه في هـذا الرابط: الفَـرْقُ بين الإكراهِ والضَّرورةِ، هو أنَّه في حالةِ الإكراهِ يَدْفَعُ المُكْرَهَ إلى إتْيَانِ الفِعْلِ شَخصٌ آخَرُ ويُجْبِرُه عليه، أَمَّا في حالـةِ الضَّرورةِ فإنَّ الشَّخصَ [المُكْرَهَ] يُوجَدُ في ظُـرُوفٍ تُحَتِّمُ

عليه فِعْلَ المُحَرَّم دُونَ تَدَخُّل مِن أَحَـدٍ. انتهى باختصـار] لأنَّه يَأْسِرَ الإرادةَ مُباشَرةً... ثم قالَ -أَي الشيخُ أحنوت-: يُشْتَرَطُ في الإكْراهِ ليكـونَ مُعتَبَـرًا ومُـؤَثِّرًا فيمـا يُقْـدِمُ عليـه المُكَلَّفُ مِن أقـوالٍ أو أفعـالٍ أو تُـرُوكٍ، الشُّـروطُ الآتِيَةُ؛ (أ)أنْ يكونَ المُكْرِهُ قادِرًا على إيقاع مـا هَـدَّدَ بـه، وإلَّا كـانَ هَـذَيَانًا وضَـرْبًا مِنَ اللَّغْـو الـذي لا يُلتَفَتُ إليه؛ (ب)أنْ يَعْلَمَ الْمُسْـتَكْرَهُ [أَيْ يَتَيَقَّنَ] أو يَغْلِبَ على ظَنِّه، أنَّ المُكْرِهَ سـيُنَفِّذُ تَهْدِيـدَه إنْ لم يَفعَـلْ مـا أُكْـرِهَ عليـه، ويَكُونُ [أَيِ الْمُسْتَكْرَهُ] عاجِزًا عن الـدَّفْعِ أو التَّخَلُّص مِمَّا هُدِّدَ به "إمَّا بهُروبٍ أو مُقاوَمةٍ أو استغاثةٍ"؛ (ت)أنْ يَقَـعَ الإكراهُ بما يُسَـبِّبُ الهَلَاكَ، أو يُحْـدِثُ ضَـرَرًا كبـيرًا يَشُـقُّ على المُستَكْرَهِ تَحَمُّلُه، كأنْ يُهَدَّدَ بقَتْـلٍ، أو قَطْـعِ عُضْـو، أو ضَـرْبِ شَـدِيدٍ، أو حَبْس وقَيْـدٍ مَدِيـدَين، وهـو الإكـراهُ المُلْجِئُ [قالَ الشيخُ أحنوت في مَوضِعِ آخَرَ مِن مَقَالَتِـه: الإكراهُ له حالتَـان؛ أَمَّا الحالـةُ الأُولَى فتُسَـمَّى (الإكْـراهَ المُلْجِئَ "أو الكامِلَ")، كأنْ يُهَدَّدَ [أَيِ الْمُسْتَكْرَهُ] بالقتلِ، أو بقَطْـعِ عُضْـو أو بضَـرْبِ شَـدِيدٍ مُتَـوالٍ يَخَـافُ منـه أنْ يُؤَدِّي إلى ذلك؛ وأَمَّا الحالةُ الثانِيَةُ، فالإكْراهُ [فيها] غـيرُ مُلْجِئٍ، ويُسَـمَّى (الإكْـراهَ النـاقِصَ)، وهـو مـا لا يكـونُ التَّهْدِيدُ فيه مُؤَدِّيًا إلى إتلافِ النَّفْس أو العُضْو، كالتَّهدِيدِ بالضَّرْبِ اليَسِير الذي لا يَخافُ منه التَّلَفُ، أو [كالتَّهدِيـدِ] بإتلافِ بعض المالِ، وهذا النَّوعُ مِنَ الإكْـراهِ غـيرُ مُفسِـدٍ لِلاختيار، لأن الْمُسْـتَكْرَهَ ليس مُضْـطَرًّا إلى مُباشَـرةِ مـا أُكْـرِهَ عليـه، لِتَمَكُّنِـه مِنَ الصَّـبر على مـا هُـدِّدَ به. انتهى باختصار]؛ (ث)أنْ يكـونَ الإكْـراهُ عـاجِلًا غـيرَ آجِـلٍ، بـأنْ يُهَدَّدَ بتَنفِيذِه في الحالِ، فإنْ كان بشيءٍ غير فَـوريٍّ ولا حـالٍّ فلا يُعتَبَـرُ إكْراهًـا، لأنَّ التأجِيـلَ مَظَنَّةُ التَّخَلُّص مِمَّا هُدِّدَ به، فإنْ كان الزمَنُ قصيرًا لا يُتَمَكَّنُ فيـه مِن إيجـادِ مَخْـرَج يكـونُ حِينَئِذٍ إكْراهًـا؛ (ج)أَلَّا يُخـالِفَ المُسـتَكْرَهُ المُكْرِهَ، بِفِعْلِ غَيْرِ ما أُكْرِهَ عليه، أو بزِيَادةٍ على ما أُكْـرِهَ

عليهِ، فمَنْ أُكْرِهَ على طَلَاقِ اِمْرَأَتِه طَلْقَةً وَاحِدَةً رَجْعِيَّةً فَطَلَّقَهـا ثَلَاثًـا، أو أُكْـرِهَ عَلَى الـزِّنَى فَـأَوْلَجَ، وَأَمْكَنَـهُ أَنْ يَنْزِعَ فَيَتَمَادَى حَتَّى يُنْزِلَ، فلَا يكونُ إكْراهُـه مُعتَبَـرًا، لأنَّ المُخالَفةَ بالزِّيَادةِ أو بِفِعْلِ غير ما أُكْـرِهَ عليـه تَـدُلُّ على اِختِياره، وهي [أي المُخالَفةُ المذكورةُ للمُكْرِهِ] إنَّمـا تَنُمُّ عن تَهاوُنٍ وعَـدَم اِكْتِـراثٍ بـالمحظوراتِ، فيُسـأَلُ عنهـا الفاعِلُ لأنَّها تَجاوَزَتْ حُدودَ ما أُكْرِهَ عليـه، أمَّا المُخالَفـةُ بالنُّقْصـانِ فيكـونُ معهـا مُكْرَهًـا، لأنَّه يُحتَمَـلُ أنْ يَقْصِـدَ التَّضْيِيقَ في فِعْلِ المُحَرَّمِ مـا أَمْكَنَ؛ (ح)أنْ يَتَـرَتَّبَ على فِعْـل المُكْـرَهِ عليـه الخَلَاصُ مِنَ المُهَـدَّدِ بـه، فلـو قـالَ إنسانٌ لآخَرَ {أُقْتُلْ نَفسَـكَ وإلَّا قَتَلْتُـكَ} لا يُعَـدُّ إكْراهًـا، لأنَّه لا يَتَرَتَّبُ على قَتْلِ النَّفْسِ الخَلَاصُ مِمَّا هُدِّدَ بـه، فلا يَصِحُ له حِينَئِذٍ أنْ يُقْدِمَ على ما أُكْرِهَ عليـه؛ (خ)ألَّا يكـونَ الإكْراهُ بحَقٍّ، فـإنْ كـان بحَـقٍّ فليس بـإكْراهٍ مُعتَبَـر، لأنَّ التَّبَعِيَّةَ والمَسـؤُولِيَّةَ حِينَئِذٍ تكـونُ مُتَوَجِّهـةً بكامِلِهـا إلى المُستَكْرَهِ، وذلك كما لو أكْـرَهَ الـدائنُ المَـدِينَ على بَيْـعِ مالِه لِقَضاءِ الدَّينِ الواجِبِ، أو أكْرَهَ الحـاكِمُ المُمْتَنِـعَ مِنَ الزَّكـاةِ على الأَدَاءِ، أو إكْـراهِ المالِـكِ على بَيْـعِ أَرْضِـه للدَّوْلةِ لِتَوسِيع الطَّريق العَامِّ، ونحو ذلك، فكُـلُّ مـا يَجِبُ على الشَّخص في حالِ الطَّوَاعِيَةِ فإنَّه يَصِحُّ مع الإكْـراهِ؛ هذا، وإنَّ ثَمَّةَ شُرُوطًا أُخْرَى ذَكَرَها الفُقَهاءُ، وهي تَرْجِـعُ في حَقِيقَتِها إلى جُمْلـةِ مـا ذَكَـرْتُ [قلتُ: مِنَ الشُّـروطِ التي ذَكَرَها العلماءُ: (أ)أنْ يكـونَ المُسـتَكرَهُ مُمْتَنِعًـا عن الفِعْلِ الـذي أُكْـرِهَ عليـه قَبْـلَ الإكْـراهِ، فمَن أُكْـرِهَ على شُرْبِ الخَمْرِ ومِن عادَتِه شُـرْبُه لا يكـونُ مُكْرَهـا؛ (ب)أنْ يكونَ المُهَدَّدُ بـه أَشَـدَّ خَطَـرًا على المُسـتَكرَهِ مِمَّا أُكْـرِهَ عليه، فلو هُدِّدَ إنسانٌ بصَفْعِ وَجْهِه إنْ لم يُتْلِـفْ مالَـه أو مالَ الغَيْر، وكانَ صَفْعُ الوَجْهِ بالنِّسـبةِ إليـه أقَـلَّ خَطَـرًا مِن إتلافِ المـالِ، فلا يُعَـدُّ هـذا إكْراهًـا؛ (ت)ألَّا يكـونَ المُهَدَّدُ به حَقًّا للمُكْـرِهِ يَتَوَصَّـلُ بـه إلى مـا ليس حَقًّا لـه

ولا واجبًا، فإذا كانَ كذلك -كتَهدِيدِ الزَّوجِ زَوجَتَه بطَلَاقِها إنْ لم تُبْرِئْهُ مِنْ دَينٍ لَهَا عَلَيْهِ- فلا يكونُ إكْراهًـا؛ (ث)إذا كانَ الإكْراهُ على أحَدِ أمْـرَين، تَعيَّنَ اختيـارُ أخَفِّهِمـا وإلَّا ما صَحَّ الإكْراهُ، فمَن أُكْرِهَ على أنْ (يَزْنِيَ، أو يَأْكُلَ لَحْمًـا لم يُـذَكَّى) فاختـارَ الـزِّنَى لا يكـونُ مُكْرَهًـا]. انتهى باختصار. وقالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي (الْمُغْنِي): وَإِنْ تَوَعَّدَ [أَيِ المُكْـرِهُ] بِتَعْـذِيبِ وَلَـدِهِ [أَيْ وَلَـدِ المُكْـرَهِ]، فَـالأَوْلَى أَنْ يَكُـونَ إكْرَاهًـا. انتهى باختصـار. وفي هـذا الرابط قـالَ مركزُ الفتوى بموقـع إسـلام ويب التـابع لإدارة الـدعوة والإرشاد الديني بـوزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية بدولـة قطـر: وَلْيُعْلَمْ أنَّ الإكـراهَ المُعتَبَـرَ عنـد جُمْهـور العلمـاءِ هـو التَّهدِيـدُ بـإتْلافِ النَّفْس أو الأعضـاءِ، أو مـا شـابَهَ ذلـك مِمَّا يَشُـقُّ على النَّفْس تَحَمُّلُه، أمَّا مُجَـرَّدُ الشَّتْم والسَّبِّ والتَّشـهير، فليس ذلـك مِن نَـوعِ الإكْـراهِ المُعتَبَر عنـدهم. انتهى. وقـالَ مركـزُ الفتـوى أيضـا في هذا الرابط: إذا كانَ إعفـاءُ اللِّحيَـةِ يُسـبِّبُ للمَـرْءِ ضَـرَرًا مُجْحِفًـا مُحَقَّقًـا، كالقَتْـلِ أو التَّشـرِيدِ أو الحَبْس أو التَّعذِيبِ، ولم يَستَطِعْ دَفْعَ ذلك الضَّرَرَ إلَّا بـالتَّخفِيفِ مِن لِحْيَتِه أو حَلْقِها، فإنَّه يَجوزُ له اللُّجـوءُ إلى الأخَـفِّ، وهـو التَّخفِيفُ، ولا يَصِيرُ إلى الحَلْق إلَّا إذا ثَبَتَ أنَّ ما دُونَـه لا يَدْفَعُ عنه الأذَى، لأنَّه فَعَلَ ذلك ضَرورةً، والضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا... ثم قالَ -أي مركـز الفتـوى-: قـد ثَبَتَ بـالتَّتَبُّع والسُّـؤَالِ وباسـتِقراءِ أحـوالِ أنـاسٍ كثـيرين، أنَّ دَعْـوَى الإكْراهِ على حَلْـق اللِّحْيَـةِ لا يَكـونُ إلَّا في نِطَـاق ضَـيِّق، وأنَّ أكـثرَ النـاس يَتَخَوَّفـون مِن دُونِ سَـبَبٍ حَقِيقِيٍّ، ثم يَبْنُـون على هـذا التَّخَـوُّفِ أحْكامًـا ويَـدَّعُون ضَـروراتٍ، وليس الأمرُ كذلك، وكثيرٌ منهم لا يُريدُ أنْ يَلْحَقَه أيُّ أذًى أو مُضايَقةٍ بِسَـبَبِ تَدَيُّنِـه والْتِزامِـه بـالمَظْهَر الإسـلامِيِّ والأخْـذِ بالسُّـنَّةِ، وهـذا مُخـالِفٌ لِسُـنَّةِ اللـهِ في عِبَـادِه المُؤمِنِين، قالَ تَعالَى {الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن

يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}، فـالأذَى والمُضايَقةُ بِسَبَبِ التَّدَيُّن الصَحِيح مِنَ الأمُـور المُتَوَقَّعـةِ، والسلامةُ منها على خِلَافِ الأصْلِ، والمقصودُ أنَّ ما يَقَعُ مِنَ الأذَى هو أمْـرٌ عـادِيٌّ يَجِبُ أنْ نَتَقَبَّلَه ونَحتَسِـبَ عنـد اللهِ ما نَلْقَى، فهذه ضَريبةُ الإيمانِ وثَمَنُ الجَنَّةِ، ولـو أنَّا كُلَّما أحْسَسـنا بـالأذَى تَراجَعْنـا في الْتِزامِنـا لم نَلْبَثْ أنْ نَنْسَلِخَ مِن شَعائر دِينِنا الظاهِرةِ، وهذا بالضَّبْطِ مـا يُريـدُ أعداؤنا أنْ نَصِلَ إليـه، لِتَخْفَى مَعـالِمُ الحَـقِّ على النـاس وتَنْـدَرِسُ رُسُـومُه، فَلْيُتَنَبَّهْ، وهـذا مِن أخْطَـر العَـواقِبِ، لـذلك فإنَّه مِن مَزالِـق الشَّـيطان. انتهى. وقـالَ مركـزُ الفتـوى أيضًـا في هــذا الرابط: وَلْيُعْلَمْ أنَّ كثـيرًا مِنَ الناس قد حَصَلَ منهم التَّساهُلُ، فوَقَعوا في المُحَرَّمـاتِ بحُجَّةِ أنَّهم مُضْطَرُّون إلى ذلك. انتهى.

تَمَّ الجُزءُ السابِعُ بِحَمدِ اللَّهِ وَتَوفِيقِهِ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ

أَبُو ذَرٍّ التَّوحِيدِي

AbuDharrAlTawhidi@protonmail.com